حسن بن فهد الهويمل

١٢

اتجاهات الشعر المعاصر في نجد



الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ

الناشر: نادي القصيم الأدبي ببريدة

اتجاهات الشعر المعاصر
في نجد

بقلم

حسن بن فهد الهويمل

إصدار
نادي القصيم الأدبي ببريدة
١٤٠٤هـ

بحث مقدم لكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر
لنيل شهادة الماجستير

١٩٧٣ / ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدي أحمد

والدتي

مقدمة جديدة

كنت قد فرغت قبل عشر سنوات من إعداد هذا البحث ليسد خلة دراسية. ولم أشأ أن أعود إليه مرة ثانية، لأن الإنسان النامى بجسمه وبمفاهيمه حينما يعود إلى عمل فرغ منه يحس أنه محتاج إلى تغيير امور كثيرة تذهب بملامح هذا العمل وتفقده الرصد الأمين لتلك المرحلة. والحياة مدرسة لا تفتأ تعدل وتبدل فى فكر الإنسان وتصوره. فضلاً عما إذا كان الإنسان نفسه مرتبطاً بالحرف يتقلب معه. ولهذا فتجدد الفكر وتغير المفاهيم، وتبدل القناعات أمر مفروغ منه ولا مجال للجدال فيه ولو أن الإنسان أعاد النظر فى عمل الأمس من شعر أو نثر لما ترك على ظهر الكتب من مقروء لأن مايراه بالأمس لا يعبر بالضرورة عن رأيه اليوم وماتراه نهاية جهدك فى مطلع شبابك يكون بداية توجهك عندما يشتد عودك وتزداد معارفك.

لا أقول ذلك من باب التسلل والتنصل عما حواه ذلك المجهود. فما كتبته يعبر عن وجهة نظرى فى مرحلة من مراحل حياتى ويرصد لمرحلة من مراحل الحياة الأدبية فى جزء هام من بلدى أحسست أنه مهيض الجناح بعقوق أبنائه القادرين — حين ذاك — فنذرت نفسى له على ضعف ملكة وقلة بضاعه وانجزت به مهمة دراسية سدد الله فيها الخطى وأقال العثرة. ولازلت أعتز بهذا الجهد وأجد أننى واحد من أولئك الذين وضعوا لبنة أدبية بجسارة وثقة. لقد حاولت أن أستذكر بعض الملاحظات التى أخذها علىّ المناقشون وهى كثيرة لأصحح بعض الأخطاء وأستدرك جانباً من الهفوات لكننى فوجئت بأن شيئاً كثيراً يحتاج إلى تغيير وأدركت أن مباشرة الاصلاح تذهب بملامح بحث كنت مقتنعاً به فى وقته راضياً عن مضامينه. وأدركت أن التلفيق لا يصلح الخطأ ولهذا تركته كما كان منذ عشر سنوات.

وإنني أقدمه إلى قارىء اليوم ليقف على جانب من جهد الأمس. وكم أتمنى من الله التوفيق لأفرغ من بحث آخر لمهمة أخرى أقدم بها تصوراً جديداً لأدبنا المعاصر وأتجاوز الاقليمية للشمول وهو مطلب اليوم.

وانا سعيد بمجهودات مماثلة أمدت الساحة الأدبيه بجهود موفقة عن أدبنا المعاصر للدكاتره: عبد الله الحامد. وابراهيم الفوزان. وسعيد بمجهودات سابقة ولاحقة للاساتذه: عبد الله بن إدريس والحلو. وبكرى. والعبيد. وأبى بكر. وزكى. ونوفل. ولرداوى. والمصرى. وأبى داهش. وغير أولئك. انها بحق إضافات جيدة سيكون لها أثر كبير وسيلحق بها أعمال أخرى أكثر شمولا وأعمق أداءاً.

والله من وراء القصد،

حسن بن فهد الهويمل

مقدمة

الحمد لله هو حسبى وكفى.
والصلاة والسلام على النبى المصطفى.
وبعــد :

أضع بين يدى القارىء هذا المجهود المتواضع. وكلى ثقة واطمئنان يدعمهما أننى أكتب بوحى من القناعة الذاتية .. أصدر بكل حرف عن رؤية لا يأخذها بريق الجديد .. ولا تكبلها قدسية القديم.

وحديثى عن اتجاهات الشعر فى نجد .. يقوم على الدراسة والتحليل والمقارنة .. ودراسة الروافد التى تدفقت فى محيط الأدب النجدى وتناول الشعراء داخل إطار كل اتجاه .. مع التركيز على الشاعر الذى يتسم شعره بالاتجاه المدروس. لقد سبقنى بعض الكتاب إلى دراسة هذا الأدب شعره ونثره .. ولكل مجهود محاسنه .. ومساوئه .. ومجهودى يأخذ طريقه مع هذه العطاءات وله نصيبه من الحسن .. والاساءة.

ولهذا البحث .. مصادر ومراجع .. ويهمنى من كل ذلك المصادر وبالأخص الدراسات التى قام بها بعض الأدباء لبعض الشعراء .. أو لجانب من الأدب فى نجد .. هناك دراسات كثيرة قديمة وحديثة بعضها قصر الحديث عن نجد والبعض الآخر شمل الأدب السعودى بمختلف مناطقه. ولكى أضع القارىء أمام الحقيقة أقدم له نبذة عن أهم المراجع :

١ ــ شعراء نجد المعاصرون .. للأستاذ عبد الله بن ادريس .. ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة بالنسبة لنجد ومن المراجع المظلومة فكل من درس الشعر السعودى عامة أو الشعر النجدى خاصة أقام فى مداه لا يخرج منه لغيره إلا قليلا.. ثم يتنكر له .. وان ذكره فبسوء .

فالاستاذ أحمد قبش فى كتابة «تاريخ الشعر العربى الحديث».. لا أقول استفاد منه .. بل نقله بحذافيره .. ولم يشر إلى شيء من ذلك .. وهذا عنصر خطير فى الأمانة العلمية..

والدكتور بكرى أمين أقام عليه صرح دراسته فيما يخص نجد وهو قليل ومع ذلك عرض له عرضاً نقديا .. أما تاريخ الأدب الحديث فى نجد فقد استفاد منه وأشار اليه بأمانة علمية.

ومن جوانب النقص فيه أنه لم يعرض لأهم شعراء نجد كابن بلهيد.. وبن خميس.. هذا عدى بعض الشعراء الآخرين.. وكل أولئك لهم ثقلهم ويعدون من الرواد فى الشعر النجدى.. ويقوم الكتاب على الترجمة.. والمختارات.. والإشارة الخاطفة لبعض خصائص الشاعر.. ويعتبر رصداً منتظماً وهاماً لحالات الولاه لضاعت من حساب الزمن.

والكتاب يفتقر إلى التركيز والوضوح .. كما أنه يفقد إلى جانب ذلك المنهج العلمى فى الدراسة .. فهو يقوم على السرد العفوى الذى تمليه المناسبة.

٢ ــ الأدب الحديث فى نجد .. للأستاذ محمد بن حسين.. محاضرات ألقاها على طلبة المعهد العلمى ثم جمعها فى كتاب. على أن عنوان الكتاب لا يدل على محتواه. فقد أهمل عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء فى نجد فى حين أطال الحديث عن بعض الشعراء .. كما أنه تعرض لشعراء غير نجديين .. ويفقد الكتاب بعض خصائص الدراسات التحليلية .. والكاتب لم يلم بالأدب النجدى شعره ونثره .. مع انه يفقد العمق فى دراسة بعض القصائد .. ويتجلى ذلك عند مقارنته للحجى بإيليا أبو ماضى والمعرى والشابى .. فقد تخيل وجود شبه بينهم لكنه لم يجسده .. كما أن دراسته لابن سحمان تدل على أنه لم يطلع على ديوانه .. لأنه نفى أن يكون لسوى ابن بليهد[١] شعر غزلى فى حين

---

(١) راجع صفحة ٢٩ من كتابه.

ورد فى ديوان بن سحمان.. كما أخطأ فى فهم الرومانسية .. والرومانتيكية .. حيث جعلهما مذهبين مستقلين..

٣ ـــ تاريخ الشعر العربى الحديث.. للأستاذ أحمد قبش.. وهذا الكتاب يقوم على النقول المشوهة من كتاب «شعراء نجد المعاصرون» مع بعض التصرف الخاطىء فى توزيع الشعراء ومجهوده فى هذا المجال لا يتجاوز كتاب ابن ادريس.

٤ ـــ التيارات الأدبية فى قلب الجزيرة العربية.. للأستاذ عبد الله عبد الجبار.. كتاب أكثر تركيزا لكنه بالدراسة الجغرافية أشبه.. وهذه الإطالة فى جغرافية الجزيرة ضيقت نطاق الهدف الرئيسى من الكتاب مع أن بعض أحكامه لا تقوم على خلفيات ثقافية موضوعية.

٥ ـــ الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية.. اطروحة الدكتوراه للدكتور بكرى الشيخ أمين. يعد هذا الكتاب من أوسع ماكتب عن الأدب السعودى الحديث.. ومن المآخذ الهامة على هذه الدراسة :

(أ) التهويل الزائد فى صعوبة الدراسة وندرة المراجع.. وضياع الانتاج.

(ب) ذكر بعض مراجع لم يقف عليها المؤلف والحديث عن شعراء لم يستكمل المؤلف دراسة خصائصهم[١].

(جـ) عدم وضوح الرؤية عنده.. الأمر الذى جعل الكتاب يتسم بالكم لا بالكيف.

(د) أشار الى أن البحث يقوم على العرض والتحليل.. وتحليله يقوم على نثر الشعر وهذا فهم خاطىء[٢].

---

(١) كالشاعر ابن بليهد وديوانه.

(٢) ص ٢٠٥.

(هـ) أضاع جهده بإحصاء أبيات وقصائد بعض الشعراءِ وهو يوحى باعتناء الكاتب بالشكليات[1].

(و) حدد بداية البحث زمانياً ومكانياً بمطلع القرن الرابع عشر للهجرة.. ومكانيا بالمملكة العربية السعودية ودرس شعراء فى القرن الثالث عشر كابن مشرف وابن عمير.. وعن شعراء البلاط الهاشمى[2].

(ز) حديثه عن مصادر الشعر السعودى نهج فيه منهج الأدباء القدامى فى قضايا السرقات.

(حـ) درس الشعر على أساس الأغراض وأعرض عن نهج القصيدة والأداء الفنى والصورة الفنية.

(ط) دراسته للتعليم.. والاعلام.. كروافد للشعر السعودى.. تقوم على السرد الاحصائى والنقول دون توضيح أثرها.. ومدى الدور الذى لعبته فى تنمية المواهب.

ومع كل هذا فالكتاب يعتبر بحق من أوسع وأشمل الدراسات..

قلت.. أن دراستى تقوم على العرض والتحليل.. واستخلاص السمات والخصائص.

وهذا يتطلب أن أدرس الروافد التى كان لها دور كبير فى تحديد سمات الشعر النجدى.. وبالتالى دراسة أوضاع نجد السياسية والاقتصادية والجغرافية.. والدينية.. وهذا ماعملت بالفعل.. أرجو أن أكون قد وفقت لتقديم بحث رائده الاخلاص والصدق..

والله من وراء القصد،،،

حسن بن فهد الهويمل

١٩٧٣ — ١٩٧٤

---

(١) ص ٢٤١ وصفحة ٢٧٧.

(٢) ص ٦، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨.

الفصل الأول
جغرافية الأرض والسكان

يقع إقليم نجد باعتبار وضعه الجغرافى فى وسط جزيرة العرب .. وينقسم إداريا إلى مناطق أصبح لها الآن أهمية كبرى بعد النمو الاقتصادى الذى شمل الجزيرة العربية فى ظل الحكم القائم وتحت تأثير الثروة البترولية التى غيرت ملامح الجزيرة العربية تغييراً جذرياً من كل الوجوه.

وهذه المناطق تحدد بمواقعها حسب الجهات الرئيسية، وهى :

١ ــ المنطقة الشمالية.

٢ ــ المنطقة الجنوبية.

٣ ــ المنطقة الشرقية.

٤ ــ المنطقة الوسطى.

وقد أخذ بهذا التقسيم بعض المؤلفين[١]، فأدخل المنطقة الشرقية فى حدود نجد وهو رأى لا تدعمه الحقائق الجغرافية .. وقد يشفع لهذا الرأى الاختلاف القائم حول ربط مؤدى كلمة «نجد» لغوياً بالمكان المتعارف عليه بين المتخصصين، ومهما اتسعت شقة الخلاف فالأمر جد بسيط مادام «نجد» يقع فى قلب مملكة موحدة الأطراف، إلا أن الحديث الأدبى لا يرتبط بالسياسة وحدودها الاقليمية، فلا بأس إذاً من التعرض لهذا الخلاف، أو لشىء منه ليتمكن القاىء من تكوين رأى سليم متى توافرت أمامه الأدلة

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها «صلاح الدين المختار» وقد جعل المنطقة الشرقية من نجد، وقاعدتها «القطيف».

المقنعة، وكثير من علماء اللغة ربط نجدا بمدلولها اللغوى الذى عناه الأعشى بقوله :

نبيي يرى مالا يرون وذكره اغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

قال ابن منظور فى اللسان «النجد من الأرض، قفافها، وصلابتها، وماغلظ منها وأشرف، وارتفع واستوى، والجمع أنجد، وأنجاد، ونجود نجد».

وقال الألوسى: «ان نجدا قطعة عظيمة من جزيرة العرب تحد شمالا ببر الشام وشرقا بعراق العرب والأحساء، وجنوباً بالاحقاف، وغرباً بالحجاز» وقد أشار إلى أن فى نجد أقوالا كثيرة، ومرجع الخلاف كما قلت ربط مؤداها اللغوى وحددوها باصطلاح الجغرافيين، لكنها مع كثرتها متقاربة ومن الكتاب المعاصرين الذين تحدثوا عن نجد، وجاء تحديدهم دقيقاً، صاحب كتاب التيارات الأدبية فى قلب جزيرة العرب حيث قال «نجد» هضبة مرتفعة مترامية الأطراف تشمل صحراء العرب الوسطى، ويحدها غرباً: الحجاز، وشرقاً: الأحساء، ويمتد جنوباً إلى وادى الدواسر، ويبلغ امتداد نجد من قريات الملح شمالاًإلى وادى الدواسر نحو «٨٠٠» ميل، وتتدرج نجد فى الانحدار العام فى اتجاهين ـــ احداهما: ناحية الشمال والأخرى: ناحية الجنوب الشرقى وتقسم نجد سلسلة من الجبال تسمى العارض تتجه من الشمال إلى الجنوب بشكل قوسى، وبعد منطقة سدير، تتقسم هذه السلسلة إلى شعبتين: احدهما تتجه إلى الجنوب الشرقى إلى أن تغور فى وسط الصحراء وتسمى «العرمه»، والثانية إلى الجنوب الغربى وتسمى «طويق» ويبلغ معدل ارتفاع جبال «طويق» عن سطح البقاع المجاورة ٦٠٠ قدم وتقع منطقة جبل شمر بين الحافة الجنوبية للنفود العظمى من الشمال ووادى الرمة من الجنوب، وبين واحة «تيماء» وغوطة الجوف من الغرب والدهناء مؤلفة من جبلى أجا وسلمى، وتمتد سلسلة جبلى أجا وسلمى من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى فى وسط منطقة شمر،

وتبلغ مساحة هذه السلسلة نحو ١٠٠ ميل طولاًفى ٢٠ ميلاً عرضاً، ويبلغ أقصى ارتفاع فى جبل أجا عند جبل الفرع حوالى ٥٥٠٠ قدم عن سطح البحر، أما جبل سلمى فإنه لا يرتفع أكثر من ١٠٠ متر عن سطح البحر(١).

وتبلغ مساحة نجد حوالى ٦٥٠ ألف ميل مربع، ويضم إقليم نجد عدة مناطق لكل منطقة قاعدة فيها أمير يرجع إليه أمراء القرى والمدن الواقعة داخل هذه المنطقة، ويعتبر هذا الأمير حاكماً إداريا، وتقوم فى العاصمة مكاتب رئيسية تمثل مختلف الوزارات والمصالح والمؤسسات العامة، ويكون لهذه المكاتب فروع فى مدن وقرى هذه المنطقة، ويضم اقليم نجد عدداً من المناطق هى :

١ ــ منطقة العارض: وقاعدته الرياض، وهى العاصمة.

٢ ــ القصيم: وقاعدته «مدينة بريده».

٣ ــ منطقة سدير: وقاعدته المجمعه.

٤ ــ منطقة الوشم: وقاعدته شقراء.

٥ ــ منطقة جبل شمر، وتعرف حديثا باسم «الجبل» وقاعدته مدينه حائل.

٦ ــ منطقة الخرج: وقاعدته الدلم.

٧ ــ منطقة الحريق: وقاعدته الحريق.

٨ ــ منطقة الافلاج: وقاعدته ليلى.

٩ ــ منطقة وادى الدواسر: وقاعدته الدلم.

وترتبط هذه المناطق، وما يتبعها من مدن وقرى ومزارع بالوزارات القائمة فى عاصمة المملكة الرياض، وقد مرت نجد بأطوار مختلفة فى كل أوضاعها، سواء منها السياسى والاقتصادى والدينى والاجتماعى.

ويشغل مساحة نجد الواسعة قبائل كثيرة ومتعددة لعل من أهمها قبيلة، عنزة،

---

(١) التيارات الأدبية ص ٤٥، وراجع «الأدب الحديث فى نجد» تحقيق الدكتور عبد السلام سرحان.

وشمر، والدواسر، ولهدل، وسبيع، وتميم، وحرب، ومطير، والضفير . وغيرهم.

وهى الآن تنعم بالأمن والرخاء تحت ظل الحكومة السعودية الرشيدة وتشملها التسمية «المملكة العربية السعودية».

وفيه نهضة علمية لاتختلف عن بقية الدول العربية المجاورة، فهناك المدارس الابتدائية، والمتوسطة والثانوية وجامعة الرياض بمختلف فروعها وأقسامها وتخصصاتها، وفيها المعاهد والكليات التى تسير على غرار الأزهر الشريف، وتعنى بدراسة اللغة العربية وعلومها، والشريعة الإسلامية وأقسامها كما أن فيها أقسام كثيرة للدراسات العليا، وقد أشرف الأزهر هذا العام على تخريج إحدى الدفعات من معهد القضاء العالى، هذا فيما يخص الدراسات المنهجية، الاكاديمية.

أما عن النشاطات غير المنهجية، فهناك المكتبات الخاصة، والعامة سواء منها مايتبع الجامعات أو المؤسسات الأخرى، وكل هذه المكتبات يختلف إليها طلاب العلم، كما أن هناك مكتبات بلغات أجنبية تتوفر فيها مختلف المعارف، وهناك الصحف والمجلات فى مختلف المعارف والعلوم، منها مايخدم فى مجال واحد، كالسياسة، والأدب، والتربية، ومنها ماهو عام يشتمل على مختلف المعارف والعلوم، بالإضافة إلى دور العلم والمؤسسات التى تقوم بطبع الكتب وإحياء التراث الإسلامى والأدبى، وهناك الإذاعة المسموعة والمرئية.

كل هذه النهضة الشاملة حولت نجد إلى إقليم متقدم فى كل المجالات وهذه الروافد كان لها آثارها الكبيرة فى دفع حركة الشعر والأدب فى نجد بل فى المملكة العربية السعودية ككل يندرج تحتها هذا الإقليم العام من أقاليمها الأربعة.

الفصل الثاني
نجد في فترة التخلف

يمكن أن نصف طبيعة نجد بالسلاح ذى الحدين .. استفاد ساكنوها من طبيعتها الصحراوية القاسية فباتت فى منأى عن أنظار المستعمرين .. وفى حصن حصين عن غزوات المبشرين

ولعل من أهم العناصر الجديدة الطارئة عى بيئة نجد فيما بعد القرن الحادى عشر الهجرى حروب أو حملات إبراهيم باشا وأخيه طوسون مع أن الدافع لها لم يكن الطمع فى خيرات نجد. بل كان الهدف الحد من امتداد النفوذ السعودى فى تلك الرقعة والقضاء على دعوة الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب والتى ناصرها السعوديون.

ثم جاءت رحلات الغربيين أو أنها فى الصحيح زادت وتعددت الشخصيات التى سجلت ذكرياتها فى كتب الرحلات عن مفازات نجد وصحرائها.

لقد صرفت الطامعين طبيعة نجد القاحلة .. وشمسها اللافحة .. فبقيت بعيدة عن الأطماع .. بيد أن النكسات التى منيت بها الأمة الإسلامية والعربية امتد أثرها إلى نجد فمنذ أن دالت دولة بنى العباس حتى قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته لم يبق فى نجد من الشعر والشعراء من حفظ لنا التاريخ شيئاً من أمرهم .. وأمر شعرهم.

ومرد ذلك الضياع والنضوب إلى عدة أسباب من أهمها :

١) النكسات المتتالية التى اجتاحت العالم العربى والإسلامى والمتمثلة بحملات التتار والصليبين وما تلا ذلك من ويلات وضياع .. وقيام حكومات غير عربية .. واستقلال الولات فى ولاياتهم.

٢) الحروب المستمرة بين القبائل العربية التى تسكن نجدا .. فالذى يقرأ تاريخ نجد فى تلك الفترة يدرك أن الحرب قائمة على أشدها والغارات تترى بين القبائل المتجاورة لأتفه الأسباب. وكم من زعيم قبلى يخالف آخر للسطو على خصم قوى فما أن يفرغا من حربهما حتى يتجه أقواهما الى الآخر ليأخذه على غرة.

٣) تعدد الإمارات مع قلة الموارد الاقتصادية فجل اعتمادهم على المواشى والمراعى .. وعلى السطو والنهب وإذا علمنا أن مساحة لاتزيد عن عشرة أميال يشغلها ثلاثة حكام .. ففى الدرعية أمير مطلق الأمر والنهى .. وفى الرياض أمير يتمتع بكامل الاستغلال .. وفى منفوحه أمير له نفس الصلاحيات وبين هؤلاء الأمراء مشاحنات وحروب ومؤامرات تتكرر مع الزمن .. إذا عرفنا ذلك أدركنا عمق الجهل وفداحة المصيبة.

٤) اعتماد البلاد على المراعى التى لا تخصب إلا على الأمطار الموسمية .. ثم تتابع القحط .. ونضوب الآبار .. وهلاك الماشية .. وتشرد المقيمين بحثاً عن المراعى .. أو هروباً عن أعين المعتدين.

٥) غلبة الشعر الشعبى ــ النبطى ــ وإقبال الناس عليه وحفظهم له وتسجيل انتصاراتهم وأحوالهم وخلجات نفوسهم فيه الأمر الذى أزاح عن الحلبة الشعر العربى وأبقى السلطان لهذا اللون .. يؤيد ذلك أن المطبوع منه أضعاف مابين أيدينا من الشعر العربى .. كما يؤيده أن الشاعر محمد بن بليهد ألمح إلى ذلك وقال اننى قرضت الشعر الشعبى لإقبال الناس عليه وحرصهم على روايته وإكرامهم للشاعر الشعبى ثم عدلت عن ذلك فقلت الشعر العربى .. وله شعر عربى .. وشعبى مطبوع. ولقد خلا الجو لهذا اللون ردحاً من الزمن حتى ملأ صدور الرواة .. وكان حديث المجالس .. ومادة الكتب الأمر الذى دفع الدكتور طه حسين الى القول :

«ولسوء الحظ لا يعنى العلماء فى الشرق العربى بهذا الأدب الشعبى عناية ما. لأن لغته بعيدة عن القرآن .. وأدباء المسلمين لم يستطيعوا ـــ بعد ـــ أن ينظروا إلى الأدب على أنه غاية تطلب لنفسها .. وإنما الأدب عندهم وسيلة إلى الدين»[١]

ولأهمية هذا اللون من الشعر سندرسه فى فصل مستقل لأنه يمثل ظاهرة أدبية .. وعقبة فى وجه الشعر العربى الخالص.

٦) حملات محمد علي على نجد وتدميرها تنفيذا لأوامر الباب العالي.

٧) من الأسباب أيضاً الخلاف الذى قام بين أبناء فيصل بن تركى فلقد توفى فيصل ١٨٦٥ ـــ ١٢٨٢ هـ وخلفه ولداه عبد الله .. وسعود وقامت بين الأخوين حروب استمرت ثلاثين عاماً تمكن خلالها آل رشيد من الاستيلاء على بقية نجد .. وكان آخر حرب نفض فيها السعوديون أيديهم من نجد وقعة المليداء سنة ١٣٠٨ هـ نزح بعدها عبد الرحمن بن فيصل إلى الخليج العربى واستقر به المقام فى الكويت وكان معه ابنه الصغير عبد العزيز بن عبد الرحمن الذى أصبح له فيما بعد شأن عظيم غير ملامح الجزيرة العربية.

٨) فصل نجد عن الحجاز ابان الحكم التركى وفرض لغة الأتراك كلغة رسمية فى الدواوين وتبع هذا الفصل السياسى فصل فكرى نحى نجدا .. ومنعها من الالتحام الفكرى بالحجاز الذى كان ملتقى للعديد من الأفكار والمشارب الإسلامية .. ولقد كانت الحالة السياسية والدينية والفكرية ابان الحكم العثمانى فى وضع متردى امتد هذا الأثر إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية بما فى ذلك نجد، يقول عن هذه الفترة المستشرق عبد الكريم جرمانوس :

---

(١) الحياة الأدبية فى جزيرة العرب ٢٥ وطبع المقال ضمن كتاب «ألوان».

«وفى عهد الحكم التركى لم تكن البلاد العربية فى حالة أحسن من حالتها فى القرون المظلمة القاسية وكان السلاطين الأتراك يكتفون بكسب صداقة نفر من الأرستقراطيين المكيين لتنفيذ مآربهم وأغراضهم ..وكانت اللغة التركية لغة البلاد الرسمية .. أما اللغة العربية فكان حظها الإهمال والترك وكان الشعر فى هذه الفترات القاحلة عبارة عن قصائد مهلهلة ركيكة الأسلوب لا تخرج عن باب المدح والثناء(١).

وندرك ذلك واضحاً فى شعر بن مشرف الأحسائى وابن اسحق النجدى(٢)،وندركه أيضا فى العديد من القصائد التى حفظتها لنا الكتب .. كلها لا تخرج فى موضوعها عن المدح والرثاء والعتاب .. والتعريض ولا تخرج فى شكلها عن القوالب القديمة تحت طابع تقليدى متكامل لاتتجلى فيه شخصية الشاعر .. إلا فى الركاكة والضحالة .. والعقم.

ولم يقتصر الأثر السيىء على الأدب والشعر فى الجزيرة بل امتد إلى البلاد العربية وصبغ آدابها .. وعطل أفكارها.

ما أجملته من أسباب وقعت متفرقة فى فترات طويلة من الزمن فمن الأسباب ما قام قبل حركة الاصلاح الدينى التى قام بها ابن عبد الوهاب ومنها ما واكب هذه الدعوة .. ومنها ما جاء فى أثرها .. أو بعدها بزمن .. ومن هذه الأسباب أسباب مباشرة طعنت صميم الحركة الفكرية .. والشعر خاصة .. ومنها أسباب غير مباشرة ساعدت على الركود والتخلف فى مجال الفكر والأدب .. والشعر.

ولقد كان حديثى عن هذه الأسباب مقتضباً .. وكان أملى أن أطيل الحديث عن بعض الأسباب إلا أن كون تلك الأسباب ليست مقصودة بذاتها ولمَّا كان الكتاب والمؤرخون أطالوا فيها الحديث فإننى أجد المسوغ للانصراف عنها إلى غيرها بعد أن قدمت عنها ما فيه الكفاية.

---

(١) المنهل مجلد ١٥ سنة ٧٢ المقال من تعريب أحمد علي.

(٢) لكل واحد منهما ديوان مطبوع.

وما سأعرض له عن الشعر الشعبى من حديث لا يعدوا أن يكون دراسة فنية تحدد أبعاد هذا اللون الذى خلا له الجو فأثرى .. واستشرى.

لقد كان لهذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة أثر كبير على الحركة الأدبية فى نجد إذ جمدت عيون الشعر .. وخمدت جذوة الأدب .. واكتفى الناس بالشعر الشعبى يبثون من خلاله آلامهم وآمالهم ويحملونه الأغراض التى حملها الشعر العربى طوال القرون الخوالى.

فى هذه الفترة المظلمة فترة التخلف بقى فى الميدان لونان من الأدب .. حدد أبعادهما الدكتور طه حسين بقوله: «وعلى كل حال فإن فى الجزيرة العربية أدبين مختلفين، أحدهما شعبى يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير «ويقول» وهذا الأدب ــ وإن فسدت لغته ــ حتى قوى له قيمته الممتازة من حيث أنه مرآة صافية لحياة الأعراب فى باديتهم وهو فى موضوعاته ومعانيه وأساليبه مشبه كل الشبه للأدب العربى القديم الذى كان ينشأ فى العصر الجاهلى وفى القرون الأولى للتاريخ الإسلامى» ويستطرد الى القول «فطبيعى إذن أن يكون الشعر المصور لهذه الحياة كالشعر الذى يصور الحياة الكريمة وأن يكون موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ومخاصمات تدعوا الى الفخر والمدح والهجاء والرثاء وما يثور فى نفس الأفراد من أنواع الآلام واللذات التى تدعوا إلى الغناء بالشكوى حيناً والحب حينا آخر والعتاب مرة ثالثة».

ويقول: «وهذا الأدب العربى الشعبى يرويه فى البادية جماعة من الرواة يتوارثونه عن آبائهم ويورثونه لأبنائهم ويكسبون بروايته حياتهم المادية ومكانتهم الممتازة أحياناً».

ويقول عن الأدب الآخر الذى يقف إلى جانب الأدب الشعبى «أدب تقليدى لايكاد يوجد فى البادية وإنما مركزه الحواضر عادة وهو أدب قد اتخذ لغة القرآن أداة للتعبير، وإذا كان الأدب الشعبى مصوراً للحياة العربية البدوية

تصويراً صادقاً ممتازاً فإن الأدب التقليدى بعيد كل البعد عن هذا التصوير. ذلك لأنه متكلف مصنوع لا صلة بينه وبين الطبيعة الحرة فهو لا يعكس ما يحسه الشعراء والكتاب وإنما يمثل مايريده الشعراء والكتاب أن يضعوه فيه. حظ النفاق فيه أكثر من حظ الصراحة، ثم هو تقليدى لا يصدر فيه أصحابه عن أنفسهم وانما يقلدون فيه أهل الحواضر(١).

هذان اللونان شعبى صادق ممتاز لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ويعبر عن خلجات النفوس.. وتقليدى كاذب مقلد حظ النفاق فيه أكثر من أى شيء. كانا فارسا الحلبة طوال فترة التخلف والجمود.

وما منيت به نجد وعقلها المفكر أصيبت به البلاد العربية.. وتلك سنة الحياة لكل خافقة سكون.. ولكل طائر وقوع.. لكن هذا السكون.. وذلك الهبوط قيض الله له من يزيحه.. وينفض عن آلامه تراب المهانة والمسكنة وهذا ما حصل لنجد فى فتراتها المظلمة واستوت نجد.. واستوى العالم العربى على قدميه محررا أرضه من رجس المستعمر ومحرراً فكره من ظلمة التخلف ومحرراً موارده من الطفيليات المستغلة.. لقد شع النور.. وتمزق الظلام.. وهب النيام من رقدتهم الطويلة.. وتحركوا فى كل اتجاه، المظلوم يكافح لرفع الظلم.. والمستعمر يناشد رحيل الدخيل.. والفقير يحرث الأرض ويفجر الينابيع ليزرع ويحصد.. وتبعاً لكل ذلك انبثق نور العلم.. وأحس الناس فى كل الأرض العربية بحاجتهم إلى العلم فسعوا إليه.

وبعد تطور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تنفس الأدب وصدح الشعراء.. وقامت فى أعقاب ذلك دولة الأدب عربيه خالصة فى أول الأمر وعربية غربية فى بعض الأحايين.. وغربية مستميته فى تقليدها فى أكثر الأحايين.. لقد صبت تيارات الحضارات المختلفة فى مدانا الحيوى فأربكت المسيرة وشلت

---

(١) ألوان ص ٤٠.

الحركة وأصبح الناس فى حيرة من أمرهم لكن هذا الوضع.. وهذا الاتجاه خير ألف مرة مما كان عليه العالم العربى فى سنى التخلف والانحطاط.

الفصل الثالث
الشعر العامي في نجد

قلت أن الشعر العامى.. أو الشعبى.. أو النبطى.. عامل هام من عوامل تخلف الشعر العربى فى نجد.. وكنت قد وعدت بالحديث عنه على أساس أنه لون من ألوان الأدب فى نجد.. وبالتالى عامل بطأ فى تكامل الشعر العربى فى منبع الشعر الأصيل.. ومرتع الشعراء. وكان أملى من الحديث أن يلمس فيه القارىء شيئاً من المتعة.. ويدرك الأسباب الداعية الى اكتفاء النجديين فى عصور تخلفهم بهذا الشعر يحملونه ما حمل الشعر العربى من أغراض .. لقد أولاه كثير من العلماء والأدباء عناية فائقة.. فدرسوه دراسة مستفيضة.. ودونوه فى كتب كثيرة إما على حسب الأغراض.. أو القبائل أو البلاد.. أو العصور. كما أن بعضاً منهم أفرد لبعض الشعراء دراسة فنية تحليلية تناول فيها كل خصائص الشاعر وأغراضه وثقافته.. ولعل مرجع الاهتمام.. والأهمية إلى ما أشار إليه علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر بقوله: «ان هذا الشعر الذى يتناقله رواتها أصبح هو المرجع الوحيد لدراسة أحوال سكان الجزيرة العربية فى مختلف النواحى» ويقول: «وهذا الشعر نفسه يحفظ من تاريخ هذه الأمة ويسجل من مختلف أحوالها مالا نجده مدوناً فى الكتب»(١). كما التوى على البعض فأعرض عنه كارهاً أو متصنعاً لهذا الكره لأن لغته وقوالبه تلويان دارساً ليس من نجد غريبا عن أرض الجزيرة.. فهو على حد تعبيره لا يريد إلا الدراسة الحقة التى تلى الفهم والذوق(٢) لكن هذا الالتواء.. وهذه الغرابة لم تكن حائلاً دون

---

(١) شاعرات من البادية ــ المقدمة.

(٢) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية ص ٢٠٨.

أديب مثل طه حسين الذى أعطى عنه لمحة قصيرة متكاملة.[1]

إن أول مايعرض للقارىء وهو بسبيل الوقوف على هذا اللون من الشعر مطلب النشأة.. ذلك أن معرفة النشأة تمكن الراغب من رصد مراحل التطور والانحطاط.. وهذا مالم يظفر به الشعر الشعبى كما هو الحال بالنسبة لنشأة أى لون من ألوان الفكر كالشعر العربى.. والذى أطمئن لمؤداه أن الشعر النبطى أو الشعبى وجد حين وجدت الأداة التى يعبر بها الناس عن آمالهم وخلجات نفوسهم.. ولغة التخاطب الدارجة هى تلك الآداة.. وإذا عرفنا أن الشاعر ينزع من الموهبة.. قبل أن ينزع من الصنعة عرفنا أن كثيراً من الشعراء الشعبيين ممن لم تتح لهم دراسة الأدب واللغة وتنمية الثقافة بحيث تلتقى الموهبة مع تلك المكاسب الفكرية والمران والدربه وطول الدراسة.. فيكون العطاء عربياً خالصاً لا تشوبه شائبة.. قد تلمسوا لمواهبهم هذه اللغة الملتوية المعوجة. ثم أن المجتمع الذى تفتحت فيه مواهب هؤلاء الشعراء لم يكن على المستوى الثقافى الرفيع بحيث يلتمس الشعر العربى الخالص ليرضى طموحه.. ويشبع رغباته.. بل هو مجتمع بدوى عامى.. أمى يندر فيه من يحل رموز الكتابة فضلا عمن يفرغ للثقافة والقراءة.. و«مطوع».. الهجرة.. أو القرية هو من يحفظ بعض آية من الذكر الحكيم.. وشيئاً من الفقه لا يتجاوز الحفظ إلى الفهم.. ولايغنى الحافظ عن الرعى.. والسقيِ وارتياد المراعى.. لا استثنى من ذلك إلا القليل النادر فى القرى والمزارع المتقاربة.. ولعل للشيخ حمد الجاسر رأى آخر فى تحديد النشأة إذ يقول.:

«والشعر العامى فى الجزيرة هو الشعر العربى القديم باختلاف فى طريقة التعبير.. وهو اختلاف أتى من مؤثرات خارجية».. ومع أننى أومن بأن الجاسر ينزع من قاعدة علمية غزيرة فى مختلف المعارف.. وأغزر فيما يخص الجزيرة

---

(١) الحياة الأدبية فى جزيرة العرب.. بحث طبع ضمن كتاب «ألوان» للدكتور طه حسين.

العربية.. فإننى أرتاب بصحة هذا الرأى.. ولا أريد أن أناقش وجهة نظره، فهذا يجتاز حدود مارسمنا.. بيد أنه يتوارد إلى ذهنى أن هذا الرأى يرتبط إلى حد كبير بنظرية التطور والارتقاء وهى قضية أدخلها فى شئون الأدب الناقد الفرنسى الكبير «بمنتوج» والتى سبقه إليها داروين فى كتابه «أصل الأنواع» وإذا كان يمكن استساغتها على ضيق شديد فى عالم الحيوان والنبات.. فإنها فى عالم الأدب يجب أن تكون على مجال أضيق وهذا الناقد الفرنسى مسك هذه القضيه وأراد أن يطبقها على جميع فنون الأدب الأمر الذى دعى الكاتب الفرنسى «جوستان لانسون» الى القول.. بوجوب عدم تطبيق النظريات العلمية تطبيقاً حرفياً على الأدب.. والفن.. وما رآه الشيخ الجاسر فى نشوء الشعر العامى يلتقى مع هذه النظرية[1].. وهو رأى يفتقر إلى كثير من الحصانات بحيث يفسح له مجال القبول.. ومن يدرى فلعل الجاسر يحتفظ بالبراهين المؤيدة[2] لهذا المذهب.. لكننى رغم ماقيل وما يقال أجد فيما ذهبت إليه من أسباب الوجود أو أولية النشأة ما لا يحتاج إلى إعمال فكر.

هذا وللشعر العامى من الخصائص مثلما للشعر العربى إلا أن العامى لا يرضى بقبول العربية الخالصة ولا يأنس برفعها.. وخفضها .. ونصبها.. ولا يريد الكلمة فى بنائها.. ولابنيتها.. فالذين يقرءون الشعر العامى بالعربية ينزعون منه جرسه الموسيقى.. وينتزعون روحه الشاعره.. ولهذا بقى مغلق الأبواب عسر القراءة بعيد الفهم يمله الذين لا يعرفون مفاتيحه.. وأنت حين تسمعه تطرب له وتستجيده وتحس فيه نوعاً من الإبداع وقدرة على التأثير.. وتسمع منه إيقاعاً موسيقيا أخاذا لا يقل بحال عن روائع الشعر العربى الصليبة.. لكنك حين تقرؤه لا تحس إلا بثقل فى نفسك.. وضيق فى صدرك كأنك طفل يتهجى عند

(١) الأدب وفنونه. للدكتور محمد مندور ص ١٦.

(٢) اتصلت شخصياً بالشيخ الجاسر وسألته عن دعامات هذا الرأى فلم أظفر بخلفيات ذات حقائق مقنعة.

معلم جلف غليظ وإذا أردت أن تقرأه كما نظمه الشاعر فإن عليك أن تلم بلهجة الشاعر.. وأن تعرف مخارج الحروف وطريقة الأداء.. ثم عليك بعد هذا أن تخلص من نحو الكلام.. فالشعراء ينظمون شعرهم كما ينطقون تماماً وقليل منهم يلتمس ذلك عن طريق التصنع. فهم عفويون فى الأداء.. عفويون فى النزوع.. لكن البراعة والموهبة تكون فى تلاحم الأبيات.. وفى بعد النظرة عند الشاعر لملابسات الحياة فى نوعية التجارب والنتائج.

وللشعر العامى وزنه.. وقافيته إلا أن بحوره كثيرة لم يأت الإحصاء عليها.. فلم يتمكن الباحثون من الوقوف على أوزانه.. ولعل الشيخ عبد الله بن خميس.. أول من قام بهذه المحاولة بالنسبة للشعر الشعبى فى نجد.. فقد حصل على عشرين وزناً استخلصها من شعر شاعر واحد.. وهو من الشعراء الفحول المجيدين.. ولم يصل بعد إلى قطع باستكمال هذه البحور.. وتقوم القصيدة العاميه على قافيتين فى الغالب، قافية ملازمه لعجز الشطر الأول. ثم القافية المعتادة.. وهاتان القافيتان من حرف واحد.. وهذا اللون يشبه لزوم مالا يلزم الذى ابتدعه المعرى.. وربما يزيد فى التعنت ويقسو فى القيود.. فقد توصلوا إلى ألوان من القوافى انفردوا بها أو كادوا.. فمن ذلك نوع يطلقون عليه «المربوع» وهو جعل الثلاثة ذات قافية واحدة تختم ببيت رابع له قافية أصلية. هذا إذا كانت القصيدة طويلة.. ولعل هذا قريب الشبه من حيث الشكل بالرباعيات فى الشعر العربى.. كما أن رنته الموسيقية تشبه إلى حد كبير رنة الموشحات الأندلسية.. وتسمى هذه القافية فى البيت الرابع بالرباط .. وقد جاء ذلك فى كثير من قصائد الشعر العامى كما أن هناك لون آخر من النظم يعبر عنه بالألفية.. وذلك بأن يكون مطلع كل بيت قائما على حرف من حروف الهجاء.. كألفية الشاعر محسن الهزانى التى مطلعها:

ألف.. وليف الروح قبل أمس زرناه غرو يسلى عن جميع المعانى

هذا بالنسبة لشكل القصيدة الشعبية من حيث الوزن والقافية.. وهو شكل

أثرى منه الشعر العامى فى إيقاعه الموسيقى.. وقد لانكون مبالغين إذا قلنا أن النغمة الموسيقية فى هذا اللون من الشعر أكثر وضوحاً منها فى أى لون آخر.. ولهذا نجد أن الأغانى الملحنة لا تكون فى الغالب إلا من القصائد النبطية.. الفولكلور.السعودى أو الكويتى على الأخص يجد هذه الايقاعات الناغمة الرائعة.. لكن هذا يتطلب قارئاً خاصاً يدرك البعد الصوتى الملائم لذوق الشاعر لكى يتمكن من تكامل الايقاعات الموسيقية.

أما عن بناء القصيدة العامية فى نجد فالدكتور طه حسين يقول: «والقصيدة العربية الشعبية الآن كالقصيدة العربية القديمه تبدأ بالغزل القليل البسيط المؤثر ــ ثم تنتقل الى وصف الإبل والصحراء فتطيل فى ذلك.. ثم تصل إلى غرضها من مدح.. وفخر وغيرهما من فنون الشعر»[١].

والدكتور طه حسين يترسم فى هذا خطى ابن قتبه فى حديثه عن نهج القصيدة العربية فى كتابه المشهور «الشعر والشعراء».. وهو مانلمسه واضحاً فى كثير من القصائد العامية لكنه ليس من المتعارف عليه كما هو فى القصيدة العربية.

والذين يتخذون هذا المنهج كثيرون منهم الشاعر الشعبى محسن الهمزانى.. ومحمد بن لعبون.. ومحمد العونى وإذاً فالقصيدة العامية.. تسير فى كثير من أحوالها على سمت القصيدة العربية فى سابق عهدها لاتخرج عنه إلا فى القليل النادر.. وذلك فى الخصوصيات.. أو الاخوانيات.. أو القصائد الرديه.. أو النقائض العامية.. ومع هذه المسايرة فى بناء القصيدة نجد أن الشاعرالشعبى تناول الأغراض التى طرقها الشعراء العرب ولم يكن فى ذلك مقلداً عن سابق علم.. ولكن التقليد العفوى والذى قصده البدوى.. وجاء ليلبى حاجات المجتمع البدوى الذى يشبه إلى حد كبير حاجات الشاعر العربى القديم..

---

(١) ألوان للدكتور طه حسين.

ومما جد من أغراض أو ماتطور من أغراض.. موضوع النقائض.. ونحن نعرف نقائض جرير والفرزدق. يقول جرير مثلا قصيدة فيأخذها الفرزدق وينظم على وزنها وقافيتها قصيدة أخرى ويتنقض معانيها بيتاً بيتا .. والذى جد فى الشعر العامي لون يسمى «الرديه» ويمتاز بالارتجال.. ووقوف الشاعر أمام الشاعر.. وكثيراً ما يتسم هذا الموضوع بالرمز المغرق فى الرمزية. فالمستمع يقف يسمع ولا يعى أهداف الشاعرين. ومراميهما إلا فى النهاية.

أما بقية الأغراض فهى متشابهة إلى حد كبير. ففى المدح نجد أن كثيراً من الشعراء العاميين قد أفاضوا فيه.. فمدحوا الأمراء.. والعلماء .. إما رهبة.. أو رغبة والتمسو فى مدحهم الهبات.. وبقدر ماعرف الشعراء العظماء الطريق لكسب المال عرفه أولئك.. فتعرضوا فى مدحهم للبطولة.. والكرم .. والشهامة.. والعفة.. والإيثار وكان تدرجهم فى بناء القصيدة وفق ماتجلت به القصيدة العربية فهم يصفون الراحلة والرحله.. وما لاقوه من عناء السفر .. ثم يسرفون فى وصف حالهم.. ومن يعولون.. وقليل منهم من صرف نفسه عن الكسب.. والشاعر محمد العونى من الشعراء السياسيين الذين أضرموا نار الحرب فى كثير من الأحيان لما وهبه الله من قدرة على الإثارة وكان كثير التقلب عميق الأهداف واسع الأفق.. فكان لقصائده أثرها البالغ وصداها المدوى فى أفق السياسة والحرب فى نجد.. وباستعراض لون من مدائحه تشم فيها رائحة الحرب .. وتلمس فيها نزعة الاعتداء فهو يمدح آل سعود حين تلوح بوادر النصر لهم.. ثم ينقلب عليهم حين يخشى هزيمتهم.. وهو فى كثير من الأحيان يحرض فئة على أخرى.. لكنه رغم كل ذلك شاعر فحل تلمس فيه متانة الأسلوب وعمق الفكرة ودهاء التصرف.. ولا استبعد أن يكون كثير الشبه بمنازع المتنبى.. فله رغبات.. ونزعات وتطلع إلى الزعامة وله ديوان مطبوع ضمن قصائد أخرى لغيره.. ومن أبرز قصائده المثيرة قصيدة تعارف الناس على تسميتها «بالخلوج» وهى شائعة ذائعة يحفظها كثير من هوات الشعر العامى ويلمسون فيها معانى كثيرة

وعميقة.. ومن مدائحه فى آل سعود قوله :

حر الى منه شهر وادرج الحوم ... عقبان نجد عن مراميه تنحال
سبع ضروم يفصم العظم ملحوم ... حراب ضراب حمول وزعال
ريف على العانين نصر لمظلوم ... سوء على المسوين قصاب الاجال

انه كما قلت نزاع إلى الحرب متطلع الى القوة يدفع بشعره الجموع فى آتون الحرب.. فهو يصف الممدوح بـ «لحر» وهو الصقر إذا شهر وارتفع فى الفضاء.. وأدرج الحوم.. بمعنى واصل الدوران فى السماء وعيونه فى الأرض يبحث عن الفريسة.. ويعنى بالعقبان الخصماء.. وهو العقاب.. هذه العقبان.. تبتعد عن مواطنه لأنها تخافه.. وهو وصف فى منتهى المبالغة.. وإذا كان الممدوح فى السماء صقر مهيب.. فإنه فى الأرض ـــ سبع يصطرم ـــ يقصم العضم.. وملحوم.. اى موصوف بكثرة الافتراس.. فكل ماشهر أصاب فريسة وهو يحتمل المصائب.. على غرار الواتر والموتور ويغضبه الاعتداء .. ولا تنفرد به صفة الاعتداء والقوة فى السماء والأرض.. ولكن إلى جانب ذلك كالارياف المخصبة للقاصدين.. ينصر المظلوم.. ويفك الأسير.. وهو سوء ودمار للذين يسيئون إليه.. وهو يقصف الآجال ويميت الأعداء.. هذا اللون من المدح وهذه الصفاة البطولية لا تجد فيها الوجه الغريب.. فهى تلتقى مع الفخر والمدح فى الشعر العربى فى كثير من الخصائص.

هذه القصيدة يتكامل فيها البناء تكاملاً فنياً بديعاً إلى جانب استيفائه لمطالب المدح التى يتطلبها أمير لم يفرغ بعد من حروبه وغزواته .. وعلى هذا النمط تسير القصيدة العامية فى المدح تلتمس من الخصائص ما يناسب الممدوح.. فما يتطلبه الأمير المحارب يختلف عما يتطلبه حين تضع الحرب أوزارها. وما يتطلبه الغنى المحسن غير ما يلتمسه العالم أو الزعيم.. أو الكريم.

و مايقال فى فن المدح يقال فى فن الهجاء.. والشاعر العامى يبدع فى هذا

قدر ابداعه فى ذاك والشاعر الذى لم يهج لم يكن عاجزاً فنياً.. فكما ترفع الشعراء الفصحاء عن الهجاء.. كذلك نجد من العاميين من ترفع عن ذلك عفة وشهامة.. وكرماً.. وهذا أحدهم حين سأله سائل عن احجامه عن الهجاء قال: إن الذى يستطيع أن يقول أنك كريم شجاع يستطيع أن يقول أنك بخيل جبان.. لكنها العفة والأنفة تحول دون ذلك.

وفى الشعر الشعبى هجاء سياسى.. وقبلى.. وهجاء يمس الأخلاق ويمس الجسم وهو المعروف بالهجاء الكاريكاتيرى.

فعن الأنساب والأحساب وأثر العرف أفاض الشعراء وأكثروا.. قال أحدهم

العبد عبدها فيات اصوله ان جاع باق عمومته وان شبع ماق

وهو ما أفاض فيه المتنبى فى هجاء كافور حين خيب آماله وكبح جماحه وروض طموحه وفى الهجاء الجسمى «الكاريكاتيرى» قال الشاعر الشعبى

جل الخالق ياخشم له لو هو يشوفه ماشاله
كنه فين احمار قاحل له زمان فى مزباله

ولهم فى هذا المجال قصائد كثيرة تشبه إلى حد كبير قصائد ابن الرومى التى امتاز بها.. وهم فى كل ألوان الهجاء يقذعون.. ويسفون ويتناولون المهجى من كل أطرافه فلا يدعون شاردة ولا واردة من المهازل والمخازى إلا وصفوها فى بناء القصيدة.. وهذا الاسفاف والاقذاع يلتقى فى كثير من الوجوه مع هجاء بشار لحماد.. أو هجاء حماد له.. وملاحاة جرير والأخطل .. والفرزدق.. والبغيث هذا إذا كان الهجاء بين شاعر وآخر حين لا تدخل السياسة.. أو الوطنية فإن دخل شىء من ذلك اختلف الهجاء حسب مقتضيات الأحوال.. والشاعر العامى حميدان الشويعر من أبرز الشعراء فى هذا المجال ويشبه الحطيئه وبشارا فى كثير من اتجاهاتهم فهو سليط اللسان رقيق الدين. هجا كثيراً من المدن.. وأمعن فى الهجاء حتى فى قصائده التى تأخذ لون النصائح لاتخلوا من نقدات عابرة تصور منحط الأخلاق وسفساف الأمور وأغلب شعره

لم يدون لاسفافه وتشهيره في مدن كثيرة ولكن الرواة يحفظون الشيء الكثير منه لضرامته وطرافته.. ومع أنه مسف في كثير من قصائده.. نجد له قصائد ذات أثر ديني وأخلاقي. وهو بهذا يشبه بعض الشعراء الذين جمعوا بين التدين والمجون. والزهد والحكمة والخلاعة وتجلى ذلك في العصر العباسي وطرقوا أبواب الحكمه فأجادوا.. ومن ذلك الشيء الكثير للشاعر راشد الخلاوى الذى أفرد له الشيخ عبد الله بن خميس دراسة واسعة قيمة حلل فيها كثيراً من قصائده.. وأغلب قصائد راشد الخلاوى في مجال الحكمة مستقاة من قصائد المتنبى من ذلك قوله :

من لايحصل بأول العمر طوله فهو عاجز عنها اذا صار شايب
ومن خاب في أول اصباه في الثناء فهو لازم في تالى العمر خايب

وهو شاعرمجيد.. وله حكم كثيرة يرددها الناس في مسامراتهم ومجتمعاتهم ويستشهدون بها كلما عرضت لهم عارضة.. وأشعاره تدل على أنه حفظ شعراً عربياً كثيرا.

وفي الشعر العامي مراثي كثيرة بالغة الأثر عميقة الأسى كقول نمر بن عدوان.

لى ونة من سمعها ماينام كنى صويب بين الاضلاع مطعون

وأنت ترى أنهم جميعاً يعمقون في وصف آلامهم.. ويسرفون في تصوير أثر المصاب عليهم إلى الحد الذى لا ترى لهم معه باقية.. وهذا لا يتجاوز أسلوب الشعراء الذين أرهف الله إحساسهم.. وشب عواطفهم ثم أن طبيعة نجد وما اعتورها من حروب.. وما أصابها من قحط.. وما هي بحاجة إليه من أيد متعاونة وجهود متظافرة.. وفئات متظاهرة.. للرعى.. والسقى والظعن.. والإقامة.. والحماية تجعل للفاجعة بالموت أثراً عميقاً وجرحاً ينزف دماً.. كذلك فإن أثر الدين واضح في مراثيهم فهم يربطون كل ذلك بالقضاء والقدر.. ويحتسبون الأجر عند الله.. ويدعون للمفقود بالمغفرة.. وهذا الأثر يبدو واضحاً في كثير من قصائدهم والشعراء العاميون جميعاً أفاضوا في تصوير البيئة النجدية بما فيها

من عوامل طبيعية وسياسية واقتصادية.. ودينية. حتى أن الطبيعة النجدية تجلت بوضوح فى كثير من قصائدهم على مختلف أغراضها.

وإنك لتجد ذلك واضحاً فى المدح.. والفخر.. والغزل.. وفى الوصف على وجه الخصوص وإذا كان الشعر الأندلسى مأخوذاً بطبيعة الأندلس الخضراء ومياهها الرقراقة.. وأشجارها الغناء وطيورها الصادحة.. ونسيمها العليل.. وحياتها الناعمة الحالمة.. فإن الشعر الشعبى النجدى مأخوذ أيضاً بطبيعة نجد القاحله.. وجبالها الشامخة الصلبة العنيدة.. ووحوشها المفترسة .. وشمسها اللافحة ورمضائها المحرقة.. وهو أيضاً مأخوذ بحياتها الناعمة الناغمة.. حين تنهمر السماء فى أعقاب الرعد والبرق وتهتز الأرض وتربوا ثم تتفتح عن مختلف النباتات فتكتسى حللها السندسية ذات الألوان الزاهية وحين تهب النسائم وتهيج صبا نجد.. وحين تتناثر الأنعام من إبل.. وغنم فيختلط ثغاؤها. ورغاؤها بنباح كلابهم.. وحداء رعاتهم حين يكثر الخير.. فيتخذون من أصوافها.. وأوبارها.. وجلودها ولحمها.. ولبنها مايملء عليهم حياتهم سعادة وهناء واطمئنان وغناء هذه الطبيعة بأشكالها وألوانها يصورها الشاعر الشعبى تصويراً اميناً دقيقاً فتروق لك الحياة البادية حين تمطرهم السماء رزقهم وتكرهها حين تتحقق فيهم رؤيا يوسف فى بقراته العجاف التى تأكل السمان.

ولعل ألطف الفنون وأرقها.. وأصدقها عاطفة.. وأحبها الى النفس مما طرق الشعر العامى مع ماطرق من فنون الشعر العربى.. فن الغزل.. فمع أن الشعراء النبطيين لم يخرجوا كثيراً عن مميزات وخصائص الغزل العربى فإن غزلهم طريف جديد.. وعفوى مسرف فى المبالغة.. لكنه صادق المعاناة.. فهم فى غزلهم صادقون مخلصون لا يتكلفون ولا يريدون أن يتكلفوا وهم يحبون عن صدق.. ويناجون عن حب.. وإذا ما أسرفوا أو ألحوا فى الإسراف فهو إسراف تتطلبه طبيعة الشعر.. وأنت تلتمس الغزل الحسى واضحاً كل الوضوح فى شعرهم فهم يصفون النهود بالفناجيل.. ويصفون البياض بضوء السراج والخدود بالبدر

ولكنهم إلى جانب ذلك يصفون آثار الهجر والصدود عليهم .. فالذى يرجو وصل النساء لا يستفيد منهن.. يضحكن كثيراً فى دلال وهن يعطين الوعود.. ويكثرن الكلام المدل الذى يملأ الصدر فرحة.. ويطرب الأسماع.. ولكن الوفاء قليل والإخلاص أقل.. والمحبوبات ينصرفن راغبات فى الانصراف ممعنات فيه حين يلوح الشيب فى عارض الإنسان ويدب الوهن فى أوصاله .. لا يراعين فى ذلك الله ولا الذمة.. لقد طرق الشعر العربى كل هذه الأغراض لكنها فى الشعر النبطى بأسلوبه.. وببراءته ذات أثر بالغ.. وتصوير بديع لأن ذلك يمس الحياة العامة عند الشاعر مساً مباشراً من غير غلو ولا كذب.

ولا يخلو الشعر العامى من الوجوه البلاغية التى جاءت عفوياً وبدون تكلف أو جلب مستكره فهناك التشبيه المقلوب.. والضمنى.. وهناك المجاز اللغوى.. وهناك الاستعارة التصريحية والكتابة كقول محمدبن لعبون:ـــ

عفيـــــف الجـــــيب ماداس الملامـــــا
ولا وقـــف علـــى طرق المخـــازى

وهناك الجناس كقول عفالق : ـــ

وش حال نفسى عذبت فى هو البيض
عوارض بعـــــد التجافـــــى غلان بيض

وهى وجوه بلاغية مستعذبة لان الشاعر لا يعرف البلاغة ولا أنواعها وتقاسيمها فهو فى ذلك كالشاعر الجاهلى يهمه تنقيح قصيدته.. والارتفاع بها عن مستوى الهفوات والاسفاف.. من أنه لم يدرس نحوا ولا بلاغة.. لأنه ليس فى حاجة إلى شىء من ذلك.. وهكذا نجد الشاعر العامى.. يعيش داخل إطار عاميته.. وأميته يهمه أن يرضى طبقته.. ويوافق ذوق زملائه من الشعراء.. بيد أن الجاهلى استعمل اللغة فى وقت صحتها وسلامتها.. ووجدها العامى مريضة مشوهه فركب كل من الشاعرين راحلته على مافيها من صفات دون أن يحتاج إلى شىء من

الحصانات.. فكانت العفوية والسليقة فى كل منهم عاملاً من عوامل الخلاص من التكلف والصنعة.

وإذا كان الأدب العربى قد أثرى من النقائض بين الفرزدق وجرير.. فإن الشعر العامى هو الآخر قد أثرى من هذا اللون .. وهو يختلف عن «الرديه» التى عرضنا لها فى صدر هذا الحديث .. ويلتقى مع النقائض العربية لقاءاً مباشراً .. فهناك نقائض الشعراء الذين حدتهم السياسة .. أو مطالب القبيلة إلى هذا اللون من الشعر .. فابن لعبون حين يقول :

يمناك تقصر عن فعل نية الخير ومن المراجل ماذكر بك ثماره

يجيبه بن ربيعة بقوله على نفس الوزن والقافية :

خذ ماتراه وخل عنك التفاكير ياقلب بالى كل ماجاه داره

والشعراء العاميون متأثرون بالشعر العربى .. وهو تأثر يقع بين احتمالين :

إما أن يكون توارد خواطر أو كما قيل وقوع حافر على حافر .. وهذا الاحتمال تعززه أمية الشعراء العاميين .. وبعد احتمال تداول دواوين الشعراء الفصحاء.

وإما أن يكون الشعراء العاميون يحفظون شيئاً من الشعر الفصيح ويصدرون فى نظمهم منه وهذا بعيد الاحتمال .. وقد ألف «الزامل»[1] كتاباً أورد فيه توافق الفصحاء والعاميون فى كثير من المعانى .. فمن ذلك : قول الشاعر بن لعبون.

فى صحصح كنة ظهر الترس مقلوب طرب به الجنى على فقده الذيب

وعند العامة أن الذئب يأكل الجن .. ولهم فى ذلك حكايات وأساطير شعبية[2] فى غاية الطرافة والغرابة هذا البيت الذى نظمه الشاعر ابن لعبون لا يخرج كثيراً فى مؤداه عن قول الشاعر الأعشى

---

(١) عبد الله الزامل شاعر شعبى من مدينة عنيزة وصاحب اهتمامات تراثية.

(٢) راجع سلسلة «من أساطيرنا الشعبية» للأستاذ عبد الكريم الجهيمان.

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن فى الليل فى حافاتها زجل

ويقول بن سبيل وهو شاعر شعبى مشهور:

الى عطوا يعطون روس البعارين وان فات منهم شيء ماحسبوبه

ويقول جرير فى هذا المعنى:

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية وليس فى بذلهم من ولا سرف

وتقول الشاعرة ميسون :

لبيت تخفق الأرواح فيه احب الى من قصر منيف

وميسون صاحبة الحكاية الطريفة مع معاويه بن ابى سفيان .. وقد وقع لشاعرة شعبية بدوية مثلما وقع لأختها .. واسمها شاشا البقمية فقالت :

القلب كنه يشعر وله بالأمواس من طين حضر حجر وابه عليه[1]

وقد تعرض الشعر النبطى لكل المعانى والأغراض التى عرض لها الشعر. فنجد أن الشاعر الشعبى حث على الصمت .. والمودة .. والمشورة .. والصبر .. وإكرام الضيف .. وحسن الجوار .. وطلب المعالى .. وطرقوا كل الأغراض التى طرقها الشعر العربى[2]،

وهكذا نجد أن الشعر الشعبى قد أشبع نهم النجديين وأغناهم عن الشعر العربى فترة ليست بالقصيرة .. فطرق لهم كل الأبواب .. وأعطاهم مايريدون بلغتهم الملتوية الساذجة التى لا تكلفهم عناء الدرس ومشقة البحث والتنقيب .. وكان سده لحاجاتهم سبباً فى صرفهم صرفاً قوياً وتاماً عن الشعر العربى .. يدل على ذلك ما حكاه الشاعر محمد بن بليهد من أنه يجيد نظم الشعر العربى الفصيح .. ولما نظم به كان ذلك سبباً فى انصراف الناس عنه وعزوفهم عن رواية شعره الأمر الذى جعله يرفض هو الآخر هذا اللون الغريب من الشعر ويتجه

(١) راجع كتاب شاعرات من البادية.

(٢) أضواء على الأدب الشعبى الجزء الأول.

إلى الشعر العامى ينظمه فى المناسبات ليضمن الرواج والرواة .. وليخاطب الناس باللغة التى يفهمونها ويطربون لها.

وإذا اعتبرنا الشعر العامى من عوامل تخلف الشعر العربى فإننا لم نجازف ولم نتحامل بل قلنا الحق .. والصدق .. والواقع.

وما مُنِيَ به الشعر العربى فى نجد لا نستبعد أن يكون قد مُنِيَ به فى كثير من البلاد العربية .. فلكل بلد عربى لونه الشعبى الرائع المقبول .. وله شعراؤه الذين يحفل بهم العامة .. ويجلونهم ويرددون أشعارهم فى أنديتهم ويتغنون بها فى مواسمهم .. إلا أن النهضه الحديثة التى غمرت نجد ودخول الثقافات إلى نجد من كل حدب وصوب قلص ظل هذا اللون من الشعر وضيق عليه الخناق ثم إن المجيدين منهم أفناهم كر الجديدين وخلت الساحة منهم .. وبقى فئات من الشعراء الذين لا يتجاوز الشعر تراقيهم يملئون أفق الحياة بأشكال من الشعر العامى الباهت الذى يتعرض بعد سماعه لعدم قدرته على البقاء والاستمرار.

تلك لمحة سريعة عن الشعر العامى فى نجد عرضناها بإيجاز شديد نرجو ألا يكون مخلاً وأملى أن يقف القارىء على هذا اللون من الأدب الذى عوق تكامل الشعر العربى فى مطلع هذا القرن .. ثم بدأ ظله ينحسر أمام هذه النهضة العلمية المباركة .. التى شملت كل أنحاء المملكة بواديها .. وقراها .. ومدنها وبلدانها .. ثم تفشِّى الثقافات العربية .. والأجنبية التى تدفقت على الجزيرة من كل الآفاق يحملها الأثير وتحملها الكتب .. وتحملها الأدمغة المفكرة الواعية المدركة.

ففى هذا العهد الزاهر أصبحت مختلف الثقافات فى متناول يد الطلاب والمتخصصين على حد سواء.. وهو ما أزاح هذا اللون من الشعر أو حدد إقامته بعد ماكانت له الهيمنة وبيده السلطة الفكرية.

إننى لا أريد رفض هذا اللون الشعبى المرح.. لكننى لا أريد إثراءه على حساب الشعر العربى.

الفصل الرابع

مكانة نجد في الشعر

كانت نجد فى الجاهلية وإلى ماقبل سقوط الدولة العباسية مصدر الشعر وملتقى الشعراء.. منها انبثق الشعر.. وفى ربوعها درج الشعراء وعلى أديمها رقصت الأسلات.. وترنم الحدات.

ففحول الشعراء.. وأصحاب المعلقات الخالدات نبتوا.. وترعرعوا .. وصدحوا فى النجاد.. والوهاد وإن كان واحداً أو أكثر لم يولدوا فى نجد فإنهم درجوا وعاشوا فيها وتغنوا بمرابعها.. وجاسو خلالها فعاقروا الخمر ولاعبوا النساء.. وهاموا فى أوديتها.. يلتمسون الأوابد.. ويطاردون الشوارد.

فامرؤ القيس نجدى وإن قيل ماقيل عن قحطانيته.. أو يمانيته.[1] وأما طرفه ابن العبد.. والأعشى ميمون بن قيس.. والحارث بن حلزه اليشكرى فهؤلاء الشعراء من بكر بن وائل.

وأما عمرو بن كلثوم.. فهو من تغلب بن وائل.. وبذلك يكون الأربعة من شعراء المعلقات من ربيعه وعنتره بن شداد.. وليد بن ربيعه.. والنابغة زياد بن عمرو.. وزهير بن أبى سلمى وعبيد بن الأبرص فهؤلاء الخمسة مضريون.. أربعه من قيس عيلان وعبيد من أسد بن خزيمة.

وجبل شمر من نجد ومن أبرز شعرائه السموءل.. وحاتم الطائى.

ومن الشاعرات صفية الشيبانية.. وتماضر السلمية.. وسمية العبسية.. وليلى العفيفة بنت لهكيز والتى من مشهور شعرها:

---

(١) كتب الدكتور منير العجلانى فى تاريخ البلاد السعودية صفحة ٤٣٨ بحثاً موضوعياً عن هذا الموضوع قال فيه «الحقيقة هى أن امرأ القيس نجدى بكل معانى الكلمة فقد ولد فى نجد.. وأبوه ولد فى نجد.

ليت للبراق عينا فترى ماألاقى من بلاء وعناء[1]

كل هؤلاء نبتوا فى صحارى نجد.. وتمتعوا من شميم عراها.. ورددت أصداء أهازيجهم شم الجبال.. فخلدت نجد بخلود هذه الغرر من القصائد وسمت بسمو تلك القلائد على جيد التاريخ. وعرف كل ناطق بالضَّادِ هذه المكانة وتلك المزية.. فما انكرها.. ولا تنكر عليها من ولدها علق ولا بار.. وبقيت تلك المفاخر لهذه الصحراء الشحيحة على أبنائها كما صورها الشمقرى بقوله:

واغدو على القوت الزهيد كما غدى أزل شهاداه التنائف اطحل

هذا بالنسبة لمكانة نجد وحظها من الشعر والشعراء فى متاهات الجاهلية ولها نصيب لا يقل فى عهد الإسلام..

فجرير.. وذى الرمه.. ويزيد بن الطثريه.. ومروان بن أبى حفصة وبكر بن النطاح.. ويحى بن طالب.. والحطيئه.. وشعراء لا أحصى لهم عدداً كل أولئك عاشوا فى ربى نجد.. وتغنوا بها.. ولها.. واستلهموا شعرهم من مرابعها.. ولورحت أدون ماقيل فى نجد من الشعر لما أفضيت إلى نهاية ولا شارفت على غاية ولعل من الخير لي وللقارىء أن ألتمس فيضاً من فيض.. وأغرف بيدى غرفة من نهر ليكون عربوناً.. وفاتحة.

فالشاعر القشيرى يناجى صاحبه وهو يغذ السير لمبارحة نجد.. ويطلب منه أن يتمتع بذلك الشميم الذى ينفح به عرار نجد.

أقول لصاحبى والعيس تهوى بنا بين المنيفه فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ألا ياحبذا لفحات نجد وريا روضه بعد القطار

ومن يريد تلك النفحات فى أعقاب القطار.. نجد إلى جانبه من يناجى صبا نجد التى هاجت فهيجت وجده وزادت آلامه.. يقول الخثعمى:

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

---

(١) المصدر السابق.

وهذا المجنون الذى يتغنى بليلاه.. لا يبخل على نجد التى اقلت أرضها محبوبته

ألا ليت شعرى عن عوارضتى قبا لطول الليالى هل تغيرتا بعدى
وهل جارتانا بالنثيل الى الحمى على عهدنا ام لم تدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

ولا تبرح نجد خدن المحبوبات.. ونفحاته .. وصباه.. منتهى أمانى المحبيين يقول الحطيئه الذى تنكر لنفسه ولأقرب الناس إليه :

الا طرقتنا بعد ماهجعوا هنـد وقدجزن غورا واستبان لنا نجد

ويقول الصمه بن عبد الله:

حننت الى ريا ونفسك باعدت فزارك من ريا وشعبا كمامعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجـد عندنـا أن يودعـا
بنفس تلك الارض ماطيب الربى وما احسن المصطاف والمتربعا

ونجد وهى الصحراء القاحلة اللافحة التى لاتجود إلا إذا جاء القطر وجودها وريها لايدوم.. هذه الصحراء الموحشة تكسوها المواهب أبهى الحلل.. وتضفى عليها العواطف أجلى المناظر.. هذا الثناء الذى تمليه عين الرضاء يومىء بلون آخر بعيد عن الطبيعة ومعطياتها ذلك هو المعاهد واللقاءات بين محب مقيم ومحبوب مدل والمحبون يذكرون مرابع الحب.. ويتصورونها جنات خلد تتدفق فيها الأنهار وتحوم عليها الأطيار وتتدلى فوقها الثمار.. وما هذا إلا أحلام يقظة.. وتعلات يلهو بها المكلوم.. ويأسو بها الجريح آلامه.

يقول جرير:

أحب ثرى نجد وبالغور حاجة فغار الهوى ياعبد قيس وانجدا

ويقول المرار الفقعسى:

أذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك ممـا تشكـوان طبيب

ويقول اعرابى:

اكرر طرفى نحو نجد واننى اليه وان لم يدرك الطرف أنظر

حنينا الى ارض كأن ترابها اذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كان الاقحوان بروضه ونور الاقاحي وشي برد محبر
أحن الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقتصر

وقال آخر:

فياحبذا نجد وطيب ترابه اذا هضبته بالعشى هواجنه
وريح صبا نجد اذا ماتنسمت ضحى أو سرت جنح الكلام جنائبه

وانا لنلمس التغنى بنجد مرتبطه بناحيتين أو ثلاث.. بالمطر حين ينزل.. وبالريح حبن تهب.. وبذكريات الحبيب الذى عاش فرحل.. أو رحل عنه.

رأيت بروقا داعيات الى الهوى فبشرت نفسى ان نجدا اشيحها
اذا ذكر الأوطان عندى ذكرته وبشرت نفسى ان نجدا اقيمها

وهذا البرق الذى يبشر بالمطر.. أو يذكر بحادثة حب.. يحرك المشاعر.. ويهز الوجدانات.. وكل الموحيات تدفع بنجد على ألسنة الشعراء النجديين.

الا أيها البرق الذى بات يرتقى ويجلو ذرى الظلماء ذكرتنى نجدا
الم تر أن الليل يقصر طوله بنجد وتزداد الرياح به بردا

وكم من شاعر يحن إلى نجد.. ويجتر الذكريات.. ويرقب لوامع البرق لكن الوصول إلى نجد عسير.

احن الى نجد وانى لآيس طوال الليالى من قفول الى نجد

وبغداد حاضرة العباسيين وملتقى الثقافات.. وسوق الشعر.. وبلد الخصب والخير.. بغداد الذى تتدافع إليه القوافل تحدوها شتى المطالب .. ومختلف الرغبات لا يساوى شيئاً بالنسبة لنجد لأن في نجد ذكريات الحب.. وملاعب الصبا.. وأيام الأنس قسوتها عطف.. وذلها إكرام.. وجوعها شبع على حد قول الشاعر:

بلادى وان جارت على عزيزة وأُهلى وان ضنوا على كرام

كثير من شعراء نجد ساقتهم الرغبات والأطماع أو الحاجة الملحة إلى بغداد فضاقوا بها وبأهلها.. وتمنوا نجدا رغم قسوتها وعبوسها.

فذا العرش لا تجعل ببغداد منيتي ولكن بنجد حبذا بلدا نجد
بلاد تأت عنها البراغيث والتقى بها العين والآرام والغفر والرفد

وقال آخــر :

كأنى ببغداد وان كنت آمنا طريد دم نائى المحل غريب
فيالائمى فى حب نجد وأهله أصابك بالأمر المهـم مصيب

وفى بلد الشام.. الأرض الطيبة التى حباها الله بالماء.. والخضرة ..والوجه الحسن.. هواء عليل.. وماء عذب وأطيار.. وثمار.. وكل شيء تشتهيه الأنفس.. وتلذه الأعين فى هذا البلد يتساءل الشاعر عن المحزونين ليواسيهم.

خليلى هل بالشام عين حزينة تبكى على نجد لعلى اعينها
فياحبـذا نجـد وطـيب ترابـــه وغلظه دنيا اهل نجد ودينها

وقـال آخــر:

لعمرى لمكـاء يغنـــى بقفـــره بعلياء من نجد علا ثم شرقا
احب الينا من هديل حمامة ومن صوت ديك هاجه الليل ابلقا

حتى الجثمان يشح به الشاعر على غير نجد لا لشيء أكثر من علوقه بأرضه وتمسكه بمرابضه.

خليلى ان حانت بحمص منيتى فلا تدفنانى وارفعانى الى نجد

تلك طائفة من الشعر الذى قاله الشعراء النجديون القدامى.. توخينا فيه الايجاز والاجمال.. وما قاله المعاصرون فى نجد من الحنين والشوق يفوق ذلك كثيراً واذا رضينا عن الشعراء المهجرين الذين صدحوا ببلادهم فى بلد الغربة.. أو قبلنا من عبد الرحمن الداخل الأمير حين ناجى نخلة فى الأندلس وتمثل غربتها لنفسه.. إذا قبلنا من أولئك فقبولنا له يقوم على البعد.. لكن النجديين غالباً ما يتحرقون على نجد وهم بين هضابه.. وعلى سفوح جباله يتمرغون فوق

رماله ويشربون من ثمالته.. ومع أن نجد من القسوة.. والخشونة بحيث لا يجد فيها المقيم إلا العناء والمشقة.. وفوق كل ذلك نجد الشعراء يذمون الإقامة فى بغداد حاضرة الدولة وملتقى الثقافات.. ويقللون من شأن الشام بلد الطبيعة الحالمة والحياة الناعمة.

وإن دل ذلك فإنما يدل على ثراء نجد بالشعراء وتعلقهم به.

وعن مركز نجد فى الشعر يقول الأستاذ عبد الله بن ادريس :

«لم يعرف التاريخ مكاناً حفل بالشعر والشعراء فى الجاهليه والإسلام أكثر مما حفلت نجد فقد كانت منتدى الشعراء الفسيح ومنتجع الملهمين من عباقرة الفكر وقادة الفن العربى الرفيع»(١)

هذه نجد.. وتلك مكانتها فى دولة الشعر على مر العصور.. ومن هذه المرابع سيكون حديثنا.. وعلى هذا الأديم سنطوف عبر رحلة قصيرة لنرى عصور التخلف.. وفترات الازدهار وليالى الجمود.. وأيام الإشراق.

---

(١) شعراء نجد المعاصرون صفحة ١٦.

البــاب الثــاني

الفصل الأول

الدعوة الإصلاحية في نجد

أن تسأل عن حالة نجد أبان ظهور الدعوة الوهابية.. فإنها :

فساد فى الدين.. والعلم..

وفساد فى الأخلاق.

وفساد فى السياسة.

وفساد فى الاقتصاد.

وفساد فى الفكر والأدب.

..اما فساد الدين.. فقد قال عنه المؤرخ بن غنام:ـــ

كان غالب الناس فى زمانه متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا فى الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس.. وإطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة وغلبة الجهل والجهال.

وقال عن النجديين «عدلوا إلى عبادة الأولياء الصالحين وخلعوا ربقة الدين والتوحيد فجدوا فى الاستغاثه بهم فى النوازل.. والحوادث.. والخطوب المعضله والكوارث وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات»(١)

وكان علماء نجد فى تلك الفترة أشبه شيىء بالقراء الجهلة لأنهم يعايشون

---

(١) تاريخ نجد لابن غنام.

جفاة غلاظا .. فلا يقدرون على وعظهم .. ولا يملكون صرفهم عن غيهم .. ولقد أسرف بعض النقاد والكتاب الذين تحدثوا عن نجد فى تلك الحقبة فنفوا أن يكون فيها علماء .. يشهدون هذا الضلال ويلوذون بالصمت .. والواقع أن نجداً لم تخل من العلم والعلماء .. يؤيد ذلك أن بن عبد الوهاب نشأ فى بيت علم وقضاء .. ففى بلاد نجد وقراها علماء يتولون الأمانة .. والخطابة ..والقضاء .. ويقرءون على المعتوهين .. ويصلحون ذات البين .. لكن الضوء الخافت فى الليل البهيم لا يجلو الظلمة .. ونجد واسعة الأرجاء .. مترامية الأطراف .. ينتشر فيها القاطنون انتشار الضاعنين الذين لايقر بهم قرار .. لأن رزقهم مع القطر أنَّى هتن فمراعيهم تخصب .. وتجدب تبعاً للمطر الذى يجود عاما .. ويشح أعواما .. ثم إنهم أعراب قاسيه أخلاقهم غليظة طباعهم .. وهذه الخصائص .. وتلك العوامل باعدت .. أو كادت أن تباعد بينهم وبين علمائهم .. ثم أن العلماء يقف بينهم وبين الدعوة عدة عوامل .. كقلة المحصول العِلمى وفقرِهم المادى .. وعدم استجابة الأمراء وعامة الناس إليهم لتفشى الجهل .. والغلظة .. والجفاء فهذه العوامل أطفأت النور فى الصدور .. وحصرت العلم فى المحاريب وكمت الأفواه عن الإفصاح يضاف الى هذه العوامل عوامل أخرى كالحروب التى شغلت الناس وصرفتهم وأشربت نفوسهم فنون الكر والفر .. والغدر .. والسلب والنهب .. والسعى وراء لقمة العيش باعدت بينهم وبين التلقى .. كما أن العلماء قلة .. فى الكم والكيف والعالم الذى يسمى عندهم «بالخطيب» يتلقى رزقه عن طريق ما يفرضه الأمير على الجماعه من إتاوه تعارفوا .. وتوافقوا على تقديمها له مقابل إمامته فى مسجد القرية للصلاة .. والخطبة .. والقضاء والفتيا.. فهو لهذا يحس أنه مربوط بهم ولا يقدر على القوة فى نهيه وأمره .. لأن مثل هذا قد يعرضه لقطع هذه الصدقة .. أو طرده من البلد كما حصل لابن عبد الوهاب حين طرد من العينية إلى الدرعية مشياً على الأقدام. وهذا الشعور

ترتب عليه إنتماء العالم إلى عشيرته يؤيدهم فى مسعاهم سواء أضلوا أم رشدوا على حد قول الشاعر:

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزيه ارشد

ولقد قامت الخصومة بين عبد الوهاب وخطباء الهجر والبلدان لا لشيء أكثر من الانصياع للمفهوم الذى حدده بيت الشاعر. من هنا فقد العلماء هيبتهم .. وقوى سلطانُ الجور والجهل .. وأصبح العلم قابعاً فى مسجد البلد يومض بخفوت داخل إطار دامس من الجهل والجور .. والقسوة والعنجهية.

وأما فساد الأخلاق: فهو جنين فى جوف الدين يموت بموته .. بيد أن شيئاً من الخصائص الأخلاقيه مع فسادها تجدر الإشارة إليها.

لم يكن الاعراب خلو من الأخلاق .. ولم يكونوا بعيدين كل البعد عن جاهلية ماقبل الإسلام .. فى حين أنهم بعيدون عن جاهلية القرن العشرين.

كانوا يكرمون الضيف .. ويحسنون الجوار .. ويغارون على النساء .. ويأنفون من كل ذل .. ويرتفعون عن كثر من الأعمال .. فلا يشربون الخمر .. ولا يلعبون القمار .. ولا يمارسون الزنا وتتمثل جاهليتهم بالاغارة على الآمنين .. والسلب والقتل .. وكانوا لا يعبدون الله على حق .. فكانت وثنيتهم ساذجة .. سطحية لاتقوم على أسس فلسفية.

لقد كان لديهم شجاعة .. وبطولة .. وإباء وشمم. لكنهم صرفوه فى دروب الإغاره وتخويف الآمنين .. جفاة غلاظ .. لا يعبدون الله حسب أمره ..

من هنا كانت جاهليتهم عربية خالصة .. لا تشوبها جاهلية المدنية والحضارة الغربية .. ومن هنا كان على الداعى أن يكون بسيطاً(١) .. سهل الأمر.. والنهى .. بعيداً عن الفلسفه والتعقيد .. وهكذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. وكتبه تمثل هذه السهولة .. واليسر.

---

(١) من الأخطاء الشائعة استعمال البساطة للصغر.. والضيق.. لكنه شيوع فرض نفسه.

وأما فساد السياسة :

فالذين يقرؤن تاريخ نجد .. لابن غنام .. ولابن بشر .. ولابن عيسى ولكل من كتب عن حوادث نجد يدركون ذلك الفساد الذى لا يحتمل المزيد .. فالحروب قائمة لأتفه الأسباب والامارات متعددة متجاورة .. لا يفصل بينها إلا أكمة .. أو شجرة أو مجرى ماء .. أو قليب .. يسمع بعضهم نداء بعض .. وترعى ماشيتهم نابتة واحدة .. وتسمع هرير كلابهم مختلطة متعالية .. ومع هذا الالتحام والاختلاط لا تَجد حُسْنَ جوارٍ .. إن حسن الجوار يقوم بين الجار وجاره .. ولو كان خصماً عنيداً ولكنه لا يقوم بين جوار الثرى والأمراء .. فالإغارة متوقعة بين الحين والآخر .. ولا يهدؤن إلا حين يشبعون فلا ينشدون الطعام .. أو يضعنون فلا يقدرون على الإغاره .. والضعيف منهم تسكن فيه الثورة ولا تموت .. والقوى يجتاز الضعيف ولكن لا ينساه وقلما قامت بين البعض من إماراتهم الصغيرة عهود ومواثيق ترتب ارتباطهم بالبعض كما لم تمتد أيديهم أو حتى أيدى الآخرين ممن يجاورهم إلا القليل الذى لم يصل إلى حد التعاون المستمر.

وأما فساد الاقتصاد :

فما الحرب الا ماعلمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

وماسميت الحرب .. إلا من الحرب والحربُ تأكل الرجال .. والمال .. وتشرد النساء .. والأطفال وتقضى على موارد البلاد .. وحروب نجدٍ اتخذت طابعاً اقتصادياً .. فالمغيرون حين تردهم الأسوار .. أو تمنعهم الخنادق يؤججون النار فى النخيل والأشجار .. ويطمرون الآبار .. ويصرفون مجارى السيل إلى المساكن لهدمها ثم يعودون لا من حيث جاءوا .. لكن إلى حيث قصدوا يبحثون عن المواشى فى المراعى .. والحبوب فى البيادر فيحملون ماخف وغلا .. ويفسدون ما أصلح الناس .. والعقبى للمأخوذين فعلى الأعقاب يسير الموتور

وهكذا الحياة .. واتر .. وموتور .. كما ترِوى لنا أشعارَ الجاهليين .. ومع كل هذا فلا عيب ولا ألم .. فالذى يأخذ فى اليوم آخذه غداً..

إنها جاهلية مظلمة .. تعطلت معها الحياة الآمنة المطمئنة وحكم فيها القوى.. بِخَيْلِه ورجله .. وأصبح الناس جميعاً يرقبون صَيْحَةَ النذير يصبحهم أو يمسيهم.

وأما فساد الفكر والأدب:

فالناس فى شغل شاغل عن إعمال الفكر فى أمر لا يمس حياتهم حين يصبحون وحين يمسون.. ولا يفكرون إلا فى سور أو خندق.. أو فى خيل جرد تكر وتفر.. أو فى سيف حاد يضربون به ضَرْباً يطيح بتان المفصل وكيف ينصرفون لأدب.. أو فكر.. وشعراؤهم الشعبيون يملأون الحَىَّ.. شعراً يرويه الرجال.. ويشدو به الأطفال.. وتُعَلِّل به النساء والعجائز الصبيان إن فى هذا اللون من الشعر مايغنى.. فقد حَمَل آلامهم.. وأمالهم.. وفخرهم .. وهجائهم.. وجسد أوصافهم وحمل تأوهاتهم.. وغزلهم.. ومجونهم.

هذا الشعر لا يدَوَّن.. لانهم أميون لا يكتبون يعتمدون على الحفظ فالرواة أشبه بالكتب.. والمكتبات يهرعون إليهم ليلقوا الجديد.. ويهرعون إليهم ليسمعوا التليد.

وهكذا أصبح الشعر العامى خليفة الفكر والادب.. والشعر العربى ردحاً من الزمن.. أما الشعر العربى فلا أثر له.. وإن وجد على قلة فهو منبوذ ممقوت لأنه بعيد عن أمزجتهم.. ثم هو تقليدى لا تجد فيه الغناء.. ولا الجدوى فلم يكن هناك مدارس للتعليم.. والأطفال فى المراعى مع الماشية يهشونها من طلوع الشمس إلى المغيب.. وإذا غابت الشمس ارتموا على الرمال الحمراء منهوكى القوى خائرى العزائم لا يفكرون إلا بالنوم.. واليقظة المبكرة لبدء مرحلة أخرى من الرعى.. ثم هم لا يقيمون فى مكان واحد ليمكن التعليم.. فهم مع الغيث أينما هطل.

تلك كانت حالة نجد قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وأثناء ظهوره.. ومع هذا الفساد المستحكم لا تخلو نجد من رجالات تتجرع الصبر وتنتظر الفرج.. وتستعجل الحلول.. لكن الكثره تغلب الشجاعة والفساد المستحكم يفرض نور الاصلاح من أطرافه(١).

---

(١) أفاض الكتاب والمؤرخون فى الحديث عن الوهابية.. ونجد.. قبل الدعوة وبعدها إلى الحد الذى لا يطلب المزيد.. راجع أن شئت تاريخ نجد لابن غنام وعنوان المجد.. لابن بشر.. لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب لحسن الربكى وماضى الحجاز وحاضره لحسين نصيف.. وأثر الدعوة الوهابية لمحمد حامد فقى.. ومحمد بن عبد الوهاب. لأحمد عبد الغفور عطار.. وتاريخ البلاد السعودية.. للدكتور منير العجلانى وزعماء الاصلاح.. لأحمد أمين.. وعقائد المفكرين فى القرن العشرين لعباس محمود العقاد.. وألوان للدكتور طه حسين وعشرات بل.. مئات غير ذلك.. من الكتب.. والقصص الهادفة.. والمقالات.. والدراسات.. والمقارنات والقصائد.. وكلها تجسد وضع نجد قبل وبعد الدعوة.. وطبيعة الدعوة.. وتعرض للعوامل المساعدة والمعوقة على ما فيها من صواب وخطأ واستقامة وانحراف.

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

..تجسيداً للصورة.. وايضاحاً لنواحى الموضوع أوجز فيما يلى حديثاً عن زعيم هذه الحركة الاصلاحية التى غيرت ملامح نجد.. بل غيرت ملامح الجزيرة العربية..

ولد الشيخ فى بلدة العيينه سنة ١١١٥ هـ ــ ١٧٠٣ م.. وفيها تعلم أصول الفقه والحديث.. وطرفاً من المعارف الأخرى الدائرة حول العقيدة وبعد أن متن عوده.. رحل إلى الحجاز للحج وطلب العلم.. وأقام فى المدينة وأخذ عن علمائها.. ثم سافر إلى البصرة.. وكان على جانب من العلم والإيمان فبدأ يناقش العلماء.. وينصح العامة.. ويسخر من عاداتهم وتقاليدهم فلقى أنواعاً من المضايقات.. الأمر الذى اضطره إلى العودة إلى نجد.

عاد إلى نجد وسكن حريملاء.. ثم رحل منها إلى العيينة.. وبدأت دعوته تشع فركن إلى أميرها عثمان بن معمر الذى آزره وناصره فى بادىء الأمر .. وأخذ الشيخ يعظ وينصح.. وينقد الأمراء.. والعلماء.. وعامة الناس ويوضح البدع.. ويهاجم الخرافات.. فخاف منه حكام الأقاليم وبالذات حكام الأحساء الخاضعين للدوله.. الأمر الذى دفع ابن معمر الي التضييق عليه وطرده من العيينة ..وفى عام ١١٥٧هـ خرج من العيينة وحيداً لا يحمل من العدد والعدة إلا ذلك الإيمان القوى والنفس الأبية.. والإصرار العنيد على إكمال هذه الحركة الإصلاحيه.. ويمم صوب الدرعية.. فوجد من أميرها محمد بن سعود المناصرة والمؤازرة.. فاستمرت حركته فى تقدم.. وقوة واتساع حتى وافاه الأجل سنة ١٢٠٦ هـ.

المراحل العلميه والعملية :

مرت حياة الشيخ العلمية بثلاث مراحل.

١ــ **مرحلة التعلم**.. قرأ كتب السلف فى العيينه.. وفى المدينة.. واستفاد من رحلاته.. عنى كثيراً بعلم التوحيد المجرد من الفلسفة.. وظهر أثر ذلك فى مؤلفاته.

٢ــ **مرحلة التعليم**.. كان الغالب على هذه المرحلة نَقْدِ الأوضَاعِ القَائِمَة وتوجيه النصائح وإعلان النقد فى المساجد والمجتمعات.. وتسفيه كل مامنه طمس معالم الدين وهى حملة خطيرة ضد عادات دينية وتقاليد اجتماعيه تعاقب الأمراء والعلماء وعامةُ الناس على قبولها والدعوة إليها فكان بهذه الحملة هدفاً للمواجهة على مختلف أشكالها وألوانها. كما شمل ذلك تعليم الموالين له وتعليم أبنائهم مبادىء الدين الحنيف.. وبعض قصار السور والأحاديث وتعليم مبادىء الدين.. حتى أن تعليم مبادىء الدين لا زال قائما حتى الآن للعامة من الناس.. ولابد من التسميع كل عام خاصة فى قلب نجد. ويقوم إمام المسجد بعد صلاة الفجر أو الظهر بسؤال المأمومين عن الدين.. والرب.. والرسول.. وأوامره.. وعذاب القبر.. وفتنة المحيا والممات.. وهى عادة معروفة ومألوفة..

٣ــ **مرحلة التأليف**.. لم يكتف الشيخ بتعليم المحيطين به.. بل تابع مرحلة التعليم خارج إقامته فبعث الرسائل.. والنصائح.. والفتاوى.. وجرت بينه وبين علماء عصره ملاحات وردود حول ما هو قائم من عادات.. ومعتقدات تخالف الدين الخالص من الشوائب ولقد ترك وراءه مؤلفات ذات خصائص مميزة إلى حد بعيد.. لأن تأليفها كان لحاجة العصر ولم يكن لقصد العلم وأصوله.. وأبعاده.. ومن أهم مؤلفاته:

١) كتاب التوحيـد.
٢) تفسير الفاتحة.
٣) رسالة كشف الشبهات.
٤) أصول الإيمان.
٥) تفسير الشهادة.
٦) معرفة العبد ربه ودينه.
٧) معنى الكلمة الطيبة.
٨) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
٩) مفيد المستفيد.
١٠) رسالة بالتقليد وأنه جائز لا واجب.
١١) كتاب الكبائر.

وله رسائل وفتاوى كثيرة لا تخرج عن موضوع مؤلفاته.

السمة العلمية للشيخ :

ان الذى يقرأ كتب الشيخ يجد أنها مرتبطة من حيث العمق والموضوعية والاتجاه والهدف.. بالوضع الدينى القائم فى نجد.. وحسب حاجة البلاد.. فهو لم يلتحم مع فلاسفة ولا دهريين وإنما هو يعالج جاهلية ساذجة أشبه ما تكون بجاهلية ماقبل الإسلام(١).. ولهذا فهو داعية أكثر منه صاحب مصنفات.. وأثره

لا يقاس بكتبه.. ولكن بدعوته.. وماحققت لنجد من الهداية والإستقامة. كان قصده أن يعلم الناس مبادىء الدين الحنيف..، ويرشدهم إلى مايجب عليهم..

(١) هناك من يرى إن جاهلية ماقبل الإسلام تتسم بطابع فلسفى.

ويبطل العادات القائمة فى وسطهم.. والمتداخله فى صميم عباداتهم.. ولهذا فكتبه لا تخرج عن حاجة المجتمع الذى وجد فيه والذين يُقَوِّمُونَ الشيخ من خلال كتبه يخطئون كثيراً.. فقيمة الدعوة والداعى تقاس بالأثر.. فهو تماماً كالزعيم السياسى يغير الأوضاع.. ويطمس المعالم ويبدل أشكال الحياة.. ويحرر البلاد.. ويرتفع بها لكنه لا يخلف سطراً واحداً ومع ذلك يعد من العباقرة الخالدين. وهكذا كان بن عبد الوهاب.

وليس أكبر.. ولا أعمق من أثر الدعوة الوهابية التى استطاعت أن تعيد للجزيرة العربية الإسلام نَقِياً صافياً من كل الشوائب.. وتعيد إلى جانب ذلك الأمن والإستقرار.

ثم أن مؤلفات الشيخ تدل بوضوح على عزوفه عن التقليد العلمى فى الفقه أو غيره.. ففى كل آراءه يصدر عن نصوص الشريعة.. وأعد كتبه لتفى بحاجة الناس.. ولتناسب مستواهم، إنه داعية موهوب. ابتعد كل البعد عن العمق الفلسفى.. أو التعنت المذهبى.. وابتعد كذلك عن التأليف فى أغراض لا تطلبها حالة نجد فى وقته.. وهو بحق لم يؤلف للعلم.. ولكنه ألف للناس أملاً فى أن ينزعوا من تلك المعتقدات والعادات الضارة.[1]

---

(١) فنجد مثلاً فى كتاب التوحيد يبحث فى الطيرة.. والسحر.. والكهانة.. والحظ وتعظيم القبور.. وتقديس العلماء المضلين.. وكل هذه بدع شهدها متفشية فى نجد فكان عليه كداعية أن يفرد لها كتاباً.. ولم يناقش خلاله أحداً من الفلاسفة.. ولم يعرض فيه لمراحل هذا العلم.. وإنما باشر الموضوع. لأن الوضع القائم يتطلب ذلك. ولأن المجتمع بحاجة إلى الإصلاح.. وفساده منبعث من الجهل.

الفصل الثاني
أنصار.... وخصوم

إن الدعوة.. أى دعوة.. إذا كان هدفها الإصلاح فمن مستلزماتها تغيير أوضاع قائمة.. وعادات سائدة.. هذه العادات.. والأوضاع تخدم فئة أو أكثر.. وإزالتها يقطع مصالحها.. لهذا لابد من الخصوم.. ولابد من الأنصار.

إن دعوة اصلاحية كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ظاهرتها السياسية لابد وأن يكون لها أنصار وخصوم.. ذلك أنها ستغير ملامح الحياة.. وستقلب أوضاعاً عاش عليها القادة.. والسادة.. وعلية القوم.. وكبراؤهم. ووقف وراء هذه الأوضاع غوغائيون وهمجيون.. وجدوا آبائهم على أمه.. وهم على آثارهم مقتدون.. وسكت عنها علماء.. وهنوا وفضلوا العاجل على الآجل وكان من أنصار هذه الدعوة.. آل سعود ــ الذين لا زال حكمهم قائماً يحمل هذه الدعوة وطائفة من أبنائها.. فوزير المعارف.. ورئيس المعاهد والكليات.. ورئيس دار الإفتاء والبحوث.. وإمام وخطيب الحرم المكى.. ومفتى الديار الراحل كل أولئك من هذه الأسرة.

ومن خصوم الدعوة أمراء نجد الذين خافوا على أنفسهم.. وعلى سلطانهم. وتركيا التى هدَّدت الدعوةُ سلطانها.. وزعزعت سيادتَها.. وقامت بين الأنصار والخصوم معارك إستخدم فيها السيف.. والرمح.. و القرطاس.. والقلم.. فكانت الحروب تثور وتخمد.. وكان اللسان يصول ويجول خطيباً.. أو شاعراً.. أو مرشداً.. وكان الفكر يحكم الخطط.. ويحلل الآراء.. لكنه صراع بين قبائل وأحلاف لم تكن لها خلفيات علمية.. أو بيانية عميقة.

وجاء من بعد ذلك علماء.. وأدباء.. وشعراء.. وكتاب.. ومفكرون ومستشرقون ومبشرون.. يسبرون الأغوار.. ويستلهمون حقيقة الدعوة .. وأهداف الداعى.. ومازالت آثار هذه الدعوى قائمة.. ومازال أنصارها وخصومها يعملون وجهاً لوجه.. وعلى حد الحكمة القائلة رب ضارة نافعة.. فلقد كان من آثار هذه المعارك الفكرية أن أثرت المكتبة العربية فى مختلف الفنون وازدحم المتصارعون وسط الحلبة.. وزاد حجم الدعوة بسبب الدفع الخارجى الذى حرك الاسلات للذب عنها.. هذه الخصومات حددت معالم الدعوة.. وجسدت أبعادها.. فالأنصار حددوا منهجها وأسلوبها.. وأوضحوا خصائصها، أما أثرها فقلما يدركه إلا من عرف حالة نجد قبل قيام الدعوة. لقد كتب عن الدعوة وطبيعتها علماء أجلاء من مصر.. وسوريا.. والعراق.. ومن الغرب أيضاً.. ونقدها كذلك علماء من مختلف البلاد الإسلامية.. والغربية ومهما يكن من شيء فقد آتت ثمارها.. وحققت أغراضها وتبعاً لكل ذلك خرج المثقفون بمفاهيم متباينة عن كنه هذه الدعوة وأبعادها.. لكنهم جميعاً يسبحون فى فلك واحد هو اتفاقهم على مصدر الدعوة وأثرها.

فالعقاد رحمه الله يرى أن هذه الدعوة تنطلق من مذهب الإمام المحدث أحمد بن حنبل.. وهى تشبه إلى حد كبير حركة شيخ الإسلام أحمد بن تيميه ولا يبعد عن هذا الرأى مفكروا مصر وأدباؤها فهم جميعاً يرون فيها الخير للإسلام.. والمسلمين.. فالمرحوم أحمد أمين فى كتابه «زعماء الاصلاح» والاستاذ الشيخ محمد أبوزهره فى كتابه المذاهب الإسلامية.. والدكتور طه حسين فى كتابه ألوان كل أولئك متفقون على سلامة هذه الدعوة من أى إنحراف يخالف الدين.. ومع هذا فهم يفضون إلى رأى واحد لمسه الكثيرون فى الدعوة.. وهو شدتها.. وتمسكها بنصوص الشريعة دون الخروج إلى استنباطات الفقهاء القياسية الخفيه.. وهذا قد يبدوا فى بعض كتب علماء الدعوة لكن التطبيق الفعلى يلتقى مع روح الشريعة ومقتضياتها.

يقول لويس شيخو فى معرض حديثه عن نجد :ـــ

كان الدين بينهم فى انحطاط حتى أضحى إسما فارغاً وبقوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى قام فيهم «محمد بن عبد الوهاب».. ينفخ فى مواطنيه روحاً جديدة اقتبسها من أصول الدين الإسلامى.. وتعاقبت بعد ذلك آراء المستشرقين.. والمبشرين.

من هؤلاء هنرى لاوست فالوهابيون حنابلة فى العقيدة والفقه وهم فى الفروع يتبعون افكار موفق الدين بن قدامه أكثر مما يتبعون ابن تيميه وابن القيم.

وهذا الرأى قد يباين رأى العقاد .. إلا أنه فيما تبين لا يخرج من دائرة الإسلام وأصولها.. ومشاربها.

ويقول المستشرق البلجيكى «أن محمد بن عبد الوهاب» تبنى كل أفكار بن تيميه.. ولقد ألمح «ريندر» إلى الشده التى خرج بها بعض مفكرى العرب عن الدعوة فقال :

لقد صدم الوهابيون الأوائل بتشددهم سائر المسلمين.. ولكن الوهابية فى الحقيقة كانت نعمة على المسلمين بمساهمتها الواسعة فى تنبيه المسلمين إلى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها.

وتحدث غير هؤلاء كثير.. إلا أن حديث المستشرقين أو أغلبهم على الأصح لا يصدر عن تمثيل لأبعاد الدعوة.. فهو فى نظرى لا يعدوا عن كونه تقولاً مما يقع فى أيديهم من كتب تحدثت عن الدعوة لأن هناك من المستشرقين من كان متسما بالانصاف لكن أقواله كانت مجحفه بحق

الدعوة.. مرد ذلك إلى الكتب التى استند إليها.. ونقل منها.. وممن تحدثوا عن الدعوة من المستشرقين لوثروب.. ستوارت وجان ريفوار[1]

---

(١) راجع تاريخ المملكة للدكتور منير العجلانى.. والأدب فى خدمة الحياة والعقيدة لعبد الله. العويشز

أما الخصوم فكثرة كاثره لكنهم غثاء كغثاء السيل.. وصدق الله «فأما الزبد فيذهب جفاء».

لقد وقف الخصوم بوجه الدعوة وقوفاً ينم عن منازع مختلفة. أقومهم من خالف الدعوة بفروع الشريعة واعتبر الداعى بشراً يجوز عليه الخطأ .. وناصر ماوافق رأيه المنطلق من قياس ظاهر أو خفى أو استحسان ومثل هذا النوع قلة.. ويمكن أن نصف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق الداعى من هذا النوع لولا بعض هفوات وقع فيها.. وقد ألف كتاباً فى الرد على الشيخ محمد اسمه «الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية».

وممن وقف فى وجه الدعوة.. أحمد القبانى من العراق وقد ألف فى الرد على الدعوة ثلاثة كتب:

ــ فصل الخطاب فى رد ضلالات بن عبد الوهاب.

ــ كشف الشبهات عن خالق الأرض والسموات.

ــ كشف الحجاب عن ضلالات بن عبد الوهاب.

وكل هذه الكتب هجوم محموم على الداعى تجره من مجال الدين إلى مجال السياسة والحرب.. والسلب والنهب فهو فى هجومه لا يناقش جزئيات الدعوة.. وأهدافها إلا فى القليل النادر.

ومن الخصوم الالداء.. عبد الله بن دلود.. ألف كتاباً يدل على قسوته وشدته.. وتحامله عنوانه.. «الصواعق والرعود».

ومن الخصوم أيضاً علوى الحداد.. فقد وضع كتاباً فى الرد على الوهابية، ومحمد عطا الحكم كذلك ألف كتاب «الأقوال المرضية فى الرد على الوهابية».

ومن علماء الأتراك.. أيوب صبرى.. ألف كتاباً فى تاريخ الوهابية سنة ١٢٩٦. وكل هذه الكتب تختلف باختلاف التربة الثقافية.. وباختلاف المقاصد السياسية ولسنا بحاجة إلى التعرض لهذه الكتب.. فكلها تدور داخل الأطر الآتية:

١) إما أن يكون الخلاف حول فروع الشريعة كما حصل بين علماء المسلمين فى مختلف العصور.. وهذا لا يعد خلافاً وأصحابه لا يعدون خصوماً.. ومن بين أولئك شقيق الداعى سليمان عبد الوهاب لولا بعض هفوات وقع فيها كان دافعها الأغراض.

٢) أو يكون بسبب الحروب التى ارتبطت مع الدعوة وقيام الداعى ببث دعوته عن طريق القوة.. وهذا مفهوم خاطىء لأن الداعى لم يشهر سلاحا.. والذى دفعه للحرب الدفاع عن نفسه وإيمانه بسلامة وصدق دعوته.. وما أن استفحل الخطر.. وتكررت الاعتداءات.. وتتابعت المؤامرات اضطر آل سعود وهم أنصار الدعوة إلى الإستيلاء على الإمارات المجاورة لحسم النزاع وحقن الدماء والقضاء على دابر المنازعات.

٣) أو يكون الخصوم مدفوعين من تركيا لايقاع التصدع فى صفوف المسلمين وحفظ مركز الدولة القيادى فى العالم الإسلامى.

٤) أو يكون العلماء مدفوعين بدافع الحسد.. والحقد.. والضغينة وهى جميعاً لا تخلوا من فائدة بل فوائد.. وكنت أود لو وقفت على الكثير من هذه الكتب لأعطى حكماً أقنع به إلا أنها كتب انقرض بعضها والبعض الآخر توازعته الأيدى فخلت منه المكتبات العامة والذين دافعوا عن الدعوة ساقوا بعض نصوص من هذه الكتب.. وهذه النصوص لا تخرج فى مفهومها عما أشرت إليه.

الفصل الثالث
أثر الدعوة في الفكر والأدب

الشيء المسلم به أن أى حركة تدعمها الحكومة يواكب فيها اللسان السيف.. فيلتقى المجاهد بالشاعر والكاتب بالخطيب.. ينافحون.. ويكافحون.. ويحيطونها بالثناء.. سواءً فى ذلك وافقت هوى فى أنفسهم أم لم توافق .

هذا يقال بالنسبة لأى ظاهرة اجتماعية تدعمها الحكومة.. لكن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تملك فوق ذلك.

فالدعوة أيدتها السياسة.. بما لها.. وسيفها.. وقبلها الناس عن رضى وقناعة فهى مستقيمة فى مسلكها.. سليمة فى هدفها.. جاءت على فترة من الدعاه والمصلحين وفى الوقت المناسب لكل هذه العوامل التف حولها المقاتلون.. وظاهرهم الأدباء والشعراء يمنحونها خالص أدبهم وصادق شعرهم.. ولقد أزكى الحماس فى نفوس الشعراء والأدباء والعلماء ظهور المعارضين من الشعراء والعلماء.. واقذاعهم فى الهجاء والنقد القائم على الهوى والمدفوع بالأغراض الشخصية البعيدة عن الفهم والتروى.

وإذا كانت الحياة الأدبية فى نجد قبل قيام الدعوة راكدة ركود المياه الآسنة فإن قيامها قد حرك فيها الفكر.. وأنطق الألسنة.. وشحذ القرائح وفجر المواهب.. وأقام دولة الأدب كما أقام دولة الدين صلة قوية متكاملة.

يقول الدكتور طه حسين «على أن الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن

عشر فلفتت إليها العالم الحديث فى الشرق والغرب.. واضطرته إلى أن يهتم بأمرها[1].. ثم قال «ولكن الذى يعنينا من هذا المذهب أثره فى الحياة العقلية والأدبية عندالعرب.. وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة فهو قد أيقض النفس العربية ووضع أمامها مثلا أعلا أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم واللسان.. وهو قد لفت المسلمين جميعاً.. وأهل العراق والشام ومصر بنوع خاص إلى جزيرة العرب»[2].

لقد نجم للدعوة خصوم حاربوها بالقلم واللسان.. ونجم خصوم حاربوها بالسيف والخيل والرجل.. وكان الخصوم جميعاً ينتقون أقوى السلاح.. وكان أنصار الدعوة لا يجدون قولاً حكيماً موجعاً إلا ساقوه.. ولا سلاحاً حاداً إلا ضربوا به.. وكانت الحركة الأدبية والفكرية تنموا بسرعة وكانت كتب السلف .. وكتب الأدب والتاريخ تتحرك من رفوف الوراقين لتتحول إلى مادة وسلاح يفل سلاح الأعداء ويوقع فيهم الوهن.. والخور.. والهزيمة.. فكان الشعراء الذين يلهون ويلعبون بشعرهم أشبه بامرىء القيس الذى فاجاءه نبأ مقتل أبيه فصاح صيحته المشهورة اليوم خمر.. وغداً أمر.. لقد انصرف الشعراء عن لهوهم إلى جد شاق.. وخرجوا من عزلتهم إلى حشود الجماهير.. وضربوا صفحاً عن تقليدهم.. وأغراضهم القديمة.. فاتجهوا صوب الدعوة يمدحون.. ويدافعون .. ويبنون سلفية الدعوة وسلامة مقاصدها.. كما جد العلماء والمفكرون فى المنافحة عن كيان الدعوة.

والأدب الذى حركته الدعوة ونفخت فيه من روحها.. إنشطر إلى لونين مختلفين.. **لون عامي**.. وهو المعروف بالشعر الشعبى.. كان له الصدر.. وبيده مقاليد الأمور لأن الدعوة حاربت بالسلاح الذى يخافه الأعداء ويفهمه الخصوم. **ولون عربى** خالص التزم الأسلوب القديم فى بناء القصيدة وفى مطلعها.. فحفظ سمات القصيدة القديمة وناصر الدعوة بالشكل الذى كان العربى يناصر

(١، ٢) ألوان ص ٤٣، ٤٥.

الخلفاء والقادة.. غزل.. وفخر.. مدح.. وهجاء. إلا أن هذا اللون يعتبر بداية خير.. ولبنة أساس حرك المشاعر الراكدة.. وفتح الاكمام الصائمة.. وسنعرض لهذا اللون أثناء الحديث عن الاتجاه الإسلامى والفنى.

على أن الأنصار والخصوم من العلماء.. والشعراء.. والمفكرين لم يتكاثروا أبان ظهور الدعوة وإنما انداح هذا الأثر فى أعقابها.. ولا زالت الدعوة فى عملية إثراء.. وحيث أن من عايش الدعوة من العلماء والشعراء لم يكونوا داخل إطار بحثنا فقد صرفنا الحديث عنهم.. ذلك أنهم لم يكونوا من المعاصرين.. أما أثر الدعوة فى الأدب والشعر فلا زال ممتداً حتى الآن.. وأنصار الدعوة لا زالوا قائمين بمهمتهم.

ومن أبرز أنصارها شاعران احدهما شاعر عالم.. والآخر شاعر أديب.. وقف الأول فى وجه العلماء والمفكرين.. ووقف الآخر فى وجه السياسيين والشعراء.. فكتب ذاك رسائل.. وقصائد.. وحاور وناظر وألف الكتب . ونظم هذا قصائد تعد من غرر الشعر نافح بها وكافح.. وبقيت هذه العطاءات تبرز أثر الدعوة بكل وضوح ـــ أما الأول فسليمان بن سحمان.. وأما الآخر فمحد بن عيثمين كان ابن سحمان عالماً ضليعاً يكافح وينافح بشعره وعلمه .. وابن عثيمين شاعراً فحلاً تقرء شعره فتعده من أصحاب المعلقات.

ولما كانت دعوة الإصلاح التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أخطر الحركات الإصلاحية التى قامت إبان تضعضع الدولة العثمانية وصراعها من أجل البقاء واستعادة ماء الوجه فإن هذه الدولة أغرت الشعراء والكتاب لمحاربة الدعوة وتشويه سمعتها وتنفير الناس منها.. كما أن بعض الشعراء اتجه لتمجيد الدولة العثمانية كحاكمة مسلمة تمثل بحكمها الوحدة الإسلامية المنشودة..

لقد ألمحت إلى تأخر الشعر فى مناصرة الدعوة.. وكان مرجع ذلك إلى عدة أسباب منها انشغال الداعى بالدعوة.. وتعريض الكتاب والسنة بالشعر والشعراء..

ثم عدم وجود خصوم مفكرين أبان ظهور الدعوة يملكون فيما يملكون من وسائل الدفاع والهجوم ألسنة شاعرة تستحق التصدى.. وبعد أن اتسعت آثار الدعوة وتحركت الدولة العثمانية تحركاً عسكرياً.. وسياسياً لإيقاف هذا الامتداد بدأت الدعوة تحرك الجهات الفكرية.. وهى لا تنسى قول الرسول ﷺ لحسان «اهجهم فوا الذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل» وقوله: «اجب عنى اللهم أيده بروح القدس»

بهذا الدفع استطاع الشعر أن يشكل جبهة قوية تنطلق من قاعدتين .. احداهما للدفاع والملاحات.. والأخرى لنشر محاسن الدعوة وخصائصها وترغيب الناس بها.

وتبعا لذلك فقد أحدثت الدعوة حركة فكرية صاخبة إلى جانب الحركة الدينية.. وبقيت هذه المعطيات إلى الآن تتنوع.. وتتفرع.

وإذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أحدثت تحولاً فكرياً .. واقتصادياً.. واجتماعياً وسياسياً فى جزيرة العرب.. فإن حركات أخرى تلتقى معها فى هذا الأثر.. فالدعوة السنوسية فى الصحراء الغربية.. والحركات الإصلاحية التى قامت بقيادة.. الكواكبى.. وجمال الدين الأفغانى .. ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا.. كل هذه الدعوات الخيرة الايجابية أحدثت تحولاً جذرياً فى الحياة الفكرية والأدبية فى العالم العربى على اختلاف فى مناحى واتجاهات كل دعوة.. وهى جميعاً تنبع من معين واحد.. وتأخذ فى مجراها مسالك متباينة حسبما تمليه ظروف كل مجتمع وحاجاته.. وهو اختلاف لا

يزعزع قيمها.. وسموها.. ولا يفك التحامها وترابطها الروحى.. إن هذه الدعوات قد أفادت الأدب والشعر.. وحولت مسيرة الفكر[1].

من هنا ندرك أن الدعوة الوهابية حركت الشعر نحو المقاومة القائمة بين الدعوة وخصومها ولقد كان الخطباء .. والعلماء .. وجهودهم على المنابر وفى حلقات التدريس والارشاد .. وكتبهم .. ورسائلهم كل هذه أصبحت روافد قوية استطاع الشعر فى نجد بواسطتها أن يشب عن الطوق .. واستطاع أن يكسر الجمود .. ويتخذ مناحى كثيرة من الاتجاهات .. لقد تفجرت مواهب الشعراء .. وراج الشعر ونفقت سوقه .. وقامت دولته بعد إنكسار .. والتفت الناس إلى الشعر حافلين به مرتاحين إليه .. مثله فى ذلك مثل الجندى المدجج بالسلاح .. هذه الروح التى بثها الداعى فى أوساط الناس .. وهذه الحياة التى دبت فى ملكات الشعراء جعل للدعوة الأثر فى تحرك دولة الأدب والشعر .. وانتفاضها بعد رقدة طويلة باعدت بينها وبين الملأ حتى كاد القوم أن يعدوا الشعر من سقط المتاع الذى لا يعبأ به ولا يلتفت إليه إلا الخلى الذى أزاحه عن الشقاء سفه عقله وقعوده عن المكارم.

هذا الأثر الذى ترك بصماته على محيا الشعر اتخذ أشكالاً وألواناً متعددة.. إذ حرك الشاعر ليشدو على كل فن .. ويترنم فى كل ساحة.

فيمدح القائد السياسى على حنكته وحسن تصرفه.

ويمجد القائد الدينى على ثقافته واخلاصه.

ويفتخر بقومه الذين شكلوا سداً منيعاً فى مواجهة الأعداء.

---

(١) راجع «الفكر العربى فى مائة سنة» بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد فى تشرين الثانى سنه ١٩٦٦م فى الجامعة الأمريكية ببيروت.. وبالأخص الفكر الدينى الإسلامى فى العالم العربى أبان المائة العام الأخيرة صفحة ٢٦٧. وراجع: الرحالة عبد الرحمن الكواكبى. محمد عبده. وعقائد المفكرين. لعباس محمود العقاد والعروة الوثقى: للأفغانى. وعبده.. وزعماء الاصلاح الدينى.

ويرثى موتاه الذين سقطوا فى ميدان الشرف والكرامة وأرخصوا نفوسهم فى سبيل إعلاء كلمة الدين وردع الباغين المعتدين.

ويذكر الباقين من المجاهدين بما أعد الله للمجاهدين .. ويذكرهم بالقتلى من آبائهم واخوانهم وأقاربهم ليذكى فى نفوسهم جذوة الثأر.

ويقلل من شأن الخصوم .. ويسفه أحلامهم.

وفى المقابل نجد الخصوم يتخذون نفس الاتجاه ويعزفون على نفس القيثار ينقضون .. ويعارضون وهكذا انداحت دائرة الشعر .. واطلت شمسه سراجاً وهاجاً يبعث الدفء وينشط الأجسام ويحرك الجموع إلى دولة الأدب ينشدون القصائد ويتغنون بالأمجاد .. يلحون على الشعراء ويهتفون لهم .. ويتلقفون عطاءهم بعدما كان الشعر شيئاً مجهولاً.. وبعد ماكان الشعراء يعيشون لأنفسهم عيشة الكفاف .. أو العوز.

لقد استطاعت الدعوة أن تلون الشعر والأدب باللون الإسلامى الصرف فجاء الشعر يحمل هذه الروح .. فكان أثر الدعوة .. فى الكم والكيف .. أوجدت مداً حيوياً أخصب فيه الشعراء وكثر إنتاجهم .. واضفت على هذا الانتاج سماتها وخصائصها .. فكانت بذلك حركة إسلامية فكرية .. وبالرجوع إلى فتاوى علماء الدعوة .. ورسائلهم نجد مئات القصائد الشعرية التى تحمل كل خصائص هذه الدعوى .. على أننا سنعرض لشىء من ذلك.

البــاب الثـالث

الفصل الأول

روافد الاتجاه الشعري في نجد

قلنا أن نجداً عاشت فى فترات التخلف فى شبه عزلة عن العالم الخارجى وبقيت تجتر عاميتها فى شعر شعبى تتكامل خصائصه من واقع الحياة ليتمكن من تلبية حاجات ذلك المجتمع الفقير المتخلف الذى عصفت به الأحداث .. وصدعته الخلافات .. وأنهكته الحروب .. والمناوشات الداخلية.

وبعد أن استقام ذلك المجتمع .. ونهض على قدميه تلفت للغذاء الجسمى فوجده نابعاً دفاقاً من باطن الأرض .. وبحث عن غذائه الفكرى فتقاطرت عليه الثقافات والمعارف من كل حدب وصوب عبر .. المدارس .. والمعاهد .. والكليات .. وعبر الأدمغة الوافرة .. والصحف والمجلات .. والإذاعات .. والكتب والمكتبات .. من هذه المشارب .. وعلى ضفاف تلك الروافد تقاطر الشاربون من أبناء نجد ينهلون ويعلون .. وما أن يتمثلوا هذه المعطيات حتى يبدأ عطاؤهم ينساب ليشكل مساهماته فى ركاب الثقافة العربية.

وما سنعرض له فى هذا الباب يتناول الشعراء المحافظين والمجددين .. ولكل من هؤلاء وأولئك مشارب .. ومناهل يردونها خماصاً ويصدرون منها بطانا .. وهذه الروافد كما أسلفت وسمت المناهج وحددت الاتجاهات لكل شاعر ولست أعنى ذوبان المتأثر بالمؤثِّر.

فالمحافظون ينزعون من الشعر العربى القديم .. ويتضح هذا بجلاء فى شعر الشاعر محمد بن عثيمين فأنت تلمس هذا الأثر فى الشكل .. والمضمون ..

حتى الكلمات .. ونظمها ونهج القصيدة يعتبر جاهلياً صرفاً .. والشاعر بن عثيمين وإن كان مقلداً نجد أن ملامح شخصيته بادية بوضوح وإشراق فى كثير من قصائده.

والشاعر سليمان بن سحمان هو الآخر ينزع من الشعر العربى القديم ومدارسه الشعرية القديمة لكن كون الشاعر بن سحمان عالماً أكثر من شاعر أخفى كثيراً من ملامح التقليد .. أو كاد .. إذ كان تقليده مزيجاً بين العلم الخالص .. والشعر الخالص .. وكانت موهبته الفنية تدور فى فلكه العلمى .. ثم إن الأحداث السياسية والدينية التى عايشها فرضت عليه .. أو ألهمته هذا الاتجاه المزيج بين العلم الخالص .. والشعر الخالص. ونجد مثل ذلك بالنسبة للشاعر بن بليهد إلا أنه شاعر السياسة الذى يحرض على القتال ويتغنى بالإنتصار ويربط كل ذلك بروح إسلامية عالية .. هذه الفئة المحافظة لا تخرج بكثر من إنتاجها عن محيط الأغراض المألوفة كالغزل المحتشم .. والمدح المسرف .. والرثاء البالغ الأثر والوصف الحسى المجسم .. والفخر المتحمس القائم على الأنفة والإباء والكر والفر .. على أن التجديد المحدود الضيق لا ينعدم داخل هذه الأطر القديمة فالرثاء مثلاً لغة الحزن ومجال اليأس ومعرض الوفاء والحزن فى الأصل عاطفة سلبية[1] لكن مع هذا نجد أن لكل شاعر أسلوبه فى هذا اللون وله أغراضه التى يطرقها، فالمعرى مثلاً غير البحترى .. وشوقى غير المتنبى .. والعزاء نوع من الرثاء .. ورثاء أقارب المملوك غير رثاء أقارب الشاعر .. وهكذا نجد أن مجال التجديد فى الأغراض أو داخل الغرض نفسه مفتوح أمام الشاعر .. والغزل الجاهلى مثلاً لا يعدو وصف المفاتن ومقاطع الجسم .. وصفاً حسياً مثيراً فالبياض مقرون بالشمس أو القمر .. والصورة مقرونة بالأزهار والأطيار .. والظباء .. واللوعة مقرونة بالنار المحرقة ..

---

(١) الأسلوب.. أحمد الشايب صفحة ٨٥.

والمرض المخيف.. والسهاد الممل.. وهكذا لا يعدو المحسوسات المألوفة.. لكنه فى العصر الأموى والعباسى يتحرر بعض الشىء فيتخذ لوناً آخر هو التركيز.. أو على الأقل التلميح إلى الجمال الروحى.. وفضائل الأخلاق وهو مايسمى بالغزل العذرى أو الصوفى.. وكذلك يمكن أن يقال بالنسبة لبقية الأغراض فى الشعر العربى.. كما أن بوادر التجديد فى الشكل قد بدت فالذين يقرؤن الشعر العباسى والأندلسى يتضح لهم التجديد بكل أبعاده.. هذا اللون من التجديد المعقول المتزن لم يكن واضح الرؤية فى كثير من الشعر التقليدى فى نجد.. وهو فى نظرى عيب يؤخذ على المحافظين أمثال بن اسحاق.. وابن عثيمين.. وابن بليهد ومن بعدهم الشاعر المعاصر عثمان بن سيار.. وغيرهم من عشرات الشعراء الذين اعتمدوا على الشعر القديم فى مختلف عصوره لأنه لا أقل من أن يمارس الشاعر المعاصر لوناً من الإبداع يتمكن من خلاله على ترك بصماته واضحة أو باهتة على إنتاجه ليمكن تسهيل انتمائه.. وعلى الطرف الآخر نجد المجددين تطرفوا إلى الحد الذى لم يبق لهم من سماتهم وسحناتهم مايمكن معها التعرف عليهم كشعراء عرب لهم مشاربهم.. ولهم تراثهم.. ولهم خصائصهم وسماتهم.

هذه الروافد بالنسبة للشعراء المحافظين الذين رأوا الشعر العربى القديم على مختلف مراحله وأطواره فقرءوه ودرسوه وقلدوه فى كثير من الأحيان على أن هناك طائفة من الشعراء النجديين الذين لم تمتد أيديهم إلى التراث الأصيل.. واكتفت بالشعر العربى فى عصر التخلف والإنحطاط وهو ما تجلت فيه الصنعة وظهر التكلف.. وجمدت فيه الحركة.. ومات الإبداع.. وهو شعر فترات التخلف المظلمة ومن المؤسف أن هذا الشعر المصنوع المتهالك وجد الطريق مفتوحاً إلى كثير من شعراء نجد القدامى الذين رضوا بأن يكونوا من المتخلفين إما لضعف فى ملكاتهم.. وضحالة فى ثقافتهم.. وإما لعدم القدرة على تخطى هذا اللون من الشعر المصنوع المتكلف وقد عانت كثير من الدول العربية

وخاصة مصر من هذه الفئة التى بقيت فى وسط الطريق تجتر هذه المخلفات البالية.. وما شوقى.. وحافظ.. ومن قبلهم البارودى .. وصبرى ومطران ثم بقية الشعراء إلا حداً فاصلا انتهت فيه فترات التقليد الجامد.. وفى نجد نجد هذه الحدود قامت على يد بن عثيمين كأساس.. ثم من بعده ابن خميس.. وابن سيار.. والجهمان.. وعبد الله الفيصل وعشرات غيرهم.

لقد كانت روافد المحافظين كثيرة.. والذى يقرأ شعر الشاعر محمد بن عثيمين يدرك أنه تتلمذ على كثير من الشعراء القدامى.. أمثال زهير والحطيئة وأبى تمام والبحترى.. ثم المصرى والمتنبى.. وفى شعره شواهد كثيرة من ذلك.

والذى أود أن ألمح إليه هنا أن الدكتور بكرى الشيخ أمين.. الذى قدم اطروحة الدكتوراه عن الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية لجامعة اليسوعيين عقد فصلا عن مصادر الشعر السعودى ولم يكن موفقاً فى ذلك .. إذ أنهى مجهوده بأن درس هذا الفصل على أساس الدراسات القائمة حول السرقات فى الشعر.. فمثلا يأتى ببيت لشاعر نجدى.. يقابله فى الوزن والقافية والمعنى ببيت لشاعر عربى قديم وهكذا زاعماً أن هذا اللون من الدراسة تثبت مصادر الشعر النجدى وهذا يكفى لو أن أحداً أنكر عليه أن يكون الشعر العربى القديم من أهم مصادر الشعر النجدى المحافظ.. بل لم يكتف بذلك فعقد فصلاً آخر عن الحركة العلمية.. والصحف.. والمجلات.. والمكتبات وأثرها فى النهضة الأدبية.. وكان عليه أن يدمج الفصلين فى فصل واحد وأن يدرس المصادر دراسة تعطى المطلوب.. لا أن يتخذ بها أسلوب القدامى فى دراسة السرقات الشعرية.. ذلك أن القدامى فى دراستهم لهذا الموضوع لم يكن لغرض إثبات مصدر الشاعر بل لغرض الطعن عليه والتقليل من قيمته.. وما هذا أراد الدكتور بكرى لكنه وقع فيه من حيث لا يدرى.

كما أننا نجد ملامح الشعر الإسلامى كشعر حسان ابن ثابت واضحة فى كثير من معطيات بعض الشعراء النجديين كالشاعر سليمان بن سحمان ..

والشاعر عبد العزيز بن طوق[1] وعبد اللطيف بن عبد الرحمن الأزهرى[2] وكل شعراء الدعوة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

.. وإذا كان المحافظون قد اختلفوا إلى معاهد الشعر القديم ينهلون ويعلون ويضيفون على انتاجهم سمات القديم مع فارق الموهبة والخصائص.. فإن الشعراء المجددين قد تلمسوا مصادرهم فى عالمهم المعاصر هناك مدارس شعرية ذات خصائص ومميزات لا زالت آثارها قائمة فى عالم الأدب والشعر ولها أنصار منتشرون فى الآفاق العربية ينظمون ويكتبون.. داخل إطار تلك الخصائص لكل مدرسة والشعراء النجديون تأثروا بهذه المدارس.. وتتلمذوا عليها.. ولعل من أهمها.

---

(١) ذكره عبد اللطيف آل الشيخ فى كتابه «منحة الغريب المجيب».. وهو شاعر مقلد..ومقل.. وذكر ابن حسين أنه لم يعثر له إلا على قصيدة واحدة أخوانية مطلعها:

وساعـــــــى شوق واثـــــــم متواتـــــــر
إلـــــى فرع شمس الديـــــن بدر المنابـــــر
سلالـــــة مجـــــد من كرام عشائـــــر
يعيـــــد بديعـــــا من كنـــــوز المحابـــــر

(٢) يدعى الأزهرى لأنه درس فى الأزهر أبان إقامته الجبرية بعد حملة إبراهيم باشا وهو شاعر جيد وليس له ديوان.. وماحفظ من قصائده لا يزيد عن عدد أصابع اليد أورد له ابن قاسم فى الأجوبة النجدية قصيدتين يقول فى أحدهما : —

لاتصغ للـــــعشاق سمـــــعك أنمـــــا
ناديهـــــم بيـــــن البريـــــة عانـــــى
والـــــعشق داء قاتـــــل ودواؤه
فى السنـــــة المثلـــــى من الأعيـــــان

بقى بمصر بعد عودة والده ليكمل دراسته فى الأزهر.. وماأن وعى العلم والمعارف عاد إلى نجد ليقف إلى جانب ذويه فى دعوتهم الإصلاحية وافاه الأجل عام ١٢٩٣هـ.. وهو كاتب بليغ إلى جانب شاعريته.. راجع الورد السنية.. والأدب الحديث فى نجد ٢٤.

١ ــ مدرسة المحافظين.. شوقى.. حافظ.. اسماعيل صبرى.. البارودى.
٢ ــ مدرسة المجددين وزعيمها مطران.
٣ ــ مدرسة الديوان.. العقاد.. والمازنى وشكرى.
٤ ــ مدرسة أبولو.. وزعيمها الدكتور أحمد زكى أبو شادى.
٥ ــ مدرسة المهجرين الشماليين والجنوبين.
٦ ــ مختلف الاتجاهات والشعراء فى سوريا.. والعراق.. ولبنان على وجه الخصوص.. وفى مصر أيضاً لقد كان لهذه المدارس أثر واضح وعميق فى الشعر النجدى الحديث وتجلت خصائصها فى شعر الشباب خاصة لا أستثنى من ذلك إلا الطليعة الجديدة التى لا زالت فى أول الطريق.. لقد تركت تلك المدارس.. وارتمت فى أحضان الغرب.. وهذه الفئة من الشباب تتعلق كثيراً بالمجددين من شعراء لبنان كجماعة البير أديب.. ونزار قبانى وغيرهم ممن تحوم الشبة والشكوك حول اتجاهاتهم.

أعود الآن لأعطى لمحة سريعة عن خصائص كل مدرسة من هذه المدارس التى كان لها أكبر الأثر فى اتجاهات الشعر المعاصر فى نجد.. وبمعرفة خصائصها يسهل علينا فهم الشعراء النجديين الذين درسوا هذه الألوان من الشعر على أن هذه الروافد لم تستتبع شعراء نجد فهم بتأثرهم لم يكونوا مقلدين.

فمدرسة المحافظين.. تلتزم بعمود الشعر العربى لكنها لا تسير حسب منهج القصيدة العربية على النحو الذى أشار اليه ابن قتيبه فى كتابه الشعر والشعراء.. وعمودية الشعر العربى أجمل خصائصها وسماتها المرزوقى فى مقدمته القيمة لكتاب الحماسة.. هذه المدرسة حملت عليها مدرسة الديوان حملة شديدة تمثلت هذه الحملة بنقد عباس محمود العقاد لشعر شوقى .. والشعر عند العقاد يقاس بثلاثة مقاييس هى :

١ ــ أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات.
٢ ــ أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية.
٣ ــ أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثره يجمعها الوزن والقافية.
وقد طبقها على شعر شوقى فلم يجد هذا الشعر يتسم بشيء من ذلك فأمعن فى نقده.. رحمهما الله جميعاً فلقد ماتا وتركا لنا تراثاً خالداً يتجدد مع الزمن.

والقصيدة عند شوقى ومدرسته تفقد نسقها الفنى.. فهى عنده جملة انطباعات شتى لوقوع الشاعر فى حالات نفسية مختلفة.. ولهذا فقدت بنيتها العضوية.. ولهذا نقد العقاد القصيدة عند شوقى لأنها تفقد الوحدة الموضوعية.

كما أن العقاد هاجم شوقى لانعدام التجربة الشعرية الذاتية عنده .. وقال فيما قال عنه.

«إن المحك الذى لا يخطىء فى نقد الشعر هو ارجاعه إلى مصدره فإن كان لا يرجع الى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء.. وإن كنت تلمح من وراء الحواس شعوراً حياً ووجداناً تعود إليه المحسوسات كما تعود الأغذيه إلى الدم.. ونفحات الزهر إلى عنصر العطر فذلك شعر الطبع القوى والحقيقة الجوهرية

..وهناك ماهو أحقر من شعر القشور والطلاء وهو شعر الحواس الضالة .. والمدارك الزائفة[١]

ولهذا حارب العقاد وزملاؤه شعر المناسبات وجعلو القصيدة الحية القادرة

(١) راجع: الديوان. للعقاد والمازنى «والعقاد ناقدا» وفصول من النقد عند العقاد جمع محمد خليفة التونسى والأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل.. ودراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه. والبناء الفنى للقصيدة للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى. والشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث.

على البقاء والخلود هى القصيدة التى تنبع من وجدان الشاعر وذاته.

إن الحملات التى شنت على شوقى واضرابه حددت لنا أبعاد هذه المدرسة.. ومهما قيل فى شوقى.. فهو بحق شاعر العصر بدون منازع.

على هذه المدرسة نمت نبتات من الشعراء النجديين.. أمثال الجهيمان وعثمان بن سيار وغيرهم.. ومدرسة شوقى تلتزم الوزن والقافية.. وترتفع عن الإسفاف.. وتهتم بالمناسبات وتزخر بالموضوعية والواقعية.. وتمجد الإسلام.. وتقدس التراث ولا تخلو من المآخذ لكنها ليست كمآخذ مدرسة الديوان عليها.

وشوقى يعد من أعلام مدرسة البارودى لكنه فاق أستاذه.. ولهذا نعتبر شوقى وحافظ والبارودى يمثلون مدرسة واحدة لها خصائص وسمات بارزة.

ومدرسة مطران.. أو مطران بالذات أول من وعى للتجديد.. فهو الذى دعى إلى الوحدة العضوية للقصيدة.. ومن نزعات التجديد عن مطران قوله «هذا شعر عصرى.. وفخره أنه عصرى وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر.. هذا شعر ليس ناظمه بعبده.. ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده.. يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح ولاينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع .. وقاطع المقطع وخالف الختام بل ينظر إلى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه .. وإلى جملة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها مع ندور التصور وغرابة الموضوع.. ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعر الحر وتحرى دقة الوصف واستبقائه فيه على قدر[1] كما أن من سمات هذه المدرسة التيار الموضوعى.. وهو ماخرجت عليه مدرسة الديوان التى تمثل التيار الذاتى.. ومن هنا ندرك أن مطران أول من دعى إلى الوحدة العضوية للقصيدة.. وتبعه شعراء الديوان والمهجريون.. وجماعة أبولو ملامح هذه المدرسة تجلت فى بعض

---

(١) مقدمة الجزء الأول من ديوانه الذى صدر عام ١٩٠٨.

القصائد النجدية.. عند الحجى.. وعند الأمير عبد الله الفيصل.. وعبد الله بن ادريس.. على أن الخلاف حول الوحدة لم يقم كفن بين الشعراء.. لكن سمات هذا الاتجاه تجلت فى التجارب الشعرية عند أولئك الشعراء وهنا أود أن أكرر بأن الصراع بين القديم والجديد الذى قام فى مصر وسوريا والعراق ولبنان لم يقم فى نجد.. وعمليات التجديد فى الشعر النجدى تمت بالتجول المتدرج المسالم وتلك ميزة لست أعرف سبباً جوهرياً لها.

ومدرسة الديوان.. وأبولو لكل وحدة منهما خصائص تنادى بها وتبثها.. ولكل من المدرستين أنصار وخصوم.. فجماعة الديوان لها نظر متميز فى الشعر تنافح عنه وتمعن فى النقد لكل من يخرج عن إطاره ويتلخص مذهب هذه المدرسة فيما يلى:

١ ـــ الدعوة إلى تخليص الشعر من صخب الحياة وضجيجها والتعبير عن الذات ولعل أصدق تعبير عن هذه الدعوة قول شكرى فى بيت من الشعر صدر به ديوانه الأول «ضوء الفجر».

الا ياطائر الفردوس ان الشعر وجدان

٢ ـــ الدعوى إلى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملاً فنياً تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها(١).

٣ ـــ التحرر من القافية الواحدة.. والدعوة إلى تنويع القوافى أو ارسالها وقد كتب شكرى كثيراً من القصائد تحرر فيها من وحدة القافيه وأحياناً كان يتحرر من القافية على الإطلاق.

وأود هنا أن أشير إلى أن للعقاد رأيين فى الشعر المتحرر.. يتمثل الأول بقوله :ـــ

«لا مكان للريب فى أن القيود الصناعية ستجرى عليها أحكام التغيير

(١) من هذه الزاوية انطلق العقاد رحمه الله فى حملته المتحاملة على شوقى رحمه الله.

والتنقيح.. فإن أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه.. وقرأ الشعر الغربى فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة.. وكيف تلين فى أيديهم القوالب الشعرية فيودعونها مالا قدرة لشاعر تربى على وضعه فى غير النثر» وعدل عن ذلك وقال عن رأيه السابق أنه صدر يوم كان يتوقع أن الأذن العربية ستألفها.

٤ ــ العناية بالمعنى وأدخال الأفكار الفلسفية والتأمل فى قصائدهم ونفثات صدورهم.

٥ ــ تصوير لباب الأشياء وجوهرها والإهتمام بهذا اللباب والبعد عن الأعراض.

٦ ــ تصوير الطبيعة والغواص إلى ما وراء ظواهرها.

٧ ــ التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيراً فنياً جميلاًيبعث فيها الحياة كما فعل العقاد فى ديوانه «عابر سبيل».[١]

هذه النقاط يمكن تطبيقها بوضوح على شعر عبد الرحمن شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد.. وفى كتاب «الديوان» تبدوا خصائص مدرستهم.. وهذا الكتاب فصول من النقد اشترك فيها العقاد.. والمازنى وكان علما على مدرستهم.. وقد اشتهر العقاد رحمه الله فى نقد شوقى وأسرف إسرافاً لا يطاق فى هذا النقد وإن كنت آخذ على العقاد شيئاً فهو تحامله على شوقى رحمهما الله جميعاً.. وهذه الجماعة وإن كانت متحمسه للأدب العربى فإنها متأثرة كثيراً بالأدب الانجليزى.

أما جماعة.. أبولو.. فهى ذات نزعات عاطفية وتأملية.. ووصفية واجتماعية.. وانسانية والذين يقرؤن آراء أبى شادى يدركون الانفتاح لكل الأوزان

(١) جماعة أبولو. وأثرها فى الشعر الحديث. تأليف عبد العزيز الدسوقى. ص٨٦ .

والإتجاهات.. وليس أدل على ذلك من رئاسة شوقى لها فى أخريات حياته.. والترحيب بها فى قصيدة له.. ونزعات هذه الجماعة ذات ارتباط بالأدب العربى إلا أن وضوحها لم يكن من الاشراق بحيث يمكن ربط هذه النزعات بالتراث القديم وللمدرسة رأى فى تحديد البناء الفنى للقصيدة.. ويقصد به التحديد فى الشكل الخارجى من حيث التفنن البيانى والبحور والقوافى .. والتنويع فى الشكل نفسه.. وسنعرض لهذا الموضوع فى الفصل التالى.. كما أن هذه الجماعة تصوغ الشعر على أشكال من الوزن لا تحيطه الحدود.. ولا تأخذه القيود.. فمن شعرائها من يلتزم الوزن والقافية مع المزج بين البحور.. ومنهم من يلتزم البحر ويتحرر من القافية.. ومنهم من لا يلتزم الوزن ولا القافية وكل اعتمادهم على جمال الصورة ورشاقة الألفاظ.. وجرسها وتصوير العواطف والخوالج.

وجماعة ابولو تجدد فى البناء الداخلى للقصيده وتعنى بالتنسيق بين الأفكار والصور الشعريه والأخيله والعواطف.. ومراعاة الانسجام بين هذه الأشياء وبين الشكل الخارجى للقصيده.

وتبدو عند هذه الجماعة.. كما هو عند الجماعات الأخرى النزعة الإنسانية.. وهذه النزعة تدفع الشاعر إلى الإيمان بالانسانية فى صورتها العليا والإرتفاع على النزعات العارضة الوقتية ومن مظاهرها الدفاع عن الكرامة البشرية والعطف على كل الكائنات الحية.(١)

وكل هذه الخصائص تظهر كثيراً فى الشعر النجدى المعاصر كشعر البواردى.. والعيسى.. كذلك نجد النزعة الاجتماعية فى كثير من الشعر النجدى.. والوطنية يكاد لا يخلو منها شعر شاعر نجدى.

ولعل أبعاد هذه الجماعة ونظرتها إلى الشعر تتجلى فى كتاب الدكتور أحمد زكى «قضايا الشعر المعاصر» فهو يقدر الشعر المتجرد.. والمرسل .. والحر..

---

(١) جماعة أبولو. وأثرها فى الشعر الحديث. للدسوقى.

والرمزى.. والسريانى.. وهو يدافع عن حق الشعر الإنسانى المعلم والشعر المتصوف.. والشعر الوجدانى.. وهو أيضاً يدافع عن حق الشعور الإنسانى إطلاقاً ويناهض كل تزمت أو تحكم قضى عليه فى العالم الجديد لا فى الشعر والآداب والفنون والعلوم فحسب بل هو فى الأديان أيضاً وهو يؤمن بالشعر العامى والفصيح.. والشعر الرمزى والغزلى الحسى لأن الذى يجمع بينهما الأدب والفن والإنسانية ومتى تراءت له الأصالة والتحرر والابداع كان هذا كل مطلبه.. ولهذا نجد رائد هذه المدرسة لا يقيم الحدود والسدود لمدرسته [1] فهى أكثر المدارس انفتاحاً.. ولهذا لم تلاق أى مقاومة تذكر لولا بعض الأيادى التى ضايقتها لأغراض أخرى غير أدبية.. اضطرت زعيمها إلى الهجرة لأمريكا والانضمام إلى المهجريين.. وإنشاء جماعة أدبية.. على أن هذه المدرسه وأثرها لا زال قائماً حتى الآن فكتابها وشعراؤها لم ينقرضوا بعد.

ولهذه المدرسة إلمام بنزعات قديمة.. كالنزعة الفلسفية.. والصوفية وهذه طبعاً تجلت فى العصر العباسى عند المعرى.. وابن الفارض وغيره من الشعراء.. لكنها أخذت شكلاً أبعد لظهور بعض المعتقدات القائمة على نظريات علمية لم تكن موجودة آنذاك.. كما أن النزعة الوصفية لدى الجماعة أخذت اتجاهاً مخالفاً لغرض الوصف المعروف.. فكان مؤداه الهروب من الحياة وقسوة الأحداث بينما هى فى الشعر العباسى والأندلسى لا تحددها إلا البيئة الشعرية ومظاهر الطبيعة ولا تتجلى فى الشعر القديم ظاهرة الهروب من الحياة العامة إلى الطبيعة إلا فى القليل النادر.

لقد كان لهذه المدرسة أكبر الأثر فى اتجاهات الشعر النجدى.. لأن عيون الشعراء تفتحت والمدرسة فى أوج نشاطها وحيويتها.

أما عن الشعراء المهجريين. فمن أبرز الرابطات.. الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية.. وقد ظهرتا فى أوائل القرن العشرين.. ووضحت سماتها بعد الحرب

---

(١) قضايا الشعر المعاصر. صفحة ٨١.

الأولى.. وأسهم فى هذه المدارس المهاجرون للشمال والجنوب الأمريكى.. فى الولايات المتحدة..والبرازيل.. والأرجنتين.. ونجد أن العصبة أكثر محافظة على التراث القديم.. فى حين أن الرابطة جرفها التجديد.. الأمر الذى دفع كثيراً من المخلصين إلى الإمعان فى نقدها.. ومن زعمائها جبران.. ونعيمة.

وللمهجرين سمات وخصائص كثيرة تجلت بوضوح فى شعر الشباب النجدى مثل حمد الحجى وصالح العثيمين والعبيد والأدريس — ومن خصائص الأدب والشعر المهجرى . الاتجاه الواقعى.. مع الحياة والحضارة ويستثنى من ذلك صوفية جبران.. والمهجريون يعتبرون الشعر أدب الحياة الشاملة.

كما أن لهم إلى جانب الواقعية.. اتجاه رومانسى.. وهذا ناتج من خضوعهم لتأثير كل المذاهب الأخرى فى أمريكا.. ولهم اتجاه رمزى بقله.. كما أن من خصائصه التركيز.. فهو أدب يقدر الوقت ويرفض الثرثرة.. والبهرج.. الكاذب وتعلقه باللباب.. ولهذا فهو أدب حى دائم التجدد.. ومن خصائصه.. التحرر من الصياغة.. وتصرفهم فى الأوزان تصرف واع ومتزن.. لولا بعض هفوات الرابطة القلمية على لسان جبران.. الأمر الذى دفع الشاعر الكبير عزيز أباظه إلى القول.. أرجو ألا ينسلخوا من لغة العرب.

وقد استهوتهم الموشحات الأندلسية.. واعجبوا بها.. ونظموا على منوالها.. وكان جبران يرى فى تعدد الأصوات زيادة وقع القصيدة.. ولهذا نجد أن موسيقى الشعر المهجرى تلتقى مع موسيقى الموشحات..

ومن خصائصهم.. الاهتمام بالمعنى.. ولهذا فهم من صفوة شعراء المعانى.. حتى أنهم يستخفون بكل شاعر يهتم باللفظ.

وقد ذكر الدكتور مندور من سمات أدبهم.. أنه أدب مهموس.. ويعنى انه لا يحمل سمات الخطابة والارتجال.. وهو الهمس الذى يثير فؤادك ويضعك أمام الحياة حتى يخيل إليك أنه آت من الأعماق.. إنه مناجاة الحياة.. وهو تصوير صادق هادىء وعميق..

ومن خصائصه أيضاً الحنين إلى الوطن.. والتمزق على ماأصابه من ظلم.. وبالتالى الدعوة للكفاح والتحرر.. وإلى جانب الحنين إلى الوطن نراهم يهتمون بالقضايا العربية.. أما شعورهم فهو إنسانى حر.. إنه شعور الغيور المصلح.. المتمدن.. شعور العربى الرائد.. ثم شعور الشاعر المثقف الذى أخذ من جميع عناصر الشعر وتفكير المهجريين . تفكير مزدوج بين المهجر.. والوطن.. فهو يستوعب مسائل محيطة.. ومن جهة أخرى نراه على البعد يسهم فى معالجة مشاكل وطنه.. إن مجال التفكير واسع فسيح بفضل الحرية.. إنه تفكير حضارى تمتد جذوره إلى صميم المدنية الأمريكية.. وتمتد فروعه إلى جميع النواحى الحياتية [1]. والشعراء النجديون قد تتلمذوا على هذه المناهل.. وشربوا من كدرها وصفوها.. فأجادوا.. وأسفوا.. وأخذوا معاول بعض المهجرين وهدموا بها حصون لغتهم ليطوعوها لأنفسهم.. ولقدراتهم الخائرة.. وترفهم الأدبى الذى لا يحتمل الجهد والمعانات.

على أن من الشعراء من التمس روافده من مناهل عده.. فمنهم من استخلص شاعراً ملء قلبه ونفسه راحة وبهجة.. ووجد فى ربوعه متعته النفسية ومطلبه الفكرى.. فالشاعر الذى يهتم بالديباجة.. وجزالة العبارة.. وفخامة الأسلوب تَلَمَّس ذلك فى رحاب الشاعر المصرى محمود سامى البارودى. نجد ذلك فى كثير من قصائد الشاعر عبد الله بن خميس.. وعثمان بن سيار.

إن تلك الروافد المتعددة قد أثرت بطريق مباشر أو غير مباشر فى اتجاهات الشعر النجدى المعاصر.. يتجلى ذلك بوضوح إذا درسنا خصائص الشعراء الذين توقف إنتاجهم فى آخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى.. كابن عثيمين وابن سحمان وابن بليهد.. والأزهرى والطوق وغيرهم إما لموت أو لغيره هؤلاء جميعاً لانجد لهذه التيارات الجديدة أثراً فى شعرهم.. وبدراستنا

---

(١) قصة الأدب المهجرى.. للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الجزء الأول والثانى.

لمن بعدهم.. ندرك ذلك الأثر الواضح.. إن إلمامنا بروافد الشعر النجدى المعاصر يسهل علينا استيضاح الملامح.. والوقوف على السمات والخصائص.. ومن الأدباء السعوديين من ينكر شخصية الأدب السعودى.. ويرى أنها ذائبة وسط تيارات الآداب الأخرى.. ويستبعد القدرة على جلاء تلك الخصائص.. وأود هنا أن أقرر أن العالم العربى أصبح يمثل شخصية واحدة.. وأن محاولة تحديد خصائص لكل دولة أمر قد يعسر.. ويكفى الشعر السعودى أن توجد فيه تجارب شعرية ايجابية تستحق الدراسة.. وسواء فى ذلك أكان يتمتع بسمات خاصة أم لم تكن له تلك السمات.. كل مانريده من العطاء أن يكون قادرا على البقاء وما سوى ذلك فأمر غير ذى بال. وفى الأدب السعودى من العطاءات الخالدة مايفتح النفس.. ويوسع آفاق الأمل.. ويطرد أشباح التشاؤم والتذمر، ودراستى للشعر كلون من ألوان الأدب.. فى جزء من أجزاء المملكة المترامية الأطراف يكشف شيئاً من هذه السمات.. وإننى لأرجو أن أكون موفقاً بعض التوفيق للوقوف على أبرز الاتجاهات على ضوء تلك الروافد التى تركت بصماتها واضحة مشرقة فى محيا الشعر النجدى المعاصر.

الفصل الثاني
خصائص وسمات الشعر النجدي المعاصر

إن دراسة إتجاهات الشعر المعاصر فى نجد.. والإطلاع على روافد الشعر المعاصر فى نجد كافية لإيضاح خصائصه..لأن الروافد تشكل اتجاهاته .. وسماته.. وخصائصه.. والاتجاهات تحدد هذه السمات لكن توخيت فى هذا الموضوع أن ألم شعث تلك الخصائص المتفرقة بين الروافد.. والإتجاهات.. على أننى لم أسهب فى الحديث عنها للأسباب التى أشرت إليها.. والعقبة التى تقف فى وجه استخلاص الخصائص والسمات كون الشعر النجدى لبنة فى بناء الأدب العربى شعره ونثره..ولست أعرف سمات وخصائص بارزة.. واضحة لأى أدب أو شعر عربى.. اللهم إلا مايخص المدارس القائمة كمدرسة أبولو.. والديوان.. والرابطة القلمية فى المهاجر الأمريكية. على أن هؤلاء يضعون أسس ومبادىء لمدارسهم مع إلمامهم بكثير من سمات المدارس الأخرى.

والشعر النجدى الواقع فى المدة من: ١٣٠٠ ـــ ١٣٩٤ هـ يشكل عدة خصائص ويمكن حصرها فيما يلى:ـــ

١) المحافظون.

٢) المجددون داخل إطار العمود الشعرى.

٣) المزاوجون بين المحافظة.. والتجديد فى الشكل والمضمون.

٤) المجددون المتطرفون.

فالشعراء الذين سكنوا فى الستينات من هذا القرن الهجرى محافظون فى الشكل والمضمون والذين استمر نظمهم إلى الآن متذبذبون بين المحافظة المرنة.. والتجديد المتطرف.. والمزاوجة بين التجديد.. والمحافظة.

فالشعراء المقلدون لهم سمات وخصائص لا تبعد كثيراً عن سمات وخصائص أى فئة مقلدة فى الشكل والمضمون.. ويمكن إجمال خصائص هذه الفئة بالتالى: —

١) التقليد فى المطالع.. فالشاعر حين يريد أن يمدح.. أو يفخر ينتقل إلى غرضه من خلال الغزل المتكلف يردد صفاة الجسم كما رددها الشعراء الأولون لا يزيد في ذلك ولا ينقص حتى أنه يتخذ ليلاه.. وسلماه كما اتخذها الأولون.. ويبكى الأطلال كما بكاها ابن خذام وزعيم المحافظين بلا منازع الشاعر النجدى محمد بن عثيمين.. ومع أصالته.. وقدرته.. وتصرفه الدال على شاعريته.. نجده فى تقليده لا ينعتق حتى من المطالع.

يقـول :

قفوا بى على الربع المحيل أُسائِله وان كان أقوى بعد ماخف آهله

وقولـه :

وقفت على دار لمية غيـرت معالمها هوج الريـاح النـواسف
فأسبـلت العينـان دمعـا كأنـــه جمان وهى من سلكه مترادف
أسائلها عن فرط مابى وانني بعجمـة احجـار الديـار لعـارف

وقـولـه :

عج بى على الربع حيث الرند والبان وان نأى عنه أحباب وجيران

وعلى نفس النسق.. وبنفس الأسلوب تطالعنا قصائد الشاعر بن بليهد .. وكأن بكاء الديار سمة من سمات الشعر المقبول لا يسوغ ولا يقبل إلا به لو كان الشاعر لا يعرف الربع صاحبا بالآهلين أو محيلا يقول بن بليهد:

تغير رسم الدار أصبح خاليا فليس بها حى يجيب المناديا
عنى رسمها من وابل المزن رائح وآخر معهاد من المزن غاديا

وعلى نفس الوتر يعزف بن سحمان رغم أنه عالم من أفاضل العلماء.

تبكي على رسم دار دارس بال قد غيرته سوارى كل هطال
دار لسلمى وقد كنا بها زمنا لم تخش فيها عتاب المبغض التال

هذا على الرغم من أنه لا وجود لسلمى.. ولا للمبغضين.. والتالين .. ولكنه التقليد.. ليس غير.

٢) بعدهم عن الواقعية.. وعدم الإهتمام بقضايا المجتمع.. فكل شعرهم لا يعدو أن يكون مدحاً لأمير أو كبير.. يصفه بالكرم إن كان غنياً.. وبالبطولة والشهامة.. والاقدام إن كان قائداً أو زعيماً من زعماء القبائل الذين يملأون الرحب آنذاك.. يلى ذلك الاستجداء وتصوير حالة البؤس التى يعيشها الشاعر.. وأمر المجتمع.. وشئونه.. ومشاكله.. وويلاته.. وما يعانيه من فقر ومرض وجهل فهذا لا يندرج تحت وظيفة الشعر حتى أن هذه الفترة بالذات كانت فيها نجد تتمرغ فى الوحل.. فالحروب قائمة على أشدها.. بين آل سعود وخصومهم.. والأمراض المستوطنة الموسمية والسارية تصبح.. وتمسى فئات المواطنين العزل من المقاومة.. والتحصن.. والعلاج.. والحرب العالمية تمنع تقاطر الأرزاق التى تخفف من الويلات.. ومع كل ذلك لا نجد فى الشعر النجدى فى فترته الأولى أى إشارة إلى شىء من ذلك.. مع أن الشاعر يحس بالآلام.. لأنها تمس كيانه كفرد فى المجموعة وتمس جسمه كمواطن يعانى مايعانيه الغير.. لكن النزعة التقليدية سدت على مواهبه المنافذ وصرفته عن التعبير عن هذه الآلام.. ذلك أنه لم يجد فى الشعر الذى ينزع منه تفرغاً لهذا اللون.. وهو لا يريد الشعر إلا تقليداً حذو القذة بالقذة.

٣) وضوح التقليد فى نظم القصائد على وزن وقافية قصائد مشهورة قديمة.. والإقتباس من حكمها وأغراضها.. ومحاولة تغطية هذه المعارضة بشىء من الصناعة اللفظية التى تذهب ببهاء الشعر ورونقه.. كما نجد أن الشعراء أكثروا الإقتباس من القرآن والسنة وإدخال كثير من حكمها فى النظم.

يقول الشاعر بن عثيمين :

العز والمجد فى الهنديه القضب لا فى الرسائل والتنسيق والخطب

وهذه القصيدة يعارض فيها قصيدة الطائى فى فتح عمودية التى يقول مطلعها:

السيف أصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

حتى أن ظاهرة المعارضة واضحة فى الشعر المعاصر .. لكنها فى القديم أكثر وأظهر.

٤) عدم التجديد فى الأغراض.. والوقوف عند الأغراض السابقة كالمدح والهجاء والفخر والوصف والغزل والرثاء.. مع أنه لا يوجد تجديد داخل هذه الأغراض لكن الإجادة لا تنعدم داخل هذا التقليد.. ولمحافظتهم على الأغراض السابقة لانجد أحداً تعرض للمخترعات الحديثة التى بدت .. وأصبحت رأى العين فتجد الشاعر يذهب لممدوحه على ظهر سيارة.. ولا يجد غضاضة ولا حرجاً من ذكر العيس وما يصيبها من الكلالة والوجى.

٥) الإسراف فى المدح واضفاء كل مايمكن من الصفات على الممدوح.. والمبالغة فى ذلك.. والمبالغة تشبه إلى حد كبير مبالغات الشعراء العباسيين الذين خرجوا عن حد المعقول فى وصف الممدوحين بيد أن شعراء نجد لا يخرجون فى مدحهم على حدود الدين.. فى حين خرج الشعراء العباسيون على تلك الحدود.

٦) ربط التجربة الشعرية بالمناسبات العارضة التى لاتمس حياة الشاعر الأمر الذى أفقد القصيدة فعاليتها وتفاعلها.. وجعل القارىء لا يحس بشىء أكثر من المحسنات اللفظية وبلاغة النظم كما أن الشاعر لا يخلص لنفسه إلا إذا أراد أن يستجدى التمس التأوهات ليلفت نظر الممدوح إليه.. على أن نزعة الاستجداء لم تكن متطرفة.. ولم تبلغ الحد الذى بلغته بعض القصائد فى العصور السابقة ولعل ربط التجربة بالمناسبات ظاهرة امتاز بها الشعر العربى القديم.. ومن جاء بعده عيال عليه.

٧) تأثير الأساليب العلمية على كثير من القصائد.. فإبن سحمان إلى جانب كونه شاعراً يعتبر من العلماء الأجلاء.. ولهذا فشعره يتسم بطابع علمى يميل فى نظمه إلى التقرير والبرهنة والذهنيات. ابن بليهد شاعر ومؤرخ وأسلوبه إلى العلم أميل.. ولهذا نجد أغلب قصائده تتسم بالسرد التاريخى الممل .. وأن بعد عنهم ابن عثيمين فهو لا يبعد كثيراً.. فكل أولئك قصائدهم يلوح فى ثناياها الأسلوب العلمى الدينى.. وإن كان ابن عثيمين ألصق الثلاثة بالأدب لكنه أدب فيه نوع من الجمود والجفاف.

تلك فى نظرى أهم سمات الشعر النجدى فى الفترة الأولى.. وهى سمات نخرج منها بمفهوم واحد.. هو أن الشعر فى هذه الفترة شعر تقليدى .. لكنه فى تقليده ينتمى إلى الشعر القديم.. فهو يقلد القديم فى أغراضه .. وأوزانه.. وأفكاره.. وأخيلته.. وحتى فى كلماته وتراكيبه.

وفى الفتره الثانية الفترة التى واكبت نهضة نجد فى إطار النهضة العامة التى شملت المملكة فى كافة مرافق الحياة.. فى هذه الفترة انقسم الشعراء.. أو يمكن تصنيف الشعراء إلى الفئات الثلاث التى أشرنا إليها..

أما الفئة الأولى التى جددت داخل إطار المحافظة فتمثل بالشعراء عبد الله ابن محمد بن خميس.. وعثمان بن سيار.. وعبد الكريم الجهيمان.. وعبد الله الجلهم.. والأمير عبد الله الفيصل.. وعبد الله المسدى والسنانى.

والفئة المزاوجة بين التجديد.. والمحافظة.. تتمثل فى سعد البواردى.. وحمد الحجى.. الدامغ.. وغيرهم ومن المجددين المتطرفين.. الرميح.. والصالح.. والحمدين.. والفوزان.. وناصر أبو حيميد.. وجيش جرار من الشعراء الذين تعيش معهم وكأنك غريب الوجه واليد واللسان.

ولكل هذه الفئات خصائص وسمات لاتخرج فى جملتها عن خصائص وسمات المدارس التى ينتمون إليها.. أو تأثروا بها.. فأنت تستقرىء ملامح البارودى فى قصائد الشاعر عبد الله بن خميس . وعثمان بن سيار لا يخرج عن

سمات الشاعر أحمد شوقى والجارم وحافظ.. والأسمر.. وهذا لا يعنى أنهم مقلدون بل إن سماتهم تتفق مع سمات أولئك.

ونجد أن الجهيمان.. والبواردى.. والعثيمين وصالح وعبد الله الأدريس يلتقون بخصائصهم بمدرسة الديوان وخصائصها.. وإن كانت أغراضهم تختلف بعض الشيء.

والمجددون تتوازعهم مدرسة أبولو.. والمهجريون.. وخاصة الرابطة القلمية.. وشعراء لبنان وخاصة البير أديب.. ونزار قبانى وأحزابهم.. تلك هى مجمل خصائص وسمات الشعر النجدى المعاصر أشرنا إليها إشارة خاطفة وقد فصلناها فى أثناء حديثنا عن الاتجاهات.. وعند حديثنا عند الروافد.

الباب الرابع

الفصـل الأول

ماهية المذاهب الادبيـة

الإتجاه الفنى من أوسع الأبواب التى أخذت على نفسى الحديث عنها .. وأهمها.. تأتى سعته لاندماج كل المذاهب الأدبية تحته.. المذهب القديم.. أو الاتباعى وهو ماتعارف عليه الأدباء بالاتجاه الكلاسيكى.. والمذهب الجديد.. الابتداعى.. وهو المعروف بالرومانتيكى.. أو الرومانسى.

ويشمل فيما يشمل التجديد فى الشكل.. والتجديد فى المضمون.. والمجددون فى الشكل يذهبون مذاهب عدة.. تجديد فى الشكل ملتزم .. وتجديد غير ملتزم.. وتجديد المضمون أيضاً يأخذ مسالك متعددة فهناك الرمزى.. وهناك الواقعى.. والوجودى.. والطبيعى.. والسريالى .. والواقعى كذلك يختلف فهناك الواقعية الاشتراكية.. والواقعية ذات الاتجاه الاجتماعى.. كما أن من المذاهب مايتسم بالذاتية الصرفة. أو الموضوعية البحتة .. أشكال.. وألوان تغمرك بأرتالها.. ويبهرك بريقها.. ولا ينطوى تحتها فى الغالب من الأهمية ماتستحق معه هذا السيل من الألقاب ثم هى فى كثير من شكلها .. وكثير من مضمونها أشبه بذات المتربه هزال لا حراك فيه وعجاف لا ينقى.

وكم كنت أتمنى أن أسلك فى هذه المذاهب المسلك المعتدل من حيث الشمول لأفى كل مذهب حقه.. على أن هذه الاتجاهات التى طلعت علينا مع تلك التيارات الوافدة لا تعنى قيام الحواجز والحدود كما أن الشعراء لدينا لا يلتزمونها التزاماً يمكن القطع بتميزهم.. كما أن الشعراء تتحدد مراكزهم قوة وضعفاً بما لديهم من مواهب وقدرات لا بهذه المذاهب.. بمعنى أننا لا نلوم الكلاسيكى لأنه كلاسيكى.. ونمجد الرومانتيكى لمذهبه.. إلا أننا مضطرون

إلى توزيع الشعراء على ما يغلب على شعرهم وحسبما هو سائد الآن فى أوساطنا الأدبية.

وحديثى عن الاتجاه الفنى لن أفرغ فيه لكل لون من ألوان الأدب فى شكلها ومضمونها ولكنه عرض سريع للمذاهب ثم تفصيل غير مسهب للاتجاه التقليدى.. والرمزى والواقعى والرومانتيكى وهى المذاهب ذات الإنتشار الواسع بين أوساط الشعراء النجديين.. وبدراستها يتمكن القارىء الراشد من تعميق الرؤية ووضوحها ثم أنه باستعراض معطيات الشعراء النجديين لم نجدهم صبغوا إنتاجهم بشيء من هذه المذاهب الكثيرة المتعددة.. وقصيدة واحدة أو أكثر نهجت فى شكلها أو مضمونها هذا المذهب أو ذاك لاتقوى العزم على الاتساع بالحديث عنه.. الإشارة السريعة فى مثل هذه الحالة كافية.

بقى أن نعرف أن التجديد الذى لاحت بروقه فى أفق الحياة الأدبية فهمه المهتمون على حسب قدراتهم الفنية.. وعلى ضوء مواهبهم.. ثم أن هذا اللون من الأدب صب فى محيطين أدبيين.. محيط الفن.. ومحيط النقد الفنى.. فالتجديد بالنسبة للشعراء غيره بالنسبة للنقاد.. وشعور الشعراء يختلف عن شعور النقاد لأن أولئك لديهم تجارب نفسية يريدون الافضاء بها عبر الكلمة الرامزة.. أو عبر مفهوم النظم الذى طلع به الناقد العربى الكبير عبد القاهر الجرجانى .. ومتى راقهم الشكل أو اللون أخذوا به على علاته.. والنقاد يرصدون هذه الحركات على ضوء مالديهم من آلة فكرية.. وماعندهم من ميول نفسية كثفته ثقافتهم.. وكونته مشاربهم.. وإذا عدلنا بمفهوم النقد عن موضوعيته التى أرادها قدامه بن جعفر.. وأرادها من بعده الناقد الغربى «تين» إلى حكم الذوق الذى أجمع عليه النقاد فى القديم والحديث وجدنا أن الحكم يختلف باختلاف الذوق من حيث مزاجه وميوله النفسية.. ومن حيث لون الثقافة.. لأن الذوق.. موهبة يقوى ويتشكل بالقراءة والتدريب وطول المطالعة.

فالذين درسوا فى مدارس الغرب ووعوا شعرهم وأغراضهم واستعانوا بآلاتهم الفكرية يفتحون صدورهم لكل تجديد على علاته بصرف النظر عن خصائص الشعر الغربى وسماته.. والذين درسوا فى الجامعات المحافظة يمقتون هذا اللون وينفرون منه.. وقل أن تجد فئة وسطاً يمكن أن تأخذ من كل شيء أحسنه تقبل الجديد لا على أنه جديد بل بقدر ما يكون فيه من أصالة .. وعمق وروح فنية تفسح له المجال على ألا تمكن لهذا اللون من مسخ معالم القديم الذى يعتبر بحق القاعدة القوية التى يجب أن يقوم عليها كل لون من ألوان الأدب.. ثم هى تهذب القديم.. وتدفع به إلى الميدان دون أن تجعل من قداسته حصانة لهفواته.. بهذا القدر من الممارسة نصل إلى مستوى الالتحام الفكرى والمزج بين التراث الخالد.. والجديد النامى.. لكننا بعد لم نجد هذه الفئة.. وإن وجدت ـــ وهى بالفعل موجودة على قلة ـــ فهى أشلاء مبعثرة فى صخب المارقين والمتزمتين.. وإذا كان العصر الحالى قد منى بهذا الانشقاق فإننا نجد جذوره فى العصور السابقة..

فابن المعتز ينعى على المتعصبين للقديم كالاصمعى.. ويؤلف كتاباً فى طبقات الشعراء يفرده للمحدثين والآمدى يدافع عن المتعصبين.. بينما يعلله الجرجانى فى وساطته تعليلاً منطقياً.. وهكذا نجد أن حركات التمرد فى محيط النقد الأدبى لم تكن جديدة.

لكن العصر الحديث جاء بفئات من المارقين والشعوبيين الذين تنكروا على لغتهم وجحدوها مجدها.. وسلبوها عزها حتى قال الشاعر السودانى عبد الله عبد الرحمن :

لقد منيت ام اللغات بفتية طغام على أعلامها تتمرد
وقد شربوا حب الاعاجم فانبروا الى هذه الفصحى سهاما تسدد
تواصوا بشر وهو كتمان فضلها وقالوا بأنا معشر لاتقلد

وهو تصوير يجسد معركة القديم والجديد.. والمذاهب الأدبية التى سنعرض لها فى هذا الباب لا تعدوا أن تكون اتجاهات خاصة يسلكها الشاعر فيشكل إنتاجه تشكيلاًموحداً ــ أو متعدداً ــ بحيث تبرز سمات هذا التشكيل بروزاً واضحاً يمكن معه تحديد السمات. والنواحى التى يمكن بروز هذه السمات فيها لا تكاد تعدوا الأفكار والعواطف والانفعالات والخيال وهذا ما يمكن أن يطلق عليه الاتجاه المجدد فى المضمون.

على أن التقليد فى المضمون.. وفى الشكل يندرج تحت الاتجاهات فهو اتجاه يضع السمات والأشكال بحيث يمكن تحديدها فالانتاج الشعرى لشاعر ما يمكن أن نستخلص بعد استيعابه لون وشكل اتجاهه ثم نطلق عليه وصف.. فنقول.. إنه محافظ فى الشكل.. مجدد فى المضمون أو محافظ فى الشكل والمضمون.. ونقول عن المحافظة أنها عقيمة لا تبرز سمات الشاعر .. وعلى هذا الأساس نحكم على الشاعر بأنه مقلد تقليداً مذموماً أو تكون المحافظة مرنة تدل على أصالة الشاعر وعمق ثقافته. على أن الحواجز الواضحة لا يمكن إقامتها بين الشعراء. بحيث تفرق بينهم كما نفرق بين الأبيض والأسود.

هذه المذاهب يحتذيها بعض الأدباء.. بينما يغض منها البعض ونجد زعيم مدرسة أبولو الدكتور أبو شادى من المتوسطين فى الحكم.. فهو يدعوا إلى تعاون هذه المذاهب لأن فى تعاونها تقدير المواهب.. وهو يعلل هذا الانفتاح بأن تقدير مذهب أو لون لا يبخس المذاهب الأخرى حقها ويرى أن من الخير تنوع الفنون.. ومع إيمان أبى شادى بالتجديد فهو لا يغفل الكلاسيكى ويقول أن علينا أن نؤمن ونحتفى بكل لون من ألوان التفكير وعلينا أن نعارض الدكتاتورية الأدبية. ومع تعدد هذه المذاهب فهى متداخلة.. فنجد أن أبا شادى له شعر كلاسيكى.. ورمزى.. وواقعى ورومانتيكى.

على أن من الأدباء من ينكر هذا التقسيم ويرى أن النقاد متوهمون فى هذه المفاهيم.. فالأستاذ وديع فلسطين يرى أن وضع كل أديب فى مذهب جور

على الحقيقه.. وأن الواقع هو تردد الأدباء بين هذه المذاهب [1].

والمذاهب الأدبية تشترك فى المكونات الأساسية التى يتكون منها الأدب.. فلكل شاعر على اختلاف اتجاهه فكرة.. وله عاطفة.. ولابد لكى تتكامل التجربة أن يكون لديه انفعال ازاء واقعة تتصل به أو بحياته ثم لابد من أخيله.. وتعبير.. وتصوير.. إلا أن كمية العطاء لواحد من هذه المكونات تختلف من شاعر لآخر وهذا الاختلاف يمكن أن يساعد على تحديد نوعية الاتجاه من شاعر لآخر.. والمذاهب الأدبية تكاد تكون مترابطة مع بعضها ارتباط المدن المتجاورة فلكل مدينة اسم.. لكن ليس لها حدود قائمة معروفة تقاس بالامتار أو تدرك بالألوان وهذا يؤمن به فئة من النقاد الذين يشكلون الجماعة المنفتحة التى لا تنكر المذاهب.. ولا تؤمن بقيامها بحدود وقيود.

«ينبغى أن نعلم أن هذه الأنواع الأدبية ليست أشكالا منفصلة ولا هياكل مغلقة قد فصل بعضها عن البعض الآخر بواسطة حواجز منيعة كما تراءى ذلك «لبوالو.. ولفولتير» بصفة خاصة بل هى العكس من ذلك أشكال مرنة تتقارب وتتداخل فى نقط عديدة»[2].

ولهذا نجد بعض الشعراء موزع الإنتاج بين عدة مذاهب أدبية.. خذ مثلا على ذلك الشاعر النجدى سعد البواردى يميل إلى الواقعية كثيراً.. لكن له شعر محافظ وله شعر رمزى.. وإسلامى..وإنسانى.. وله غزل عذرى.. وشعر قومى.. فهل يعنى هذا أن الشاعر يمكن أن يوضع فى كل هذه المذاهب أو يقال أنه شاعر واقعى.. يقول الأستاذ مندور.. أن وضع الشاعر فى مذهب واحد إجحاف بحقه.. والدعوة لمذهب واحد فرديه مردودة على هذا يمكن أن نضيفه إلى الاتجاه الذى يغلب عليه كالواقعية.. لأنه كما يقول: « اكفر بكل أدب

(١) راجع: النقد الحديث ومذاهبه. للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى.

(٢) نظرية الأنواع الأدبية. ترجمة حسن عون ص ٣٩ الجزء الأول.

فردى لا يخدم الإنسانية»[1] ومع هذا الكفر فقد جاء له شعر فردى.. والذين يدرسون الشعر القومى يجعلونه فى المقدمة.. والذين تهمهم الواقعية يلتمسون بغيتهم لديه.. والراغبون للتجديد يميلون إليه ومع هذا لا نجد من يعارض عندما تضعه فى أى من هذه الاتجاهات إلا أنه بالواقعية ألصق.

هذه الظاهرة تكشف العقبات.. وتشدد من حدتها وصلابتها.. ولا يمكن التساهل بها حين نريد أن نرصد اتجاهات الشعراء سواء فى نجد أم فى أى بلد عربى آخر.

شيء واحد يمكن أن يبرر وضعنا لشاعر ما.. فى أى مذهب من المذاهب ذلك هو الغالب على شعره. فالبواردى مثلا شاعر واقعى.. لسبب بسيط هو أن غالب إنتاجه يتشح بالواقعية فهو إذاً واقعى ولا عبرة بالاتجاهات الأخرى التى لم يكثر فيها.. على أن القوميات تنازع الواقعية عنده.

وإذاً كيف يمكن أن نفهم بداية اتجاه الشاعر لهذا المذهب أو ذاك .. أو ما العوامل التى تجعل منه شاعراً واقعياً أو رمزياً.. أو محافظاً . إن كل شاعر لديه ذوق أدبى يستطيع أن يميز فيه الغث من السمين.. ثم هو فى ثقافته يميل إلى لون من ألوان الأدب حسبما يتطلبه ذلك الذوق المتكون من الموهبة .. والاكتساب فمن الشعراء من يعجبه شوقى.. أو البارودى أو مطران أو من المتقدمين جاهلى أو إسلامى.. أو عباسى.. ومن الشعراء من يستهويه غرض من الأغراض كالحكمة.. أو الرثاء.. أو الوصف.. أو الغزل.. أو الفخر.. أو أى غرض جديد أو قديم. وهذا الميل لم يكن عفوياً.. بل لابد من عوامل.. وخلفيات دفعت بهذا الشاعر إلى هذا اللون من الأدب.. كذلك المجتمع العلمى.. كالجامعة.. أو الجماعة أو المدرسة الأدبية لها دور كبير.. ومع الزمن.. ومع تفاعل هذا اللون من الثقافة مع مايحيط بالشاعر من عوامل أخرى يتضح اتجاهه وإذا كان باستطاعتنا أن ندرك دواعى اتجاه المعرى.. إلى هذا

---

(١) شعراء نجد المعاصرون.

اللون من الشعر الحكيم المتأمل.. أو اتجاه ابن الرومى فى وصفياته.. وهجائه..أو العتاهى فى زهدياته.. أو المتنبى فى فخرياته وقد مر على أولئك مئات السنين.. فإننا لا نجد عسراً فى تحديد اتجاهات الشعراء المعاصرين ودواعيها.. فالعقاد مثلا نفذ فى دراساته من خلال الخصائص النفسية واستطاع بمذهبه النفسى التحليلى أن يعلل هذه الاتجاهات عند من درس كابن الرومى وأبى نواس ولسنا بصدد الوقوف على صحة أو خطأ منهج العقاد.. لكن الكاتب استطاع أن يوجد مدخلا نفذ من خلاله إلى غرضه.. والعقاد نفسه بثقافته الانجليزية تكونت اتجاهاته فأغلب آرائه فى النقد مأخوذة من آراء — وليام هازليت ومحاضراته فى الأدب الإنجليزى.. حتى أنه يشبهه فى الشدة.. واتجاهه النفسى يلتقى مع ريتشاردز.. فاتجاه الشاعر فى ثقافته أو دراسته إلى أى لون من ألوان الأدب القديم أو الحديث العربى أو الأجنبى هذا الاتجاه يشكل اتجاه الشاعر ويضع بصماته على ملامحه.. ومع الزمن يتكامل مذهب هذا الشاعر من تلك المشارب.. كما أننا لا نغفل نواحى أخرى لها دور كبير فى تشكيل اتجاه الشاعر.. كالحالة النفسية.. والوضع الاقتصادى.. والاجتماعى وحتى الظروف الجغرافية فشعراء الأندلس يختلفون عن شعراء نجد.

من هنا ندرك أن المذهب ماهو فى الواقع إلا تحقيق رغبة واستجابة لميول.. ثم يكون الشاعر بعد ذلك صاحب مذهب وطريقة وأسلوب مع وجود جوانب أخرى تخرج عن القاعدة القائمة وهى لا تؤثر حسب المفهوم السائد.

إتجاه الشاعر تحت ظروف وعوامل البيئة والثقافة يعتبر اتجاهاً سليما مقبولاً متى استطاع الشاعر أن يخلص من ربقة التقليد والذوبان والاندماج داخل أطر الثقافات الأخرى.

أما إذا كان هذا الاتجاه مفروضاً بعامل التبعية فليس بذى بال.. بل هو وبال على صاحبه.. وعلى ذويه.. وعلى لغته وأدبه.

ومن المؤسف حقاً أن نجد أرتالاً من هذا النوع يجذبهم البريق الخالب

ويستهويهم الرنين الأجوف.. فيدفعون بأنفسهم إلى مصدر هذا الصوت .. ومنبعث هذا الضوء.. دون أن يكون لديهم استعداد نفسى.. أو ميل فطرى.. ومع الاندفاع تتكشف الدخائل وتبرز المعالم.

لقد منى العالم العربى كله بنكسات دامية على يد بعض المجددين الذين سمعوا بكلمة جديدة فحسبوه مغايرة المرئيات.. والمسموعات.. وضرب المألوف ثم إقامة لون جديد لا يقوم على قاعدة ولا تسنده أصالة.. وهذا بالطبع محرك بعدة عوامل.. من أخطرها غسل الأدمغة فى الخارج ثم الزج بها فى عالمنا العربى لتحويل المسيرات الخالده فى كل بلد عربى إلى ركاب المارقين المتنكرين للغتهم وقرآنها الخالد.

إننى هنا .. ومن حق الأمانة العلمية ألا أقف موقفاً متصلباً . أو أتحيز إلى فئة على حساب الفئة الأخرى وسأتخذ منهجاً تحليلياً يقوم على الشواهد والوقائع .. والإثبات .. سأترك للقارىء أن يحكم وإذا كانت مهمتى أن أرصد الاتجاهات .. فإن الرصد فى نظرى لا يعنى تفريغ الأدباء والشعراء فى قوالب دون التفحص .. والتخلخل إلى أعماق المعطيات لاستخلاص الجوهر .. والزائف منها وهذا يدعونى إلى أن أعطى أحكاماً .. وسوف أعمل جاهداً على أن تكون أحكامى قائمة على الحقائق وأن أتقى ما استطعت التعميم والإجمال وإصدار الحكم المرتجل.

سأعمل جاهداً على توضيح الرؤية ليكون القارىء على بصيرة من أمره وهذا ماسيجده القارىء فى ثنايا الحديث .. إن الأدب العربى حفل بالجديد .. وأفسح له المجال .. والأدباء والنقاد القدامى عنوا بذلك .. فكتبوا يدافعون .. والفوا الكتب عن المجددين .. إلا أنهم يريدون بالتجديد ذلك اللون من صميم أدبنا ويريدون النبته المنشقة من سيقان هذه الروح الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء .. إما أن تنبذ هذا التراث نبذ النواة .. ونهتف بحياة الخالدين

من أدباء الغرب ونجر معطياتهم بأسنانها كما تجر الكلاب الجيف لتقيمها على تراثنا الخالد زاعمين أن الجدة لا تكون إلا بالتنكر للقديم .. فأمر لا نريده .. ولا نسعى إليه .. ولا نقيم له وزناً ولا نحفل به.

الفصل الثاني
التجديد الشكلى في الاتجاه الفني

إن التجديد فى المضمون .. أمر تفرضه ملابسات الحياة ووقائعها والظواهر الاجتماعية التى يذر نجمها فى مجتمع ما. تكون بلا شك مادة حديث .. للمعارضة أو التأييد.

فالخمر حين قارفه بعض العباسيين .. من علية القوم وأسرفوا فى معاقرته ظهر فى الأفق الأدبى شعر الخمريات وشعراؤه كأبى نواس وأضرابه .. والمجون كواليه .. والزندقة كبشار .. ثم انبثق لون آخر معاكس لتلك الظاهرة الاجتماعية كالزهد فكان لهذا الغرض شعراؤه .. ومريدوه كأبى العتاهية ..ورابعة .. وهو أمر طبيعى لا لبس فيه. لأن الشعر ماهو إلا صورة صادقة للحياة العامة التى تعيشها الأمة فى فترة من فترات حياتها .. فهو أبداً يواكب الحياة يصور خيرها وشرها .. ويحكى واقعها فى آلامه .. وآماله .. ومآسيه .. وإذا كنا لانشجع الشعر الماجن والغزل الفاحش فإننا لا نعتبره تعسفا ولا نعده تكلفا ــ بل هو لون من الأدب اتجه مع القافلة .. إما حادياً .. أو رائداً .. وفرضته ظروف الحياة الماجنة أو المحافظة .. أو المختلطة.

لكن الشيء الذى أثار سخط المحافظين .. الغيورين على دينهم ولغتهم .. وأوقع الرعب فى قلوبهم ذلك الاتجاه الذى لم تفرضه الحياة .. ولم تقتضيه ضرورتها .. وهو التمرد على عمودية القصيدة العربية وكسر بنائها الموسيقى الاخاذ .. وإبدال الخالد من التراث بالفانى من ترف القول .. وهو تمرد يأخذ شكلا تنازليا فى الوقت الذى لم تدع الحاجة إليه اللهم إلا أن أدخلنا ضعف

القدرة وضحالة الثقافة وتفاهة المعارف. وسطحية الإدراك كمبررات فى قبول هذا اللون من الشعر.

إن الخليل بن أحمد وهو يلم شعث القصائد الجاهلية لاستنباط البحور التى دارت فى فلكها القصائد العربية .. يعرف سلفاً أن الذوق الجاهلى لم يدع لوناً من الإيقاع الموسيقى المناسب إلا وحمله لوناً من الشعر يفى بحاجة النفس والذوق العربى السليم.. وإذ كان الأخفش قد استدرك بحراً آخر لم يهتد إليه الخليل فإن هذا لا يعنى تجديده .. بل أن قصيدة أو أكثر لاذت عن طريق الخليل ففاته هذا اللون من الإيقاع الموسيقى .. أو أن المنية عاجلته فى الطريق فجاء من بعده الأخفش ليضع بهذا البحر نهاية للبحور الشعرية .. ولعل هذا أبعد ما تطلبه النفس العربية ويميل إليه الذوق والحس العربى السليم.

ورحم الله العقاد .. حين تواضع رغم كبريائه فطوى كل القصائد التى نظمها على هذه الشاكلة المتحررة وذلك يوم عرف أن الأذن العربية لا تألف هذا اللون من الممارسة .. وكان قبلا قد توقع .. بل رحب بالتحرر فى أوزان الشعر.

إن الأوزان الشعرية التى تظافرت جهود العلماء على تناقلها تفى بحاجة الذوق العربى .. ولا يعنى استمرارها استفحال نزعة التقليد وتأصيلها كما يتبادر إلى الذهن .. أو عجز اللاحقين عن الابتكار تأسيساً بالسالفين فالأمر لم يعد مسألة هدم وبناء .. وإنما هو سلوكا وفق مايقتضيه الذوق .. وتتطلبه الحياة على ضوء من المعقولية .. والاتزان وداخل مفهومات سليمة معتبرة. والتجديد أياً كان شكله يحتاج إلى قبول الطالب .. لاقَنَاعَةِ العارض .. وهذا مالم يتوفر للتجديد الشكلى فى القصيدة.

يقول الدكتور هداره: والحقيقة أن استمرار الأوزان العربية القديمة حتى يومنا هذا لم يكن مجرد مسألة تقليدية .. أو قصورا من الشعراء عن الإبتكار والتجديد .. ولكن هذه الأوزان الستة عشر تمثل فى الواقع تنوعاً موسيقياً واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا فى دائرته كل عواطفهم .. وخواطرهم وأفكارهم

دون أن يجدوا تضيقاً أو حرجاً يضطرون معه إلى محاولة الخروج على هذه الأوزان ليلائموا بين مادة شعرهم الجديدة وما تقتضيه من موسيقى وإيقاع خاصة[١] واستمر الدكتور هدارة فى الدفاع عن الأوزان الشعرية فأثبت أن التنوع فى موسيقى وإيقاع الشعر العربى قد لا يوجد له مثيلا فى أشعار الأمم الأخرى .. والحق أن لدى أوزان الشعر فى اللغات الأخرى نوع من الإيقاع الموسيقى المناسب لكن نغمته ولحنه لا يتجليان عندنا بقدر ماهى عندهم لا لقصور فى ذوقنا .. واكتمال وسلامة فى أذواقهم وإنما لكل أمه مذاقها المناسب .. وميولها الخاصة.. وما نرفضه نحن كعرب لايعنى تفاهته .. وأيضاً فما لدينا من سمات وخصائص ومميزات لا تعد تحولا إلى الخلف كما فهمه المنحرفون .. إن أقرب كلمة يمكن أن نقولها داخل هذا التلاحم الخطير بين آدابنا «لنا شعرنا .. ولكم شعركم» وكل له أن يتغنى بليلاه سواء أكانت من الخشب أم من البشر.

والناقدون المرجفون يكثرون من التبريرات والمعاذير لتسويغ خروج الشعراء والشباب والمتصابين على قيود الشعر.. وما عرفوا أن الفن لا يحيا إلا بالقيود كما يقول المثل الفرنسى فيربطون تلك المعاذير بالناحية النفسية فيرون الإدراك الحسى للجرس الموسيقى لم يعد كافياً ومن هنا راحو يخضعون الوزن للحالة النفسية والشعرية التى ينزع منها الشاعر..

يقول الدكتور عز الدين اسماعيل: «وفى حدود الإطار الموسيقى للقصيدة. قد نميل إلى القصيدة فى شكلها القديم عندما نكون مثاليين فى نظرتنا الجمالية حسيين فى تذوقنا الجمال.. وقد نميل إلى الشكل الجديد عندما نأخذ بفلسفة جمالية تؤمن بقيمة الواقع النفسانى فى الفن والحياة على السواء[٢].

وهذا التبرير يلتوى بنا بعيداً عن المعالجة المعقولة.. وتناول الأشياء وفق

(١) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى.

(٢) التفسير النفسى للآدب ص ٦١.

معطياتها.. وإذا نحن عطلنا الحواس.. ونفذنا إلى النفس الباطنة فهى الأخرى تتعطل لأنها لاتعى.. ولاتفهم إلا من خلال المنافذ الحسية التى ترصد لها الأحداث.. وقد يمتد النقد إلى جانب حسى من قبل المرجفين.. فيقولون.. ولكن لما كانت طبيعة بنية القصيدة من الناحية العروضية تتخذ نغمة واحدة صار من الصعب تنويع النغمة داخلها لارتباط الشاعر بالبنية العروضية لها.. وعلى هذا يرون الخروج على الوحدة الموسيقية المتكررة فى أبيات القصيدة. وعلى القافية التى تلتزم فى كل أبيات القصيدة. مع التزام التفعيلة لضمان الجرس الموسيقى.. وإذا كانت وحدة الإيقاع تنعدم مع انعدام القافية فإنهم يرون أن المتناسب فى المخارج يكفى كتعويض عن الوحدة الإيقاعية وإن كان العوض لا يصل بعطائه إلى قوة المعوض ان حاسة العربى وذوقه دقيقان إلى الحد الذى دفع النابغة الذبيانى/المعروف بالاقواء إلى القول . قدمت الحجاز وفى شعرى هنة ورحلت عنه وأنا أشعر الناس.. هذه الهنة تنحصر فى اختلاف حركة الروى فى القصيدة.. مع أنه لم يدرك هذا العيب إلا من فم المغنية[1] وهذا يبرهن بوضوح على ارتباط الشعر العربى بالموسيقى الحسية السمعية لا الباطنية.. والشعر العربى غنيى بتلبية رغبات النفس فأوزانه كثيراً ماتفى بمطالب النفس على مختلف أوضاعها الشعورية والعاطفية فلكل وزن طابع نفسى.. أو لكل حالة نفسية وزن يتفق ومطالبها فبعض الأوزان يناسب الحزن.. والبعض الآخر يناسب حالة الفرج.. وبعض الأوزان تلمس فيها طابع الثورة والتمرد.. خذ على ذلك قصيدة الشاعر النجدى إبراهيم الدامغ [2]:

سنعود يأماه فى فجر الصباح المشرق
سنعود يأماه فى نبع الهتاف الشيق

(١) الموشح ٣٨ وطبقات من سلام ٥٥.
(٢) شعراء نجد ٢١٣.

سنعـــود يأمـــاه فى ضوء السنـــا المتألـــق
سنعـود فى اشراقة الـــنصر المهـــيب الريـــق

وقولـــه :

يابـــلاد الزحـــف ياركـــن الكفـــاح الظافـــــر
يامنـــار البـــعث يانبـــع الهتـــاف الهـــادر
ياجـــلال الثـــأر يارمـــز الـــنضال القـــادر
ياسمـــاء المجـــد ياوكـــر الشجـــاع الصابـــر
هدهـــدى جرح الفدائـــــى الآبى النـــاصر
وارفعـــى صوت النـــداء المستجـــاب العابـــر
فقلـوب الشعب شعبى فى انطـــلاق زاخـــر

تحس أن هذا الايقاع وهذه الموسيقى ثائرة مائرة تملء نفس الجندى .. وتهدء من روع المواطن.. وتثير الحماس.. وتصدع السكون.. وعلى غرارها من هذا اللون المشعور قصيدة لنزار قباني.. تحت عنوان رسالة من جندى فى جبهة السويس «لاتحرك ساكنا.. ولا تثير حماسا» يقول فيها :

ياوالـــدى
هذه الحروف الثائره
تأتى اليك من السويس
انى أراها يا أبى من خندقى
سفن اللصوص
محشودة عند المضيق
هل عاد قطاع الطريق
يتسلقون جدراننا
ويهددون بقاءنا
فبلاد آبائى حريق[1]

---

(١) فصول فى الأدب والنقد ١٣٩.

وتستطيع أمام هذين النصين أن توازن بين عطائهما الموسيقى ونزار يعد من عمالقة الشعر العربى ومع ذلك لم يستطع من خلال ممارسته تلك وفى مجال حماس وطنى كبير أن يحرك المشاعر.. إن هذا يجعلنا نجزم بانعدام الانفعال.. وتقلص العاطفة.. إن الشعر المحافظ فى شكله وبحوره المتعددة قادر على إشباع رغبات النفس متجاوب مع الطابع النفسى أثناء التجربة الشعرية فى الوقت الذى لا تجد القدرة متوفرة عند الشعراء المتحررين الذين خرجوا على أوزان الشعر وقوانينه.. ثم أن البحور الشعرية ماهى إلا وحى إيقاعات موسيقية وإذا كنا ندرك اللون الموسيقى وعلاقته بالطابع النفسى بعامل تداخل أصوات بمقادير تقاطعية زمنية.. فإننا ندرك أيضاً اللون الشعرى من حيث علاقته بالطابع النفسى.. لكن هذا الإدراك لا يكون على مستوى الإشراق والوضوح المتوفر فى الموسيقى التى يعطيها الشعر.. أو تعطيها الموسيقى المجردة.. هذا مع أن التجربة الشعرية تفقد جرسها.. وعذوبيتها الموسيقية بمجرد فقدها للمعانات الصادقة للتجربة.. فكيف بها إذا توافرت تجربة كاذبة.. وحرية من الإلتزام.

بعد هذا نتسائل عن الاسباب التى مكنت هذا اللون الشعرى الجديد من الإخصاب.. والإنتشار بهذه السرعة.. فى محيطنا العربى ككل.. وفى نجد كلبنة فى هذا الوجود الأدبى.. وهو تساؤل لا يتجاوز محله يمكن أن نعلل انديا دائرة الشعر الحر فى عالمنا العربى.. ومن ثم إمتداده إلى الشعر النجدى المعاصر بعدة عوامل جاءت تباعاً.. تتلخص فيما يلى :ـــ

١ ـــ كونه جديداً ولكل جديد لذة مهما كان نصيب هذا الجديد من الحسن أو القبح.

٢ ـــ وقوف المحافظين فى وجه التيار وسخطهم على الناظمين على هذه الشاكلة.. دون النظر فى خلفيات هذه الظاهرة. وفحص دواعيها والعمل على تلافيها.. وحسم الشر من مصدره.. فالأمر أخذ طابع المشادة العنيفة دون التصرف الموضوعى.

٣ ــ التزام الشعرالحر أو بعضه بالتفعية العروضية وهذا قد يكون شفيعاً عند انصاف المحافظين.. كنازك الملائكة التى راق لها هذا اللون ثم عادت تهاجم الشعراء وتندب الشعر العربى الذى ضاع فى صخب التيار الجارف.

٤ ــ كسره لبعض القيود التى تثقل كاهل المترفين من المثقفين الذين يودون أن يتنفسوا من خلال صور الشعر البسيطة.. والذين بطأبهم هذا الشعر المثقل بقيوده عن البروز.

٥ ــ اتجاه الدراسات الأكاديمية إلى ثقافات الغرب والعناية بها إما تقويماً.. أو تقييماً[1] دون العناية الحقيقية بالأدب العربى وتدريسه بشكل يقربه إلى الناشئة.. ويمكنهم من فهمه.

٦ ــ تباهى المثقفين بحذقهم لآداب الغرب وفنونه.. والتطاول على الأدب العربى والحط من قيمته.. حتى أن هذه الظاهرة تجلت فى كثير من مدرسى الجامعات. ومن نعول عليهم أكبر الآمال.

٧ ــ انحراف الشباب تحت تأثير مباشر أو غير مباشر عن تراثهم إلى تراث العالم الثانى إذ صبت هذه الروافد الغربية فى أدمغة فارغة ومتهيئة للتقبل.

٨ ــ امتداد تلك الأسباب إلى وسائل الأعلام المقروءة.. والمسموعة .. والمرئية فتحولت من قوة موجهة الى التراث العربى الأصيل إلى قوة صارفة.. أو على الأقل إلى قوة تهتم بالجديد.. وتهمل القديم.

٩ ــ الترجمة.. وعناية الرواد برواد الآداب الأجنبية.. وترجمة أشعارهم والتغنى بها.. وإبراز خصائصها والتهويل من أمرها.

١٠ ــ مسارعة الرواد فى قبول هذا اللون والترحيب به تحت عوامل تقدير

---

(١) كلمة التقييم خطأ شائع.. ناقشها المجمع اللغوى فى القاهرة.. وأغلب الظن أنه أجازها.. وللكنون بحث قيم فيها.

المواهب كما أشار زعيم مدرسة أبولو أو عجز الشعر العربى عن احتمال أغراض الشاعر من القصص المطولة كما أشار المرحوم عباس محمود العقاد ثم تراجع.

١١ ــ تظافر جهود المستشرقين.. والمبشرين.. والشعوبيين فى شن حملتهم المركزة.. وارتباك جبهاتنا الأمامية والخلفية فى عمليات المواجهة.

إن أيسر ماتحققه هذه العوامل.. مجتمعة أو متفرقه إقتياد ذلك التراث الخالد ليأخذ مكانه فى رفوف عالية لا يصل إليه إلا ذووا القامات الطويلة.

لقد امتد هذا الداء إلى الشعر النجدى عبر الروافد العربية التى أثرى منها الأدب السعودى عامة.. والتى كان لها من قوة التأثير بحيث اقتادت كثيراً من الشعراء إلى محاكاتها.

ولعل الأدب المصرى.. والأدباء المصريين من أهم العوامل المؤثرة على الشعر النجدى.. فإذا عرفنا أن الدكتور طه حسين.. ومحمد حسنين هيكل تأثرا فى ثقافتهما بالأدب الفرنسي.. وأن العقاد والمازنى تأثرا بالأدب الإنجليزى.. ومدرسة أبولو مفتوحة الأبواب لشتى الاتجاهات.. وأن هؤلاء جميعاً يعدون من الرواد لا فى مصر فحسب بل فى العالم العربى، إذا عرفنا ذلك ثبت لنا أن انديام دائرة الشعر المرسل فى المحيط النجدى أمر مألوف.. مادام أن الرواد يغضون الطرف. لقد شكلت هذه الروافد مع الروافد الأخرى التى عرضنا لها هذا الإطار الجديد فى الشعر النجدى الذى نعرض له بكافة أشكاله وألوانه.

إن محاولات التجديد فى البناء الفنى للقصيدة العربية لم يكن وليد القرن العشرين فلقد سبقته محاولات كثيرة فى فترات زمنية متباعدة.. لكن لا نتوقع أن تكون هذه المحاولات تريد للشعر أن يكون على هذه الشاكلة المسفة..

والتجديد فى شكل القصيدة الذى نادى به الأدباء والشعراء لا يخرج عما هو موجود فى آداب الغرب ولهذا فلا يعد تجديداً. إنه تقليد فيه ضعة.. وضعف.. وخنوع.. وخضوع جرته علينا أذيال المستعمر الذى أراد أن

اقتصادياتنا.. وأفكارنا.. وعاداتنا.. وفتحنا صدورنا لهذا اللون دون وعي أو إدراك.

لقد انداحت دائرة هذا الشعر.. ومارسه علية القوم فى رحاب الأدب والفكر وحفل به الرواد.. ثم نكصوا على أعقابهم لايلوون على شيء مما قالوا.

وحين ذو قرنه في دنيا الأدب العربى إدعى أوليته عدد كبير من الشعراء.. فقد ادعى لويس عوض أنه أول من نظم الشعر الحر.. ومحمد فريد وجدى يرى أنه أول من ابتكره.. وكذلك علي باكثير يرى أنه صاحب الفضل فى ابتكاره.. والسياب يدعى أيضاً أنه أول من نظم على نمط الشعر الحر وذلك فى قصيدته « هل كان حبا» التى نظمها عام ١٩٤٦.. وجاءت ضمن ديوانه «أزهار ذابلة» الصادر عام ١٩٤٩م[١].. ومن بين من ادعى الأولية.. الشاعرة العراقية نازك الملائكة.. فقد إدعت فى كتابها قضايا الشعر المعاصر أن أول قصيدة نغمت بهذا الشكل من الأوزان والقوافى هى قصيدة «الكوليرا» وكان ذلك فى مطلع عام ١٩٤٧م والتى تقول فيها :

طلع الفجـر
أصغ الى وقع خطى الماشين
فى صمت الفجر اصغ انظر ركب الباكين
عشرة أموات.. عشرون
لاتحصى اصخ للباكينا[٢]

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.. فى أعقاب تعداده لمن يدعون أولية الشعر الحر.. ومن يدرى فقد يظهر آخرون يدعون أن مطلع هذا الشعر كان على أيديهم.. وبالفعل فإننى أثناء استعراضى للمراجع فى دوريات السعودية.. وجدت فى مجلة المنهل لصاحبها عبد القدوس الأنصارى التى تصدر بمكة المكرمة قصيدة للشاعر السعودى أحمد السباعى نشرتها المنهل

(١) فصول فى الأدب والنقد.
(٢) قضايا الشعر المعاصر لنازك.

عام ١٩٣٨م أى قبل قصيدة الكوليرا بتسع سنوات.. وقبل قصيدة السياب بثمان سنوات.. وتعد من الشعر الحر.

يقول أحمد السباعى فى هذه القصيدة :

تالله انه لطريف فلمن كل هذا

لمن هذه الرواسم فى كتف عير

لمن هذه الروارس على جنبات العقيق(١)

وهناك قصيدة أخرى لشاعر سعودى رمز لاسمه: ع . ع . خ .مكة قال تحت عنوان «بائعةالألحان» :

لحظه مترعـه

ذهبت مسرعه

كوميض الحلم

من شباب الزمن.. يافتاتى

باركتها المنى

وتلاشـى الفـنى

فتعالى هنـا

نـتروى سـاعة

يانجـاتــى(٢)

وعلى هذا تكون نازك الملائكة مسبوقة إلى الشعر الحر.. ويكون الشاعر

---

(١) مجلة المنهل صفحة ٢٢ عدد رمضان ١٣٥٧هـ أكتوبر سنة ١٩٣٨م السنة الثانية المجلد الثانى العدد العاشر.. والسباعى من مواليد ١٣٢٣هـ بمكة المكرمة درس بالمدرسة الراقية ودخل مدرسة الأقباط بالاسكندرية..وعاد إلى الحجاز ليعمل أستاذاً للعربية واشتغل فى وزارة المالية.. وساهم صحفياً بصوت الحجاز.. وأصدر مجلة قريش.. وأنشأ مطبعتها.. راجع المنهل العدد الخاص بالأدباء.

(٢) مجلة المنهل المجلد الثانى العدد السادس جماد الأول ١٣٥٧ هـ يوليو ١٩٣٨م صفحة ٣١.

السباعى.. وزميله الذى أخفى اسمه من رواد هذا الفن وهى زيادة لاتحمد عقباها. والذين تطاولوا بهذا الفتح عادوا يتذمرون من هذا التحول.

فنازك الملائكة لا ترضى بهذا التحلل المشين.. الذى غمر الشعر العربى على يدها فهى وإن كانت ترى التحرر من قيود الوزن والقافية.. لاترى ذلك مطلقاً.. كما رآه شبابنا ممن وطنوا اكناف الشعر.. واناخوه للركوب بل تريده توسعاً داخل إطار الإلتزام بالتفعيلة.. وهى بصدد ردها على التدوير تقول:ـــ

أن التدوير يمتنع امتناعاً تاماً فى الشعر الحر فلا يسوغ للشاعر على الاطلاق أن يورد شطراً مدوراً[1].. وقد بَسَطَتْ القول فى الأسباب المانعة لذلك فى صفحة ٩٥ من كتابها.

لقد دعت كل المدارس العربية الحديثة إلى التجديد.. واختلفت على نفسها حتى أعضاء المدرسة أو المذهب الواحد يختلفون حول فهم هذا اللون فمطران ومدرسة أبولو دعو إلى ذلك ليكون الشعر أكثر مرونة وطواعية فى يد الشاعر.. وليمكن استخدامه فى الشعر القصصى والمسرحى.. فى حين فاتهم أن الشاعر شوقى رحمه الله استطاع أن يطوع عمودية القصيدة لاحتمال هذا اللون.. وكذلك أحمد محرم فى الإلياذة الإسلامية..

حتى أن الأدباء الذين لا يقولون الشعر كأمين.. وطه حسين نادوا بالتجديد ورحبوا به.. فطه حسين يرى أن التجديد دعوة غير منكرة.. لكنه اشترط توافر الأسس والخصائص التى يجب تحقيقها ومن قوله فى ذلك «فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ولينشؤا لنا شعراً حراً أو مقيداً.. جديداً أو حديثاً.. ولكن ليكن هذا الشعر شائقاً رائعاً».. كما يرى أيضاً أنها دعوة لا بأس بها لأن عمودية الشعر ليست وحياً.. لكنه اشترط أن يتوفر فيها أمران :

١ ـــ الصدق.. والقوة.. وجمال الصورة وطرافتها.

٢ ـــ أن يكون عربياً لايدركه فساد اللغة والإسفاف فى اللفظ

---

(١) قضايا الشعر المعاصر.

وهل توفر شرط طه حسين فى شعر شبابنا.. فى كل العالم العربى.. وفى نجد خاصة.. الحق أن شيئاً من ذلك لم يكن.

ودعاة الشعر الحر يدعمون دعوتهم المشئومة بعدة قضايا «فهم يرون أن الشعر الحر يعيد صلة فن الشعر بالحياة.. وأنه عامل من عوامل الحرية والانعتاق من القيود.. وأنه قرب الشعر إلى لغة الحياة وأن قدرته فى مخاطبة الناس أقوى من غيره وأن موسيقاه منوعة.. وأنه أقدر على وحدة الموضوع وقد رد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى على هذه المزاعم[1] بأن الشعر الحر يعيد صلة فن الشعر بالموت البطىء وأنه هرب من التقليد وهبط الى أتفه التجارب.. وأن القرب من لغة الحياة وظيفة للنثر وليست وظيفة للشعر.. كما أنه فشل فى مخاطبة الشعراء أنفسهم فضلا عن الجمهور وأن القصيدة المتقيدة لاتفقد الوحدة والتجديد الذى دعمه الأدباء عن قصد سيىء.. أو نية حسنة.. أفضى إلى تطرف مشين من كثير من الشعراء الشباب الذين حسبوا الشعر إفضاء بالأفكار على أى شكل من الأشكال وفى أى لون من ألوان الأساليب فكان أن اتسع الشق على الراقع. وعادت نازك.. ومن ساءه هذا التطرف.. والتحول يلحس امضاءه ويعدل مبادئه.. ويوضح خلقيات رأيه ليزيح التبعة عن نفسه.. إلا أن الأمر أصبح خارج الإرادة وفوق الطاقة. لقد فقد الإنفعال.. وتضاءلت العاطفة.. وتضامن رأس الحكمة.. وخمدت نار الحماس فى الشعر الحر..

لقد دخل الشعر الحر على نجد من كل باب.. ورحب له كل صدر من الشباب.. وركبه المترفون الذين أعياهم الحديث السوقى.. فبذوا على صهوته سحبان وائل.. وملئوا المكتبات بالدواوين التى لاتحرك العاطفة ولا تطرد السأم.. ولا تثير الإنفعال.

وإليك لوناً من هذا الشعر عند الشعراء النجديين ليتضح لك الأمر وتحكم

(١) فصول فى الأدب والنقد ١٤٠ ط١ ١٩٧٣م.

على بصيرة من الأمر يقول الشاعر ناصر أبو احيمد.. الذى أنجبته قرية صناجة العرب «منقوحه» بلد الأعشى الشاعر المشهور.. يقول فى قصيدة تحت عنوان «لالى» :

لالى حبيبة من عالم الشمال
تعيش فى خيال
تحلم بالنخيل والرمال
وعالم يزف فى الليالى
أحزانه على صدى موال
تضىء فى عيونها
أسـطورة حزينه

ويقول محمد عامر الرميح.. من شعراء القصيم فى نجد . تحت عنوان «فى متحف موريس» :

وهنـاك
فى آخر الحائط الطويل
على حافة الجدار
طفلة صغيرة
طفلة صغيرة معلقه
تسلقت.. عيناى اليها الجدار
وحدتها تضحك.. تضحك فى مرح
كأنما أعينها.. قوس قزح
وضحكها الصامت.. فى ذلك النهار
خشيت أن يحطم الأطار
خشيت أن يهدم الجدار

..والصحف.. والمجلات تطالعنا كل يوم بسيل من هذا الغثاء الذى عدلت

عنه لأنه لايمثل الشعر النجدى واتجاهاته.. وماعرضت له أثناء حديثى يكفى للتدليل على مظاهر التجديد فى الشكل والمضمون.

لقد وجد الشباب أن الشعر الحر أقرب طريق الى ساحة الشعر فدعموه .. وناصروه.. وقلدوه لكى يجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها فى رحاب الشعر.. وعلى صفحات الجرائد والمجلات.. وبين سطور الكتب والدراسات.. وقد كان لهم ماأرادوا.. لكن هذه الممارسة هل ستكفل لهم الخلود والبقاء كما حصل لعمالقة الشعر العربى.. هذا ما ستكشفه الأيام.

الفصل الأول
الاتجاه الكلاسيكي «الابداعي»

قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجرى لم يكن فى نجد شاعر خرج عن محيط الكلاسيكية القديمة الملتزمة بالشكل والمضمون.. فالشعراء داخل هذا الإطار لايتجاوزونه قيد أنملة ولا يريدون أن يتجاوزوه لأنهم لايقدرون على شيء من ذلك.. ولايعرفون شيئاً غير ذلك.. وهم معذورون كل العذر لأنهم يقلبون هذه البضاعة التى أبقتها لهم الأحداث.. بعد إنهاك وعراك.. فليس هناك مدارس أدبية تصقل المواهب.. وتفتح الأكمام.. وتزيل عن عيون الأدب الغشاوة ليبصر ماعنده وماوراءه.. ولم يكن العلم قد أشرق وانتشر وحسر ظل الجهل .. وقتام العماية والهمجية.. ولم تكن البلاد على يسار وأمن.

فلقد كان الملك عبد العزيز طيب الله ثراه يخاف من الأعداء الذين يملئون عليه الرحب ويسدون المنافذ وينتشرون عن يمينه.. وشماله.. وكان حريصاً على توفير الأمن وتثبيت قواعد الدين ثم الفراغ بعد ذلك لهذه المشارب الفكرية.. من شعر.. وأدب.. وثقافة.

وقبل أن نعرض للاتجاه الكلاسيكى فى الشعر النجدى.. لابد لنا من الإلمامة السريعة غير المتأنية بهذا النوع من الشعر والأدب.. وهو ماتعارف عليه الباحثون.. بالمذهب الإتباعى.. أو المحافظ أو الكلاسيكى..أملاً فى أن نعرف شيئاً عن أبعاده وحدوده.. وكيف.. ومتى استعملت كلمة كلاسيك لتدل على هذا الاتجاه.. ومامدلولها اللفظى والفنى.. ثم لنعرف إلى أى حد يجب أن نمضى فى دراستنا لهذا المذهب وهل نتكىء فى نقدنا على خاصية القدم.. ونجعل أصابعنا فى آذاننا فلا نسمع لنداء المنصفين.. ولانلتفت لتلويح المتعقلين.. أو ننفذ فى نقدنا من خلال هفوات ومآخذ لاتمس القدم أو

الحداثة بشيء وإنما تقوم على أخطاء ارتكبها هذا الشاعر أو ذاك.. لقد أشار كثير من الباحثين إلى أن كلمة «كلاسيك» لم تكن جديدة لفظاً.. وكل مالها من الجدة استعمالها لتكون رمزاً على نوع من أنواع الأدب له خصائصه ومناحيه.

ولعل الايطاليين هم الذين مهدوا لهذا المذهب.. لسبقهم فى ترجمة «فن الشعر» لأرسطو.. وهوراس ولأن غاية الشعر عندهم الفائدة الخلقية والمتعة الفنية.. ولهذا أمعنوا فى دراسة صنعة الشعر يليهم فى ذلك الاهتمام الفرنسيون[١].

والكلمة مشتقة من لفظ لاتينى قديم.. ومعناها الأصلى وحدة من وحدات الأسطول الحربى.. والبحرى.. أو مطلق وحدة من مجموعة من المجموعات.. بعد هذا توسعت مدلولات هذه الكلمة فأصبحت تعنى وحدة من الطلبة الذين يكونون فصلاً دراسياً.. ثم أطلقت على الأدب المدرسى.. لكن توسع المعارف وتنوع الثقافات حمل هذه الكلمة شيئاً فوق احتمالها.. كما حمل غيرها من كلمات الاصطلاح فكانوا يقولون عن الموسيقى.. والرقص.. واللباس.. والفرش..وحتى عن السياسة .. أن هذا النوع كلاسيكى إذا كان مطبوعاً بنزعات التقليد والمحافظة.. ويمكن أن يقال أن الذى يضاف إلى كلاسيك يعني الرزانة والهدوء كما أن مؤدى هذا الإصطلاح يعكس فكراً مهذباً وذوقاً متزناً.. هذا إذا لم يسأ استعمالها.. ولهذه الكلمة فى الأدب استعمال خاص فهي تعنى نوعاً معيناً ظهر فى القرن السابع عشر الميلادى فى فرنسا بنوع خاص.

وللأدب الكلاسيكى أسس وقواعد يقوم عليها ويتميز بها.. فهو يستوحى القديم من الآداب ويستقى مادته من تراث الأمة.. يقلد فى الأفكار

---

(١) الأدب المقارن.

..والصوَّرِ..والاتجاهات.. ثم هو لاينتمى إلى العاطفة والخيال المجنح، بقدر ماينتمى إلى العقل، والفكر، وعلى هذا فمن أبرز خصائصه أنه أدب عقلى خاضع لسلطان الفكر. والكلاسيكيون يحرصون على النفع العلمي.. والثقافة الفكرية.. لأنهم يصدرون به من العقل والفكر.. ولا يريدون للعاطفة ولا للخيال عليهم سلطاناً.. والعقل.. والفكر.. لايتجاوزان حرم الحقيقة.. وينفران من الرذائل.. والمزالق.. ويريد العقل.. والفكر من الأدب أن يكون معلماً للفضائل حاثاً على معتقدات الأمة.. منفراً من كل تطرف.. أو خروج على المثل، والقيم، والأعراف السائدة.

وفوق ذلك فهو أدب محافظ يقدس الماضى ويدين به ـــ يحافظ على الصياغة اللغوية.. ويحافظ على فصاحة التعبير.. وهما من خصائص التراث القديم.. فهو أبداً يحب الإتفاق والاتزان.. وهو يكره الشذوذ والإغراب.. وهو ميال إلى متانة اللغة.. وبساطة التعبير.

إلا أن بعضاً من الشعراء المقلدين يغلب عليهم هذا الطابع التقليدى فتلوح بوادر المحاكاة والمعارضة والاحتذاء الجامد للآثار الشعرية القديمة إلى الحد الذي تضيع معه شخصياتهم الفنية فيعسر ظهورها بوضوح لأنها تمعن فى الذوبان.. وتخلص فى الإحتذاء.. وهذه الظاهرة تبدو واضحة عند الشعراء النجديين فى أوائل هذا القرن.. فأنت تقرأ قصائد المدح والرثاء للشاعر ابن عثيمين.. وابن بليهد.. فتجد أُنهم يقلدون القدامى فى كل شيء حتى فى الكلمات.. والموضوعات والأشكال.. وطريقة تناول الأفكار.. ولوطبقت منهج القصيدة القديمة الذى أشار إليه ابن قتيبه فى كتابه «الشعر والشعراء» على واحدة من قصائد ابن عثيمين لوجدته متفقاً تماماً مع منهج القصيدة العربية القديمة.. وقل مثل ذلك بالنسبة لكل الشعراء النجديين المتقدمين فى هذا القرن المكثرين منهم والمقلين.. بيد أن طريقة الاحتذاء تختلف باختلاف قدرة الشاعر.. وموهبته.. وأصالته.. فتقليد ابن عثيمين لايزرى به بقدر مايزري تقليد

ابن بليهد.. أو العبد الكريم.. أو الصفيق.. فابن عثيمين مقلد ولكنه كما قال بعض المتقدمين من النقاد يغبر نواصى الفحول.. وغيره تبدو الضحالة فى تقليده.. وتحس بالركاكة وعدم القدرة على ستر شيء من سمات التقليد..

ولعل مرد ذلك راجع إلى الشكل الذى تتم فيه عملية التعلم.. ثم إلى ظروف البلاد الاقتصادية والسياسية.. وانشغال الناس بلقمة العيش يبحثون عنها بجهد جهيد.. ومشقة مضنية.. فيلاقون العناء والخوف وإزاء هذا يجب أن نحكم على هذا الأدب فى ضوء ظروفه.. وعلى ضوء الإمكانيات الفكرية والعلمية.. مع أن الشعر إذا اكتملت فيه خصائص الشعر العربى وجب أن نحول النقد عنه إلى الشاعر الذى لم يتلفت من حوله ليسلك فى شعره دروب الحياة المعاصرة.. ومع التزامه بجزالة القدامى.. وخصائص شعرهم التى لايسوغ التعرض لها بتبديل.. أو تحويل.. أن علينا ألا نسخر من الشعر بقدر مانسخر من الشاعر ذلك أن العطاء لايخرج فى شكله ومؤداه عن سمات الشعر العربى الأصيل ..

ولنا بعد ذلك ان نعيب على الشاعر لا على ذات العطاء.. لأن العطاء متى تكاملت فيه عناصر الأدب المعتبرة.. ثم إذا كان يتشح باللون القديم لايخرج عنه ولا يتجاوزه.. فهو مقبول كلون قديم يحمل سمات الشعر.. ولايحمل روح الشاعر وطابعه الشخصى ولا يعنى هذا قبول الاتجاه التقليدى.. أو التغاضى عن تبعية الشاعر.. ان التقليد المرفوض هو ضياع سمات الشاعر وشخصيته فى خضم التقليد.. إلا أن النقاد أساءوا مفهوم كلمة تقليد .. وحكموها فى كل شاعر يلتزم الوزن والقافية.. ولو كان الشعر على غرار شعر.. شوقى.. والرصافى.. والزهاوى.. والجارم.. والأسمر..وصبرى ..والبارودى.. إن هذا المفهوم كم أفواه النقاد المنصفين الذين خافوا أن يعدَّ اطلاقهم التقليد على مثل اتجاه هؤلاء العمالقة فى حين أن هؤلاء وأضرابهم لا يعدون من المقلدين.. وإنما هم محافظون مبدعون تجلت شخصياتهم فى عطائهم تجلياً مشرقاً مشرفاً..

يقصر دونه الأقزام.. وأدعياء الشعر.. الذين تنكروا للغتهم، ومن ثم تنكر لهم كل المنصفين.

ومع أن عامة النقاد يصفون الأدب القديم بالأدب الكلاسيكى.. ويضعون لهذا النوع سمات وخصائص تختلف كثيراً عما يتوفر فى الشعر الرومانتيكى.. نجد أن بعض المستشرقين يلمح نزعات الرومانتيكية فى الشعر القديم رغم كلاسيكيته.. ورغم الحدود.. والقيود.. والسدود.. التى أقامها النقاد العرب. فهذا «جب» يقول :ـــ

«إن أدب العرب أدب رومانتيكى فهو فى أقدم نماذجه.. يغلب عليه الخيال والتصوير»[1].. ونجد كذلك من تحدث عن رومانتيكية الأعشى.. ورمزية أبى تمام.. والصوفيين.. وإذا صدقت تلك المفاهيم على الأدب العربى القديم فإن كلمة كلاسيك لا تستطيع أن تستوعب الشعر العربى.. والمعروف قبلا عن الشعراء العرب خصوبة الخيال.. والخيال المجنح من خصائص الرومانتيكية.. ولعل هذا مادعا «جب» إلى أن يقول إن الأدب العربى القديم أدب رومانتيكى، ولقد كانت نواة الخيال عندهم شياطين الشعر.. وإذا كان فلاسفة اليونان قدجعلوا للشعر إلهاً.. أطلقوا عليه اسم «أبوللو».. وجعلوا مصدر العبقرية جبل «برناس». نجد أن العرب استبدلوا بالإله الشياطين.. وبالجبل وادى عبقر.. إن لهم مع شياطينهم حكايات حدتهم إلى الفخر بها.. فمن شياطينهم.. الذكر والأنثى والشيطان الذى ينفث فى الفم.. أو فى الأذن.. ومنهم من يلم حيناً.. ومنهم من لايفارق.. ولايريم.. وهذا نتيجة خيال خصب.. طار بهم فى هذه الآفاق الرحبة.. وجسد أمامهم الأوهام.. والافتراضات.. والتخيلات تجسيداً يشبه إلى حد كبير أساطير اليونان وخيالهم.. والشعر العربى ممتلىء بالخيال إلى الحد الذى لا تطلب معه المزيد.

ولقد عمق القرآن الكريم هذه الفكرة.. ووسع مداركهم لها.. فوصف الطلع

(١) تراث الإسلام ١/١٥٤.

برؤوس الشياطين وهى لم تر بعد.. ولايمكن أن ترى.. والشياطين أرواح لاتتجسم إلا فى خيال الخائف.. أو الشاعر.. أو على ألسنة العجائز فى حكايات الأطفال.. ولايسوغ هذا الخيال.. إلا المقاصد الرفيعة التى ألمح إليها القرآن ورمز إليها.. ثم هذا الخيال الخصب المتدفق الذى واكب حياة الأعراب فى جاهليتهم .. ففتقوا اكمام البلاغة.. وسخروا الكلمة العربية لتأخذ مكانها فى مسيرة الخلود.. وجاء القرآن يتهادى بروعته.. وبلاغته.. خالداً.. معجزاً.. إلى قيام الساعة.

بيد أن خيال الرومانتيكيه لا يتفق من ميلهم إلى ذات الخيال.. وإنما يمليه الضيق بعالم الحس والحقيقة فيأخذون من الخيال مركباً جامحاً يعالجون به هذه النكسات المضنية فى عالم الحس والحقيقة.. والشاعر الرومانتيكى يبحث عن اللذة بتصعده فى عوالم الخيال ـــ هذه الدوافع لاتتكامل عند من أخذهم الخيال على بساطه من الكلاسيكين عبر رحلة لا يدفعها الألم.. ولا يسرع بها الضيق. ثم ان الكلاسيكيين رغم اندياح دائرة الخيال عندهم لايشجعون على حرية الخيال يقول بوالو: «أن الخيال موهبة عظيمة لايستغنى عنها شاعر حقيقى ولكن إذا استمرأ لشاعر اللعب بها فإنه لن يصل إلى الكمال.. ولابد أن يكبح عقلهُ خيالَه»[1]..ويقول إحسان عباس.. «وبالإختصار كان الشاعر فى نظرهم مترجماً لا خالقاً يرى محاسن المألوف والمعروف ولا يبحث عن المجهول وإنما يرى أن الترتيب ومراعاة المقام والصقل هى أهم ماتتجه إليه عنايته»[2].

ولعل مرد كل ذلك إلى قضية الإلهام.. والصنعة التى ألمح إليها قدماء اليونان.. فأفلاطون مثلاً يرى أن الشعر نوع من النشوة الفنية يغيب فيها الشاعر عن شعوره.. ومصدره إلٰهى محض.. ولهذا يرى أن الشاعر لا يمكن أن

---

(١) فن الشعر ١٤٦.

(٢) المصدر السابق.. وراجع الأدب المقارن.

يبتكر قبل أن يلهم لأن الشاعر لا يصدر عن العقل.. ولهذا فهو يفقد إحساسه.. وعقله.. ومتى لم يفقدهما يصبح غير قادر على النظم.. والشعراء عند إفلاطون لاينظمون عن فن.. وإنما عن موهبة.. وإلٰه الشعر هو الذى يفقد الشعراء شعورهم ليتخذ منهم وسطاء يتكلمون بوحى منه مثلهم فى ذلك مثل الأنبياء والملهمين.

بينما نجد أرسطو يرى خلاف ذلك فيرى أن الشعر صنعة.. وتعلم.. لا إلهام.. روحى.. ولهذا فهو لايعتد بالجانب الروحى.. وقد فسر المحاكاة تفسيراً جديداً وهو التقليد.. وتعنى كلمة التقليد عند أرسطو.. الصنعة.. والجهد.. والمهارة الفنية.. ثم تطورت هذه النظريات عند فرويد ومدرسته فأخذ الإلهام جانباً علمياً صرفاً.

فيما سبق عرضنا للمذهب الكلاسيكى بإيجاز.. وبقى أن نعرف مكان الشعراء النجديين فى هذا الاتجاه.

الشعراء المقلدون فى نجد.. يتخذون منهجين متمايزين.. فئة مقلدة محافظة لم تجدد فى شيء من الشعر ..وهى مأخوذة بهذا الجمود.. وفئة مقلدة أو محافظة على الأصح تعطى فى كثير من تجاربها شيئاً من الجدة التى لاتفقدها خصائص الأدب القديم.. ولا تحرمها سمات الشعر الحديث الملتزم.. وهذه الفئة قليلة.. وتعد رائدة الشعر الصحيح ويصعب أن نعرض لكل الشعراء من الفئتين لأنهم من الكثره بحيث نحتاج معها إلى الإطالة والخروج بهذه الرسالة عن حدها.. والحديث عن مشاهيرهم كاف لإعطاء القارىء صورة مكتملة عن هذا الاتجاه.

الكلاسيكيون المحافظون
الشاعر محمد بن عثيمين

يعتبر الشاعر محمد بن عثيمين [(١)] رائد هذا الإتجاه.. وهى ريادة لا يزاحمه فيها أحد.. لأنه يجمع بين الأصالة.. والثقافة. وقصائده جزلة فى أسلوبها.. فخمة فى عباراتها.. قوية فى سبكها.. تغرق فى الإغراب.. وتمعن فى المتانه فهى جاهلية فى شكلها.. لاتستثنى من ذلك بيتاً واحداً.. وهى جاهلية فى عضويتها لايخرج عن ذلك قصيدة واحدة.. وهى فى أغراضها.. ومضامينها خليط من الجاهلية.. والإسلام . وقصائده كلها تخدم السياسة.. وتتدثر لذلك رداء المدح المسرف حيناً.. والمعتدل حينا آخر لاتخرج عنه إلا فى القليل النادر.. وهى إذا خرجت عنه ـــ ولا أحسبها خارجة ـــ يبدو فيها الضعف، وعلى هذا فابن عثيمين يعد من المداحين الممعنين فى المدح المسرفين فى الثناء.. ومدائحه تحمل بين ثناياها العديد من الأغراض التى تخفف حدة هذا الانقطاع لهذا الغرض.. وسنعرض لشيء من هذه الأغراض، ومن أجل هذا أيضاً نجد أن قصائد الشاعر تفقد الوحدتين الموضوعية.. والعضوية.. ولعل مرد ذلك إلى تقليده للقدماء من الشعراء الذين لا يحفلون بهذه الوحدات.. وتعليل إنعدام الوحدتين فى الشعر العربى ينطبق على الشاعر لأنه يلتقى مع الشعراء القدامى فى كثير من خصائصهم.. السياسية..والاجتماعية.. والجغرافية..

---

(١) ولد الشاعر فى «الخرج» فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى.. ونشأ فيها يتيماً.. وتعلم فى بلاده ثم رحل إلى بلدان الخليج يطلب الرزق.. والعلم.. فحصل منهما على اليسير ورغم صلته بالملوك والأمراء فإن اليسار لم يحالفه نيف عمره على المائة.. وله ديوان مطبوع.. ولدراسته مراجع كثيرة نعرض لها فى آخر الحديث عنه.. جميعها لاتفى بالغرض لأن اللاحق ينقل من السابق دون دراسة أو تحليل..«وقد علمت فيما بعد أن بعض الدارسين تناوله تناولاً جاداً».

والاقتصادية.. مع بعض الفوراق، ومن الذين عللوا لانعدام الوحدة فى الشعر العربى القديم طه حسين الذى عزاه إلى طبيعة الوزن والقافية.. بينما علله المرحوم أحمد حسن الزيات بكون البدو ينقصهم النظر الفلسفى فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردة (١) ويجعله الرصافى مدفوعاً بعجز الشعراء عن الإبتكار.. ويعلله الدكتور شوقى ضيف.. بأن القصيدة العربية كانت تشبه فضاء الصحراء الواسع الذى يجمع بين أشياء كثيرة (٢).. وقد كثر تعليل هذه الظاهرة بما لا يخرج عن هذه المفاهيم التى ذكرناها (٣) وما وعاه ديوانه «العقد الثمين» لا يمثل كل مانظم.. وقد تأخذك الدهشة.. والعجب إذا علمت أن مابين أيدينا من شعره لا يمثل إلا مانظمه بعدما تجاوز الستين من عمره.. وعلى هذا لا نستبعد ضياع شعر أربعين سنة.. إذا فرضنا أنه قال الشعر فى سن العشرين.. وهى فترة التكامل.. والنضوج.. ومن أخصب الفترات التى ينمو فيها الشعر.. إنها تمثل المدى الحيوى عند كل إنسان ولكل أغراض الحياة.. وماتركه يمثل شعر شيخوخته ويضم ديوانه المطبوع خمساً وأربعين قصيدة منها ست وثلاثون قصيدة فى المدح.. وسبع قصائد فى المراثى.. وواحدة خلص فيها لشئون نفسه ولذاته.. لقد أضفت سنه المتأخرة طابع التعقل.. والرزانة على شعره.. فجاء شعره بعيداً عن الشطحات التى يؤخذ بها الشباب.. وسليماً من الركاكة الناتجة عن التعجل فى نظم الشعر.. وخالياً من السطحية، ومافيه من إسراف فى المدح.. أو تجاوز للحد المقبول لايعيب الشاعر إذا قيس بقصائد السابقين له أو المعاصرين .

---

(١) تاريخ الأدب العربى «٣١» للزيات.

(٢) النقد الأدبى «١٥٤» لشوقى ضيف.

(٣) راجع «دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه» «فجر الإسلام» ١/٥١ «والشعر والشعراء» ومراجعات فى الأدب والفنون و«الأدب العربى بين الجاهلية والإسلام» و«سحر الشعر» و«التوجيه الأدبى».

يعد الشاعر من المحافظين.. وتبرز المحافظة فى كل بيت.. فضلاً عن القصائد.. وكما أشرت فمحافظته بعيدة عن التهالك المزرى.. وبعيدة أيضا عن المحافظة الخاملة، فرغم تقيده، ومحافظته تبدو شخصيته واضحة المعالم.

ومن نزعات التقليد المعيبة منهجه فى المطالع.. فقد اتخذ مسلك القدامى.. فتغزل كما يتغزلون ووقف على الربع يبكيه.. ويسائله كما وقفوا من قبله مع أن شعره لايمثل فترة الشباب وهِي مضنة الغزل يقول فى إحدى قصائده:

عج بى على الربــع حيث الرنــد والبــان
وأن نأىٰ عنـــــه أحبـــاب وجيـــــران
فللمنـــــازل فى شرع الهـــــوى سنــــــن
يدرى بهــــا من له بالـــحب عرفــــان

وهو بهذا المطلع ينقلك إلى أعماق الماضى لتعيش زمان ابن حذام .. وامرىء القَيْس.. والشعراء الذين وقفوا عند المرابع يبكون ماضيها.. ويندبون حاضرها.. ويتغنون بذكريات عذبة عمروها بالوصال والوفاق.. والأقدمون معذورون لأنهم يبكون فعلاً الأطلال التى ظعنوا عنها بعامل الجدب أو الحرب.. أما شاعرنا فهو فى مدينة عامرة.. أخذته أقدامه.. أو راحلته إلى قصر الأمير ليمدحه ومن ثم يعود إلى بيت منيف وأنا لا أتخذ فى نقدى هذا سلاح أبى نواس الذى نعى على الباكين على الأطلال وناشدهم أن تكون ليلاهم ابنة الكرم. وإنما أريد الاحتفاظ بما يفيد.. ونبذ الشكليات التى لاتحقق مصلحة أدبية.. وبزوالها لا تزول شم الجبال.

يقول فى قصيدة ثانية :ـــ

قفــوا بى علــى الربــع المحيــل اسائلــه
وان كان أقـــوى بعدمــــا خف آهلــــه
ومــا فى سؤال الـــدار إطفـــاء غلـــة
لقــــلب من التذكـــار جم بلابلـــــه

إن هذا ليذكرنا بالدمن.. وأم أوفى.. وسقط اللوى.. وحومل.. وعن الدار.. والتوهم فى معرفتها.. وكثبان طي ومن منازع التقليد الكثيرة وصف الراحلة.

فقد وصف الشاعر الراحلة التى ركبها إلى الممدوح.. لا لأنه امتطاها فعلاً.. ولكن لأنه قرأ فى شعر المدح وصفاً للرواحل فالأعشى يقول عن رحلته الى محمدﷺ :

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من وجى حتى تلاقى محمداً
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم
تراخى فتلقى من فواضله ندا

فهو بوصفه لراحلته لا يخرج عما قاله المادحون فى عصور الأدب المختلفة.. فكل الشعراء ركبوا.. ووصفوا.. وجاء هو من بعدهم فتربى فى صحرائهم وحفظ شعرهم.. لكن أظعانه متينة قوية.. ليس فيها هزال.. ولا دبر فعن راحلته التى طلبها للسفر يقول :

قم ادن من ساهمات العيس ناجية
أدنى تغشمرها الأرقال والخبب
سقها من البلد المعمور مُتخذاً
دليلك الجدى إن لم تهدك النصب

فهو أبداً مأخوذ بهذا الشكل من المطالع.. لا يقول قصيدة واحدة إلا كانت الراحلة.. والمحبوبة.. وأطلالها واجهة نظمه.. وهو يكثر من استعمال الكلمات.. والأوصاف.. والتشبيهات التى تكررت فى الشعر العربى .. فأنت فى ثنايا شعره.. لاتفقد الطير.. والوحش.. حتى أن الوحش يتكرر فى أبياته بشكل ممل.. فتارة سغب الطير.. وأخرى مكاء الطير.. وحيناً العقبان وقوع وحوم.. ومرة الوحوش السواغب.. وغرث السباع وهى تارة وحوش ضارية تتقدم إلى جثث الأعداء.. وأخرى منتظرة لوعد البطل.. وهو بكل ذلك يشبه أبا الطيب المتنبي

الذى يقول ليس فيه رغبة فى قتل أعدائه ولكنه يخشى أن تجوع السباع.. أو يخلف وعده لها.. وهى مبالغة مجردة من أى معنى للإثارة.. أو الغرابة.. وليس فيها من الطرافة سواءً عند المتنبي أو غيره مايدعو الى الإحتفاظ بها وتكريرها لأنها من «حسن التعليل» السخيف الذى لايحرك المشاعر.

ومن خصائص الشاعر التى قلد فيها القدامى إستهلال مدحه بالغزل.. وغزله لا يخرج بجملته عن إطار الغزل العربى القديم الذى يردد أوصاف الجسم بشكل ممل.. ويتخذ عيون المها.. والظباء والأراك والأغصان ورخص البنان.. والكثبان أمثالاً وأشباهاً.. وأشكالاً للمحبوبة..

فمن ذلك قوله :ـــ

إن تبـــدت مبـــذور طلـــــع
قد كساهـــا من أثـيث الفـــرع جنـــح
أوتثـــــنت فكــــأغصان النقـــــا
هزهـــا من خمـــرة الإعجـــاب رنـــح

وله بتفاصيله انتماء إلى مدرسة زهير بن أبى سلمى الذى عرف عنه العناية بتحقيق صوره وتفصيلها وتمثيلها بجميع شعبها وتفاريعها وكأنه يبحثها ويحققها.. وبالرجوع إلى قصيدة زهير التى يقول فيها :ـــ

تنازعهـــا المهـــا شبهـــا ودر
النحـــور وشاكـــهت فيهـــا الظبـــاء
فأمـــا مافويـــق العقـــد منهـــا
فمـــن أدمـــاء مرتعهـــا الخـــلاء

وأمـــا المقلتـــان فمـــن مهـــاة
وللـــدر الملاحـــة والصفـــاء

تدرك الشبه القوى بين الشاعرين أو تحكم بأن الشاعر ابن عثيمين من مدرسة زهير التى عرفت بالعناية التامة حتى عرف زهير بصاحب الحوليات..

وأنت تؤمن إيماناً قوياً لايتسرب إليه الشك بأن ابن عثيمين من تلاميذ هذه المدرسة إذا عرفت أنه لم يترك للناس من شعره إلا القليل.. والقليل جداً وهو مانظمه بعد سن الستين من عمره.. وغزل ابن عثيمين مزيج من مدائحه لايُقيم له قصائد خاصة.. وقد أشار كثير من الأدباء إلى أنه نظم الكثير من الغزل لكن تقدم سنه حتى نيف على المائة مكنه من إتلاف مالا يريد.. أو مايراه لايليق بمقامه كرجل مُسِنٍّ عركه الفقر وأرهقته الفاقه.. وانقطع للعبادة بعد فراغ جيبه من المال.. وخلو منزله من الرواد.. وكساد سوق الشعر.. أو تعففه عن الإستجداء والضرب فى فجاج الأرض لهذا الغرض.. ومافى مدائحه من غزل لا يخرج عن محيط الغزل المألوف الذى يتعلق بالأرداف.. والنهود.. ووضاءة الوجه.. وافترار الثغر.. وانتشار الروائح الزكية.. والجسم الرشيق البديع.. وهو غزل الفناه وعرفناه منذ أن سنه الملك الضليل وشعب مسار به الضاربون فى آفاق الشعر.. إلى أن تنوع.. وتفرع.. وأسرف فى المجون والإغراق. وغاص فى عمق التحلل والرذيلة على يد الماجنين من شعراء العصر العباسى.. كبشار.. وأبى نواس.. وسلم الخاسر.. ومطيع ابن إياس واضرابهم

وشاعرنا عفيف فى غزله.. لايخالف فى ذلك ماتسوغه الشريعة.. أو تغض الطرف عنه.. فهو يتأسى كثيراً بكعب بن زهير حين وفد على الرسول ﷺ..ومدحه بقصيدته المشهورة التى جعل فيها سعاداً سبباً فى تكبيل قلبه.. وهو بين يدى الرسول عائداً من شروده.. تائبا من ذنبه معتذراً عما بدر منه مؤملاً فى رسول الله العفو.. لأن العفو عند كرام الناس مأمول.. والغزل الذى أفضى به ابن عثيمين للرواة يدور فى هذا الفلك عفة.. ونزاهة.. وترفعاً .. قد ترفضه

العادة.. ويستنكره العرف.. ويستهجنه المسرفون فى التحفظ.. وهم فئة قليلة يقرضها الزمن كأى ظاهرة لاتقوم على حق ولاتنتمى لسند متين مع أن غزله كما قلت شكليات غنية بالرنين ضنينة بالروحانيات التى تلمسها فى كثير من قطع الغزل..

واستمع إليه فى هذه الأبيات التى يقول فيها :ـ

لله أحور ساجى الطرف مقتبل
عذب اللمى لؤلؤىُّ الثغر فتان
عيل الروادف يندى جسمه ترفاً
ظامى الوشاح لطيف الروح جذلان
كأنما البدر فى لألاء غرته
ياليت يصحب ذاك الحسن احسان
يهتز مثل اهتزاز الغصن رنحه
سكر الصبا فهو صاحى القد نشوان

ففى هذا القول لاتجد معنى جديداً خرج به عن المعانى التى طرقها الشعراء واكثروا فيها وإنما تقوى صلته بمدرسة زهير صاحب الحوليات.. والتفصيل والتدقيق.. والترديد.. وإكمال الصورة من كل وجه وتقول مثل ذلك بل فوق ذلك فى قوله :

وفيهن مقلاة الوشاح كأنها
قضيب إذا ماست من البان وارف

وقوله :ـ

كم تمشى فيه غيد كالمها
هيف الأوساط والأكفال رجح

وكل غزله.. أوصاف.. ووله.. وتوله..وعطف.. واستعطاف..وتلك معانى مطروقة.. كثر فيها الأقدمون وجاءو منها بما لا يطلب المزيد.

والشاعر فى مدائحه أشبه شيء بشعر المتنبى وأبى تمام والبحترى من حيث المعانى والأغراض فهو يحشد الأوصاف المألوفة التى عرفها الناس فيكثر من وصف الممدوح فى البطوله.. والكرم.. والفروسية.. ويهول فى ذلك، وماقيل عنه بأنه أخذ يمدح الحكام بدافع الوفاء لا الإستجداء..وأنه من أعف الناس نفساً.. فأمر لايصدق على إطلاقه..إذا نحن قرأنا قوله :ـــ

فارقتهـــم أمتـــرى أخـــلاف سائمـــة
يسوقهــــا واسع المعـــروف منـــــان
لعــــل نعمـــة جود من مواهبـــه
يروى بهـــا من صدى الاقتـــار عطشان
أريش منهــا جناحـــــا حصه قدر
شكــــا تساقطـــه صحب واخـــوان

لقد ذهب الأستاذ عبد الله بن ادريس [1].. ومن قبله الى هذا مدعين أن مدائحه مدفوعة بالوفاء.. وأود هنا أن أستدرك أننى لا أنكر أن يكون عف اللسان.. لكن الذى أنكره أن لا يكون متطلعاً إلى العطاء مقابل مدائحه.

وظاهرة.. جديدة ـــ أو تكاد تكون جديدة بدت فى بعض مدائحه.. وخاصة فى مدائحه للملك عبد العزيز الذى مدحه الشاعر، أبان حروبه لتأسيس الحكم.. وصد المعتدين.. والمغرضين.. وفى فترة إخماد الفتن أو إسكان القلاقل الهائجة المائجة . ذلك هو تضمين مدائحه شيئاً من النصائح .. ولعل ذلك نتيجة حرص الملك على النصح.. فقد عرف عنه المقربون إليه حبه للنصيحة.. فتارة تجد الشاعر يبدى رأيه بحادثة.. أو واقعة.. أو يطلب منه استعمال العفو.. وأخرى يحثه على الجهاد.. وأخرى يطلب منه اكرام العلماء..

(١) فى كتابه «شعراء نجد المعاصرون».

أو الحذر من علماء السوء. ثم أن تقدم سن الشاعر أصفى شيئاً من الحكمة على شعره، من ذلك قوله :ــ

ياايهــــا المــــلك الميمـــــون طائـــــره
اسمـــع هديتَ مقـــال النـــاصح الحـــدب
اجعــــل مشيـــرك فى أمـــــر تحاولـــــه
مهـــذب الــــرأى ذا علــــم وذا ادب
وقــــدم الشرع ثم السيـــــف انهمـــــا
قوام ذا الخلـــــق فى بدءٍ وفـــــى عقب

فالشاعر وقد وفد مع الشعراء للمدح والتهنئة.. وجد الفرصة لتأكيد خصائص المشير الفاضل واثر الشرع.. والسيف.. إذا تواكبا فى طريق البناء.. والإصلاح. ومما يندرج تحت هذه الظاهرة.
وقولـه :

لاتحقــــــر الشر نزراً فى بدايتــــــــــه
كم احــرق الزنــد يومــاً حرجــة الشجــــر
لاتطمئــــــن الـــــــى من أنت دائـــــره
إن العـــــداوة كسر غيــــــر منجبـــــــر
ان بان خصلــــة سوء من فتـــــى فلهـــــا
نظائـــــر عنــــــده قد جاء فى الخبـــــر
وعاجــل الـــداء حسمـــــاً قبـــل غائلـــة
إن العــــلاج لبيـــــن البـــرء والخطـــــر

هذه الظاهرة.. وإن كنا لمسناها فى شعر «سديف» الذى يحرض فيه العباسيين على الأمويين.. حتى لا يرى على ظهر الأرض أموياً.. إلا إنها تأخذ أشكالاً من النصح.. المشورة.. لاتخلو منها جل قصائده التى وجهها للملك عبد العزيز.. مع أن المعروف عن الملك عبد العزيز العفو عند المقدرة.. وإكرام

الخصوم وبقية آل رشيد الذين أزال حكمهم.. يعدون من خلطائه، وندمائه، وتلك مكرمة يحمد عليها القادرون.

وشيء آخر تلوح منه الجدة.. ذلك هو القصص الشعرى فى المدح على غرار القصص الشعرى فى غزل ابن أبى ربيعة.. ففى إحدى قصائده التى مدح بها الملك عبد العزيز فصل فيها بأسلوب قصصى عملية عسكرية من حروب الملك.

قاد المقانب يكسو الجو عثيرها
سماء مرتكم فى نقع مرتكب
حتى إذا وردت ماء الصراة وقد
صارت لواحق أقراب من السغب
قال النزال لنا فى الحرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثياً على الركب

إن نزعة التقليد.. والمحافظة بادية بوضوح فى شعر ابن عثيمين، جاء ذلك نتيجة إعجابه بالشعر الجاهلى ودراسته له واستظهاره لكثير من قصائد الجاهليين والإسلاميين.. والذى تتاح له قراءة شعره.. أو شرحه لبعض قصائده يعرف أنه عالم فى اللغة ملم بغريبها.. ولهذا فإغرابه عادة لا تكلف فيه إلا فى القليل النادر.. وربما كان إغرابه.. وإختياره لأوابد اللغة وتقييدها فى ثنايا قصائده عاملاً قوياً شجع القراء على الإنصراف عنه.. وهو عزوف مُنِيَ به كثيرٌ من الشعراء العرب الذين حفظوا للغتهم ماء الوجه.. وارتفعوا بها عن عامة الشداة الذين يجهلون ماقاله أسلافهم.. لأن أفكارهم هزيلة ضعيفة.. لاتحتمل المشقة.. ولا العناء.. فهى أبداً تلتمس المهين القريب المنال الذى لا يستدعى تفكيراً.. ولا تنقيباً.. ومع معرفته باللغة.. لديه معرفة تامة فى كثير من فروع المعارف لأنه كما علمت رجل رحل فى طلب العلم والرزق معاً.. وتتلمذ فى مناطق الخليج على جلة العلماء.. وكان لطول عمره الأثر الكبير فى تعميق تلك المعارف..

ولعل للطابع الدينى الحظ الأوفر فى هذه المعارف.. ولهذا نجد كثرة الإقتباس من القرآن.. والحديث.. وهو اقتباس تعرف من خلاله لون الثقافة.. ونوع المعارف التى وعاها الشاعر فى مراحل حياته التحصيلية.. وحكمه تشبه إلى حد كبير حكم المتنبي وأبى العلاء وأبى تمام.. فمن حكمه المتسمة بالطابع الدينى.. والطابع العربى قوله :

والعبـــد إن صلـــحت لله نيتـــه
لابـــد يـــدو لهـــا فى الكـــون آثـــار

ومن الحكم التى أملتها طبيعة نجد.. قوله :ـ

ومـــن بنـــى من حميـــل السيـــل منزلـــه
لابـــد يأتيـــه يومـــاً فيـــه دمّـــار

ومن اقتباسه من القرآن والسنة الشيء الكثير الذى لانحيط به بل نكتفى منه بقوله :ـ

ألـــيس أتـــى في محكـــم الذكـــر أمرنـــا
بطاعتـــه حقـــاً ولا نتفـــرق
فقـــال أطيعـــوا الله ثم رسولـــه
كذاك ولـــى الأمـــر نص محقـــق

وقوله : ـ

اذا صلـــحت فى داخـــل الـــجسم مضغـــة
فإن صلاح الـــجسم فيهـــا معلـــق

وقولـــه : ـ

اذا خط ذو العرش الشقـــاء علـــى امـــرى
فلـــن تغنـــى الآيات تتلـــى ولا النـــذر

إنك تحكم على ابن عثيمين بالتقليد.. ولكنك تنتشله طائعاً مشفعاً من وهدة التقليد المستهجن.. ذلك أن تقليده جاء بعد فهم للقصيدة العربية .. وبعد إثراء من اللغة العربية.. إنه يفهم طبيعة الشعر.

قلت فى مطلع الحديث عن الشاعر إن قصائده تفقد الوحدة الموضوعية .. والوحدة العضوية فهو لا يراعى شيئاً من ذلك لأن المدرسة التى تخرج فيها لاتراعى ذلك.. والذى يخفف من هذه المآخذ على الشاعر إلى جانب تمسكه بالمنهج العربى.. طول النفس الذى تجلى فى كثير من قصائده الأمر الذى يجعل بمقْدور القارىء التقديم والتأخير فى أبياته دون إخلال .. وهذه الوحدة مطلب أكيد أسرف فى التركيز عليها جماعة الديوان، وبالذات «عباس محمود العقاد ١٩٦٤».. وأخذها على شوقى أخذ تطاول.. وإسراف.. وزهو.

والشعراء القدامى فى خلطهم للمواضيع يحتاجون دائماً إلى طريقة يتخلصون بها تعرف فى علم البلاغة «بحسن التخلص» وبما ان الشاعر ابن عثيمين من هذه الفئة التى تخلط.. فإنه محتاج أبداً إلى حسن التخلص.. لأن تعاقب المواضيع يلجئه إلى ذلك.. والشاعر الذى لايراعى وحدة الموضوع مضطر إلى ذلك وإلا ارتطمت الموضوعات ببعضها.. فمن حسن التخلص عند ابن عثيمين. قوله : —

هيهات أن ترجع الأيام ماأخذت
فدع تذكر ايام الصبا القدم
واصرف مديحك فى ازكى الورى نسباً
فرع الهداة تريح العرب والعجم

وقولـه : ـــ

في ذمة اللـه جيـران إذا ذكـروا
هاجت لذكرهـم في القـلب أحـزان
فارقتهـم أمتـرى أخـلاف سائمـة
يسوقهـا واسع المعـروف منـان

وهذا التخلص الذى يفرضه انعدام الوحدة الموضوعية يحسن أحياناً فيكون طريفاً مليحاً.. ويقبح فى كثير من القصائد فيضيق به القارىء.. وتمله النفس.. وقد عقد النقاد العرب أبواباً لحسن المطالع وقبحها وحسن التخلص وقبحه.. ولشاعرنا نصيب كبير من هذا الحسن.. وذلك القبح يتضح لمن قرأ شعره.

ونزعة التقليد ربطت الشاعر ببعض خصائص عصور التخلف.. فكان يستعذب ختم قصائده بالحمد والصلاة.. وهى ظاهرة جيدة.. لكنها وليدة تقليده للشعراء فى عصور التخلف ففى كل قصيدة من قصائده تجده لا يخلص من التقليد فى المطالع.. والتقليد فى الختام.

كقولـه :

ثم الصلاة على الهـادى الـذى خمـدت
في يوم مولـده للفـرس نيـران

وقوله :

ثم الصلاة وتسليـم الإلـه علـى
من خصه الله بالأسنـى من الكـتب

وقـولـه :

وصل إلـه العالميـن علـى الـذى
بأنـواره الأكـوان تزهـو وتشرق

لقد أطلنا الحديث عن ابن عثيمين وخصصناه بما لم نمكن لأحد غيره من البحث لأنه الشاعر الذى يجسد الاتجاه الكلاسيكى تجسيداً واضحاً.. ولأنه

الشاعر الحقيق الذى تجدر العناية بمعطياته. وبالتالى فهو الشاعر الذى بدأت به نجد حياتها الشعرية الحقة.. كما بدأت مصر مرحلتها المعاصرة بمحمود سامى البارودىِ بقى أن نحمل خصائص شعره.. وأن|نقدم فى الختام قصيدة أو بعض قصيدة من عيون شعره فمن غرره قصيدته النونية المشهوره التى مدح بها الملك عبد العزيز يقول فيها :

حج بى على الربع حيث الرَّنْـدُ والبـانْ
وان نأى عنـــه احبـــاب وجيـــران
فللمنـــازل فى شرع الهـــوى سنــــن
يدرى بهـــا من له فى الــحب عرفـــان
وقـــل ذاك لمغنـــى قد سجـــن به
ذيـــل التصابـــى برسم الشجـــو غزلان
القاتــــلات بلا عقـــــل ولا قود
سلطانهـــن علـــى الأمـــلاك سلطـــان
لله أحـــور ساجـــى الطـــرف مقتبـــل
عذب اللمـــى لؤلـــؤى الثغـــر فتـــان
عبـــل الـــروادف ينـــدى جسمـــه ترفـــاً
ظافـــى الـــوشاح لطيـــف الـــروح جذلان

وبعد هذا المطلع التقليدى على عادته جنح للتخلص إلى موضوع القصيدة فقال : —

فِي ذمـــة الله جيـــران إذا ذكـــروا
هاجت لذكرهـــم فى القـــلب اشجـــان
فارقتهـــم أمتـــرى اخـــلاف سائمـــة
يسوقهـــا واسع المعـــروف منـــان

لعــــل نفحـــــة جود من مواهبـــــه
يروى بهـــــا من صدى الإقتــــار عطشان

أريش منهـــــا جناحــــــــأ حصَّهُ قدرٌ
شكــــا تساقطـــــه صحبُ وإخــــوان

وفـــى اضطـراب الفتـــى نجـــح لبغيتـــه
وللمقاديـــــــر إسعـــــاد وخـــــذلان

فاربـــأ بنـــفسك عن دار تذل بهـــا
لوان حصباءهـــــا ورْدٌ ومُرجـــــان

طفت المعالـــم من شام ومـــن يمـــن
ومـــن حجـــاز ولبَّتْنـــــيِ خراسان

فمــا لقــيت ولــن ألقــى ولــو بلـــغت
بى منتهـــى السد همـــات ووجـــدان

مثـل الجحاجحـة الغـر الذيـــن سمـــوا
مجـــداً تقـــاصر عن عليـــاه كيـــوان

وبعد تطوافه اهتدى إلى ممدوحه الذى قصده ليمترى أخلاف سائمته : ـ

عبـد العزيـــز الـــذى نالت به شرفـــا
بنـــو نزار وعـــزت منــــه قحطـــان

مقـــدم فى المعالـــى ذكـــره ابـــداً
كمــــا يقـــدم باسم الله عنــــوان

مُلك تجسدَّ فى أثنــــاء بردتـــــه
غيث.. ولــــيث واعطــــاء وحرمــــان

خبيئـــة اللـــه فى ذا الـــوقت أظهرهـــا
وللمهيمــــــن فى تأخيرهـــــا شأن

ودعـــوة وجـــبت للمسلميـــن به
أمـــا ترى عمَّهـــم أمـــن وإيمـــان
ورب مستكبـــر شوس خلائقـــه
صعب الشكيمـــة قد اعمَّـــاه طغيـــان
تركتـــه وحـــده يمشي وفـــى يده
بعـــد المهنـــد عكـــاز ومحجـــان
وعـــازب رشده إذ حان مصرعـــه
بخمـــرة الجهـــل والإعجـــاب سكـــران
أمطرتـــه عزمـــات لوقـــذفت بهـــا
صم الشوامـــخ أضحت وهـــى كثبـــان
عصائبـــاً من بنـــى الإسلامـــى يقدمهـــم
من جدِّك المعتلـــى بالـــرعب فرسان

ويمضى فى تعداد ألمكارم التى الفتها الأذن العربية يحشدها الشعراء للممدوحين عبر العصور : —

نحـــرت هديك فيـــه المشركيـــن ضحـــى
فافخـــر ففخـــر سواك المعـــز والضان
أرضيت آبـــاءك الغـــر الكـــرام بمـــا
جددت من مجدهـــم من بعـــد مابانـــوا
نبـــهت ذكـــراً توارى منـــه حيـــن علا
للمارقيـــن ضبـــاب فيـــه دخـــان
فجـــئت بالسيـــف والقـــرآن معتزمـــاً
تمضى بسيـــــــــفك مأأمضاه قرآن
حتـــى انجلـــى الظلـــم والإظـــلام وارتفـــعت
للديـــن فى الأرض أعـــلام واركـــان

وفى هذه القصيدة تستطيع أن تستخلص كل سمات الشاعر وخصائصه التى عرضناها فى ثنايا حديثنا عنه.. وعن سمات الشعر النجدى.. وهى خصائص وسمات لاتخرج به عن دائرة الشعراء المتقدمين الذين وهبهم الله قدرة على معالجة الشعر.. واتقان صناعته.

أما عن خصائص الشاعر فيمكن إجمالها فيما يلى : —

١ — سلك مسلك المتقدمين فى غزل المطالع وبكاء الديار.. ومسلك شعراء عصور الدول المتتابعة فى الختام.. واضطره التنوع إلى حسن التخلص إلى موضوعه.

٢ — لا يوجد فى شعره نزعات فلسفية.. ولا اتجاه موضوعى واقعى.

٣ — كثرة الحكم والأمثال فى شعره وربما كان لسنه المتقدمة أثر فى ذلك.

٤ — الاقتباس من القرآن والسنة على سنن من كان قبله.

٥ — معارضاته لكثير من الشعراء فى مشهور قصائدهم كبائية أبى تمام.

٦ — تبدو فى وصفه الدقة.. وحدة الإحساس.. والإطالة.. والتفصيل.

٧ — لم يتعرض لشىء من المخترعات الحديثة ومظاهر الحياة الجديدة التى أدركها.

٨ — إسرافه ومبالغته فى مدائحه.. إلا أن هذا لم يبلغ حد الخروج عن مقتضيات الدين.

٩ — إحداثه النصائح.. والسرد القصصى فى المدائح.

١٠ — الإغراب والتعقيد فى كثير من قصائده ومرجع ذلك إلى قراءاته فى متون اللغة.

«الشـاعر محمد بن بليـهد»

..وإذا أردنا الحديث عن الشاعر محمد بن بليهد[1] ونحن مريدوه بلا شك ــ فإننا أمام شاعر نبطى من الفحول.. وشاعر عربى من سائر الشعراء.. وعالم بالآثار.. والأماكن والبلدان.. ورحالة يجوب فجاج الأرض فيرصد المشاهدات على الطبيعة.. ويقابلها بما حفظ لنا الشعر العربى من عهد امرىء القيس.. وهو مع كل ذلك لم يفرغ لفنه.. أو قل لم يفرغ لفنونه.. فشغل مناصب حكومية.. واشتغل بالتجارة.. وطاف البوادى وخالط الأعراب.. وحفظ من أشعارهم.. وأخبارهم.. مازاد رصيد معارفه.. وكانت رحلاته تلك مصدراً خصباً لمؤلفاته التى يعد من خيرها ــ صحيح الأخبار فيما فى جزيرة العرب من الآثار ــ وهو كتاب قيم يعرف قدره المهتمون بهذا اللون من المعارف.. ومن أندر خصائص هذا الكتاب أنه تتبع أشعار الجاهليين.. واستخلص منها أسماء البلدان.. والجبال.. والأودية فعرفها وعرَّفها وحددها تحديداً قائماً على المشاهدة والاستقراء. وله ديوان مطبوع.. ومن منجزاته تحديد سوق عكاظ.. هذا الاتجاه العلمي صبغ شعره بلون علمى فيه جفاف وخشونة، وشعره رصين قوى وليست كلماته فى غرابتها مشابهة لكلمات ابن عثيمين.. والفرق بينهما أن ابن عثيمين عالم باللغة وآدابها.. يدرسها للأثراء.. وابن بليهد عالم فى التاريخ والآثار وتحديد المواضع يدرس اللغة للوقوف على بغيته ومراده.. ولايعنى هذا

---

(١) محمد بن عبد الله بن بليهد.. ولد قريباً من «شقراء» درس وتعلم كغيره ممن فرغ للعلم.. فى المساجد.. وعند الندره من العلماء.. رشحه الملك عبد العزيز ليكون وافد المملكة فى مبايعة شوقى فى إمارة الشعر عام ٤٥ فحال عامل سياسى دون ذلك مما حفز شوقى إلى القول:

افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر على قسه ولاسحبانه

جهله باللغة وعلومها.. ولكن النزعة العلمية طبعت شعره بطابع تلك الألوان التى يعرفها القراء فى كتب الأدب وكتب العلم.

والأغراض التى طرقها ابن بليهد لاتخرج فى جملتها عن أغراض الشعر العربى المألوفة.. وهو بحق الشاعر السياسى الذى واكبت قيثارته مراحل حياة الملك عبد العزيز.. وإذا كان ابن عثيمين مدح حكام الخليج.. ورحل فى طلب الرزق والعلم.. فإن ابن بليهد لم يمدح أحداً سوى آل سعود.. فمدح الملك عبد العزيز وأشاد بحربه.. وسلمه.. وبعلاقاته.. واتجاهاته.. ومدح ولِي عهده الملك السابق سعود رحمه الله.. ومدح «النائب» جلالة الملك فيصل حالياً حفظه الله[1].. وأرخ لهما فى شعر علمى تاريخيٍ وكان فراغه لنفسه كثيراً على خلاف الشاعر ابن عثيمين الذى نسيِ نفسه إلا من تصويرها المبالغ فيه للعطف والاستجداء فتغزل.. وحن إلى وطنه حنينِ الواله.. فطور مشاعره بشيء من صدق العاطفة.. وما كان شيء من ذلك متيسراً فى شعر ابن عثيمين .. ومرد ذلك الى ماأشرنا إليه من إقدامه على اتلاف شعر الصباء وهو الشعر الذى فيه العاطفة أكثر شبُوباً .. وحماساً.

وابن بليهد مقلد للقدامى فى أوزانهم.. وفى أغراضهم.. وفى ترتيبهم لهذه الأغراض.. وفى المطالع بقله.. كما أنه لايكثر التقليد فى الختام .. أو ربما لم يرد شيء من ذلك فى شعره.

ومن مطالعه التى قلد فيها السابقين :

تغيـــر رسم الـــدار أصبـــح خاليـــا
فلـــيس بهـــا حي يجـــيب المناديـــا
عفـــى رسمهـــا من وابـــل المـــزن رائـــح
وآخـــر معهـــا ومـــن المـــزن غاديـــا

---

(1) انتقل إلى رحمة الله عام ١٣٧٧هـ بمرض الجاحظ «وقد فرغ أحد الأدباء لدراسة شعره وأدبه فى بحث مطول مستقل».

وكما أشرت.. فشعر ابن بليهد يتسم بالطابع السياسى.. وهذا دفعه إلى أن ينظم القصائد الطويلة المتعددة الأغراض.. فى فتح مكة.. والمدينة.. وجدة واسترداد هذه البقاع المقدسة من الأتراك والهاشميين.. وكم أمعن فى التحريض.. والمناشدة لمواصلة الغزو.. وكم نظم على أشلاء المعركة ينعى على الباغين.. ويطمئن خاطر المجاهدين فى سبيل الحق.. ومن قصائده التى يناشد فيها الملك عبد العزيز ويحرضه على الجهاد والغزو أملاً فى فتح المدينة المنورة وكانت إذَّاك بيد الهاشميين. قوله : ـــ

عبـــد العزيـــز أعـــز الله دولتـــه
ماهـــيت الريـــح فى الغـــدوات والأصل
تدعـــوك طيبـــة الاطـــلال قائلـــة
أزج القـــلائص عنـــد الحـــادث الجلـــل
طهـــــر بلاداً رسول الله ساكنهـــــا
من المظالـــــم والأشراك والخلـــــل

وهو مأخوذ بما أخذ به غيره من المعاصرين بالتقليد للمتقدمين فى استخدام بعض الأغراض التى يستخدمها القدماء للتهويل.. والإيجاف.. والرفع من شأن الممدوح.. والحط من قدر الأعداء.

وقد مر بنا فى دراستنا لابن عثيمين شيء من هذه المنازع.. ونجدها واضحة متجلية فى مدائح ابن بليهد وقد كانت قبلا متجلية فى مدائح المتنبى لسيف الدولة. يقول ابن بليهد على هذه الوتيرة.

قل للسبـــاع ولـــوشط المـــزار بهـــا
تلقيـــن ملحمـــة فى جانب الجهـــراء

وهو أيضا يستخدم العيس لتكون منفذاً إلى المدح.. ومع أنه ركب السيارة .. واستعملها وذاق فيها متاعب الطريق.. وعانى من قدمها وكثرة خرابها.. وجهل

سائقها.. ولكن شيئاً من ذلك لم يحرك مشاعريته وما منع من ذلك إلا التقليد الذى صرفه طائعاً إلى العيس وإرقالها، وصرفه طائعاً عن معطيات الحضارة ومنافعها.

قلت إنه فرغ لنفسه ولم تكن تلك من سمات ابن عثيمين فنظم فى كثير مما وقع له لايريد فى ذلك مدحاً.. ولم يرقب عطاءً.. وإنما هو إحساس.. ومعاناة فجرت فيه هذا اللون من الخصوصيات التى فقدها فى كثير من قصائد الشعراء المعاصرين.. فالشاعر.. فرغ للتجارة.. وطاف فى أرجاء البلاد وأحس بالوله.. لبلده.. وذويه، والغربة دائماً تفجر الحنين إلى الوطن .. وتجعل الشاعر يفرغ لنفسه فمن قصائده التى يحن فيها إلى نجد :

أصاح ترى برقـا يلـوح ومـيضه
علـى القـارض النجـدى يهمـى ويسكب
فرق له قلبـى وبت كأننـى
مريض من الأسقـام والـجسم اشحب

وقال وهو سجين فى المدينة : ــ

يانـفس عنـد اكتـراب الأمـر لاتسلـى
يمضى علـيك الـذى قد خط فى الازل
ان قربونـى الـى دهمـاء مظلمـة
فالدهـر دولتـه تزكـو علـى الـدول[1]

ورحل الى مصر للعلاج بعد أن أصيب بمرض الجاحظ.. فشهد الممرضات على وضع لم يشهده فى بلده فهن سافرات.. كاسيات عاريات.. يتحدثن بطلاقة.. ويعالجن بلطافة.. ويخدمن بلين ورقة جانب.. ولاينسين إبداء زينتهن لغير بعولتهن.. فحركت هذه المظاهر كوامن شاعريته رغم المرض وكبر السن.. وساعد على ذلك إلحاحهن.. ومناشدتهن إياه ليقول فيهن شعراً فتغزل بهن

(١) الديوان ص ٧٨.

إرضاء لنفسه أولاً.. وارضاء لهن ثانياً.. فكان لهذا الغزل رغم التزامه بشكلية الممارسة القديمة أثر فى النفس لم يستطع الغزل السعودى المعاصر إحداثه فى نفوس السامعين.. فقد استطاع أن يربط معاناته النفسية من المرض بما فى ممرضته من جمال ورشاقة وحسن.. فقد أبصر غزالاً كاملة الوصف ويذكرنى هذا بما أخذ به عباس محمود العقاد شوقيا حين نظم قصيدته التى يطلب فيها أن تثنى عنان القلب عن سرب الظباء.. وهذا ماتمليه النزعة التقليدية.. وكان بإمكانه أن يتخذ من الأوصاف مايناسب جمال الفتيات ومايناسب ذوق العصر الذيِ لم يعد يرى فى الظباء.. أو الغزلان.. أو المها شيئاً من مسحة الجمال.. إن قارئى القرن العشرين لايجد فى المها فرقاً عن أى حيوان أليف أو متوحش.. ولهذا يمر على حشود الأوصاف مروراً عابراً اشبه مايكون بمرور الفلاح بحظيرة

الحيوان.. أننى استعذب فى هذا الغزل ذكر علاجه وربطه بنواحى نفسية..
قال فى الأولـى :

رأيت غزالاً فى الضحى كامـلَ الـوصف
كوثْنـى بنـار فى فؤادى وفـى كتفـى
فأمـا التـى بالكتـف تُزكـى بكهـرب
وهاتـيك تُزكـى بالملاحـة واللطـف
تفائـلت من كفَّـيْ سعـادٍ سعـادةً
وفائـزةٍ فوزاً فطلعتهـا تشفـى
خليلـي هل تأسو المـراض فريـدة
بقامتهـا الهيفـاء سهـم من الحتـف
لعمـرى مادائـى سوى نظراتهـا
وبلسمـي الشافـى لديهـا ومـا اخفـى

وقـد عالجـوا نصفـــى بكـــف رقيقـــة
وبالسحـر من عينيهمـــا أهلكـــو نصفـــى
إذا طفـــقت كلتاهمــــا فى علاجهـــا
رأيت المنايـا من امامـــى ومـــن خلفـــى
ومااناــــا الا فى هواهـــم متيَّـــم
ضعيـف القـوى شيـخ فهـل رحمـوا ضعفـى[1]

إنك تلمس فى هذا الغزل صدق العاطفة.. وتحس أنه جسد مشاعره تجسيداً دقيقاً.. كما أن التجربة الشعرية ذاتية.. انفلتت من رتابة المناسبات وجمودها.. لقد حكى الواقع.. فهو مريض بالفالج.. ويعالج عن طريق الكيِ الكهربائى.. فقد كوتْه بنار فى فؤاده.. وفى كتفه.. وعاد يفصل هذا الكيِ.. فنار الكتف تثيرها الكهرباء.. ونار القلب تذكيها ملاحة الممرضة.. ولطافتها..

ومن حسن طالع الشاعر المريض أن يكون فى اسمى الممرضتين مجال للتفاؤل فكانت إحداهما «سعاد».. والأخرى «فائزة»..وليس أجمل فى نفس الإنسان من السعادة.. والفوز.. لكنه عمق الأسى وفخر[1] فم الجرح.. بتساؤله الشارد..

خليلـــى هل تأسو المــــراض فريـــدة
بقامتهـــا الهيفـــاء سهـــم من الحتْـــف
لعمــــرى مادائـــــى سوى نظراتهـــــا
وبلسمـــــى الشافـــى: لديهـــا ومـاأخفـــى

العيب الوحيد الذى أخذ الشاعر به التهويل فى الغزل.. وربط الموت.. القائم من الأمام.. ومن الخلف وسهم الحتف.. والسحر فى تصوير موقف حب.. ومرض فى آن واحد.. كان عليه أن يلتمس العطف من طريق آخر.. وكلمة..

---

(١) ديوان الابتسامات الأيام.. وراجع: الأدب الحديث فى نجد للدكتور محمد بن سعد بن حسين.

كامل الوصف.. كلمة استهلكت العامة فعاليتها فلم تعد ذات أثر فى أسلوب الوصف وأما القصيدة الثانية فقال فيها : ـــ

إذا دعيناك فاهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهربا خبر
أما محمد قد زالت شكيته
وليس فى كتفه مما شكا أثر
قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس فى عودها طول ولاقصر
اذا رأيت الثنايا الغر باسمة
هناك من بينهن الموت ينتظر
فى ركبتيك ثرى فى الكهربا أثر
يطير للقلب من جرّائه شرر(١)

وفى هذه القصيدة ينعدم الترابط.. وتحس بفجوات واسعة.. وبالتالى.. استعمال كلمة «الهرج» لا أستسيغها ذوقاً.. وهو لايخرج فيها عن أسلوب الوصف القديم.. قمر.. وغزال.. وعود ليس فيه طول ولا قصر.. والموت جالس يترقب القادمين على ثناياها.. حشد من التهويل والارجاف لايحمل بين طياته غناء، الميزة فى قصيدته كما قلت إنه مارس التجربة الشعرية وصدر عن عاطفة صادقة.. لكنه مع ذلك خضع لتأثير التقليد الأمر الذى أخر عملية التأثير فى النفسْ.

لقد كان ابن بليهد مع شاعريته الفصحى يجيد الشعر العامى إجادة فائقة.. وله قصائد من غرر الشعر الشعبى حتى أنه نظم هذا الشعر فى سن الطفولة المتأخرة كما يدعى.

---

(١) ن. م.

قال عن شاعريته محمد بن حسين «شاعريةُ غزيرة متدفقة.. مملوءة بالحيوية.. موسومة بقابلية التصعيد.. والتجديد لو أوجد لها مجالاً»[(١)].

إنه شاعر بلاشك.. ولديه القدرة على أن يطرق المجالات التى يريدها.. لكنه غالباً لايترك فى نفسك أثراً.. ولا يستطيع رغم التهويل.. والصخب أن يترك المقدار الذى يتركه ابن عثيمين من الأثر..

قلت فى مستهل الحديث عن الشاعر أنه عالم الآثار.. والتاريخ.. وبالفعل فقد ترك الشاعر مجموعة من المؤلفات استطاع أن يسد بها فراغاً فى مجالها.. من هذه المؤلفات : ـــ

١ ـــ صحيح الأخبار فيما فى جزيرة العرب من الآثار.. خمسة أجزاء فى مجلدين.. طبع أخيراً للمرة الثانية.

٢ ـــ ابتسامات الأيام فى انتصارات الإمام.. ديوان شعره وأغلبه فى مدح آل سعود.. وزعه إلى خمسة أجزاء.

٣ ـــ ومن مخطوطاته «ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه»

٤ ـــ وله مذكرات.. ضمن كتابه الأول.

٥ ـــ كما حقق كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمذانى[(٢)]

..والشاعر ابن بليهد.. فى شعره الشعبى أمكن منه فى شعره الفصيح.. كما أنه فى صناعة الشعر ونقده أقدر منه فى نظم الشعر.. ولهذا كان الشعراء الحجازيون فى مرحلة شبابهم يعرضون عليه قصائدهم للاستئناس برأيه.. وللاستفادة من بصره.. وخبرته بالشعر وفنونه.

وأسلوبه فى النثر يدل على أنه من الأدباء المجودين الذين خرجوا من إطار الصنعة والجمود.. والتقليد.. هذا إذا عرفنا أن الشاعر عاش موزع الجهد بين

---

(١) ،(٢) الأدب الحديث فى نجد.

التجارة القائمة على السفر.. والوظيفة المتطلبة للوقت.. والمرض المدنف الذى قعد به عن الفراغ لنفسه وعلمه.. وفنه.

هذه لمحة سريعة موجزة عن الشاعر.. وضح لنا من خلالها أنه شاعر محافظ.. مثله فى ذلك مثل زميله ابن عثيمين فقد لزم عمود الشعر العربى.. فى شكله.. وفى مضمونه.. إلا أنه يمكن مع شيء من التحفظ أن نقول إن انعتاق ابن بليهد فى المضمون عن منهج القدامى أكثر من ابن عثيمين.. فهو لم يبعد كثيراً عن سنن الشعر القديم.. فقد قرأه قراءةً العالم البصير فانفلت من بعض القيود.. فى حين قرأه الشاعر ابن عثيمين قراءة الفنان الموهوب فلزمه لا يريم عنه..

من هذا الاستعراض الموجز نَعرفُ أنه فرغ وزميله للمدح بل انقطعا له «وكان مدحهما خالصاً لوجه السياسة».. ولم تكن لديهما الثقافة الإسلامية المتخصصة.. أو بمعنى أدق لم يكونا عالمين فى الدين فاتسم شعرهما بالطابع السياسى.. مع اختلاف بسيط يمكن أن نوجزه فى أن ابن عثيمين لم ينقطع فى مدحه لآل سعود.. ولم يكن ذا بصر بالسياسة ومطالبها.. فى حين كان ابن بليهد شاعر السياسة والحرب فرغ لمدح آل سعود.. وعمل فى معية جلالة الملك عبد العزيز وشهد انتصاراته بل ربما شارك فى المعارك.. فكان كأبى تمام حين صحب المعتصم إلى عمورية فأنجبت هذه الرحلة بفريدة من فرائد أبى تمام وهى البائية المشهورة. وعلى بحرها ورويها وبنفس الموضوع نظم ابن عثيمين.

كما كان تعرض الشاعرين.. ابن عثيمين.. وابن بليهد.. لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قليلاً.. واقتصر أثر الدعوة فيهم على اتجاههم الإسلامى.. ولم يعرضوا للدعوة إلا حين يتطلب موقف المدح ذلك.. ويخالف فى ذلك الشاعر ابن سحمان الذى سنعرض له فيما بعد والذى بدت قصائده منافحة مدافقة.

وخلاصة القول.. أن الشاعر مقلد فى فنون الشعر.. محافظ على سماته.. يمدح كما يمدح المتنبي.. وأبو تمام.. ويتغزل كما يتغزل غيره من الشعراء.. ويفتخر.. ويهجو.. كما يفتخر المتنبي.. وكما يهجو أبو تمام فى بائيته.. مع فارق الخصائص الفنية.. والمواهب الشعرية.. فهو فى كل ذلك لا يخرج عن سمت الشعراء.. حتى في بناء القصيدة.. ووحدتها إذ يهمه من أمر قصيدته.. حسن المطلع.. وحسن التخلص ويريد من البيت أن يكون وحدة مستقلة يستطيع القارىء وضعه من القصيدة حيث شاء.

الشاعر سليمان بن سحمان

.. وثالث الثلاثة.. سليمان بن سحمان[1] وهو ماسنختتم به الحديث عن الطبقة الأولى التى تعد بحق الأساس القوى المتين الذى قام عليه صرح الشعر النجدى الحديث.. لا أشك أن الثلاثة يشكلون واجهة التقليد والمحافظة. والمتانة والرصانة فى آن واحد وهم حلقة اتصال بين ماضٍ مظلم مجهول لاتعرف فيه الحياة أدباً.. ولا شعراً.. ولاتذوق فيه الأمة طعماً للراحة.. والأمن... والاطمئنان.. وحاضر.. مشرق باسم.. قامت فيه دولة الأدب.. والشعر.. وذاق فيه الناس ألوان السعادة.. والرخاء.. والأمن.. وعرفوا فيه الحكومة الملتزمة بكل وظائف الدولة الحديثة.

وابن سحمان يتفق مع زميليه فى التقليد.. ولكنه يخالفهم فى ناحية مهمة.. فهو شاعر ضليع.. وهما شاعران ضليعان.. ولكنه عالم متمكن من كتاب الله وسنة رسوله.. ومن كتب السلف كابن تيميه.. وابن القيم وقد خولت له هذه الثقافة أن يكون شاعر الدعوة الوهابية بدون منازع.. فرغ لها.. يكافح.. ويناقح عنها بشعره ونثره.. فله إلى جانب ديوانه.. مؤلفات دينية لاتخرج فى جملتها عن الدفاع عن الدعوة السلفية التى قام بها ابن عبد الوهاب.

وتقليده للشعر العربى القديم لايخرج عن تقليد صاحبيه.. فهو فى المطالع

---

(١) سليمان بن سحمان.. يمنى الولاده.. نجدى النشأة والوفاة.. سلفي العقيدة ولد سنة ١٢٦٩هـ وتوفى سنة ١٣٤٩هـ وطلب العلم على سلالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وعرف بإخلاصه للدعوة والدفاع عنها بشعر رصين كثير ورسائل بليغة وكتب عديدة.. منها «الألسنة الحداد» «الضياء الشارق» «التنبيه» «إقامة الحجة» «الصواعق المرسلة» «إرشاد الطالب» وله ديوان مطبوع يحوى أكثر من ثمانية ألف بيت كلها فى الدفاع وتمجيد العقيدة.

يبكى الديار.. ويصف الرحلة بأنها شاقة مضنية.. وأن الراحلة منهكة متعبة أفسد قوتها طول السرى.. وهو إلى جانب ذلك لايتحرج من الإستهلال بالغزل يصف المفاتن.. والتقاطيع.. وأثر هذه المفاتن والتقاطيع المتسقة الجميلة على نفسه..دفعه إلى ذلك حبه للتقليد.. وحرصهُ الجاد الأكيد على ألا يخالف الأولين الذين اختلف إلى معاهدهم ينهل ويعل من حياضهم..

وابن سحمان حين يشد إزاره لنظم قصيدة فى المدح.. وهو العالم الجليل الذى نافح عن العقيدة ولزم مقتضاها .. وجلس للتدريس والفتيا.. والوعظ والإرشاد لايجد حرجاً من أن يستهلها بقوله :

دع العبـــرات تنسجـــم انسجامــــاً
ونـــار الوجـــد تضطـــرم اضطرامــــا
ودعنـــى لا ابـــالك لاتلمنـــى
فإنـــى لا أصيـــخ ولـــن ألامـــا
اعـــن سلمـــاء يصدفنـــى عذول
اذا القـــى بمـــن اهـــواه ذامـــا

ليس عند الشاعر عزول.. ولامحبوبة.. وليس لأحد أن يتهمه بالحب فيأخذ باللوم والتعنيف لأنه يعيش فى وسط محافظ لايسمح للمرأة بالسفور فضلا عن أن يتعرَّض لها الرجال.. وهو عالم فرغ لكتبه الدينية يؤلف ويرد، وينافح.. وفرغ لطلبته يدرس.. ويشرح.. ويجيز.. وشغل وقته أولئك الرعاع من خصوم الدعوة الذين شالوا عقيرتهم يهاجمون.. وينقدون يسرفون فى الهجوم.. وفى النقد.. ولاشيءٌ خفيٍ أو ظاهر دفعه إلى هذا المطلع المتغزل إلا التقليد.. والحرص على شكليات القصيدة العربية..

وبعد غزله الذى صرف فيه اللائمين بعنف وقسوة.. وذكر محبوبته فى استفهام إنكارى غارق فى الاستغراب ينصرف إلى المدح كما انصْرف من قبله

كعب بن زهير ومن بعده جرير والفرزدق.. يقتفى آثارهم.. ويستخلص كلماتهم.. ويأنس بمعانيهم.. ويتكىء على مبالغاتهم.

فإنـــــي قد حلـــلت بطـــــود عز
وجـــاورت الإمـــام فلـــن أضامـــا
إمامـــاً قد سمـــى شرفـــا ومجـــداً
وحـــاذى الفرقديـــن فلـــن يرامـــأ

..لن نجد فى مثل هذا المدح مزية نفسية تربطه بذاته.. أو صفة شخصية تعرضه فى ثنايا شعره.. إنه مأخذ قوى بقى مأخوذاً به عدد كبير من شعراء نجد الذين عجزت مواهبهم عن الخلوص بهم فعطلتهم عن الإبداع.. ولا أشك أن هذا نتيجة الفَرَقْ الذى تمليه «النفوس الضعيفة» لا العجز فى ملكة الشعر.. إن باستطاعة الشاعر أن يجسد معاناته الذاتية.. دون الارتماء فى أحضان القدامى.. وجرجرة سلماه المزعومة.. واجترارها اجترار السائمة الهزيلة العجفاء.

يقول العقاد فى نقد شوقى «فلو قرأته وحاولت أن تستخرج من ثناياه إنساناً اسمه شوقى يخالف الأناسى الآخرين من أبناء طبقته وجيله لأعياك العثور عليه.. ولكنك قد تجد هنالك خلقا تسميهم ماشئت من الأسماء.. وشوقى واحد من سائر هذه الأسماء.[(١)]

وهذا كلام ينطبق من أم رأسه إلى اخمص قدمه على الشعراء الثلاثة فى نجد.. ولا ينطبق جملة على شوقي.. لأن شوقى شاعر عربى أصيل مبدع لا يشك فى ذلك إلاَّ متحامل يملك آلة النقد وناصية الكلام.. كالعقاد رحمه الله فتحامله على شوقى لايطاق.

إنك بالفعل تبحث عن الشعراء من خلال قصائدهم فلا تظفر بواحد منهم لأنهم يقدون أديم شعرهم من تلك الألوان القديمة دون أن يعملوا أفكارهم..

---

(١) شعراء مصر.. وبيئاتهم فى الجيل الماضى.. ص٣٥٢ ضمن مجموعة أعلام الشعر للعقاد.

أو يتيحوا الفرصة لمواهبهم لمحاولة الإبداع ولو مرة فى الزمن ولا اشك انهم لو حاولوا ذلك لأتوا بالجميل من الشعر لكنهم لم يفعلوا.

ومن تقليده الذى يُوضح أبعاد محافظته.. ويجُسد اتجاهه الكلاسيكى قوله :

تبكـــى علـــى رسم دار دارس بال
قد غيرتـــه سوادى كل هطـــال
دار لسلمـى وقـد كنـا بهـا زمنـا
لم نخش فيهـا عتـاب المبـغض القـال

ويقول فى ثالثه :

اشجـاك بالـدار نوح النـادب الناعـى
فهـاجك الشوق واستدعـى بك الداعـى
فضلت بالـــدار تبكيهــا وتندبهــا
كنائـــح فى فنـون الصنـال سجـاع

وهذه المطالع التقليدية كثيرة فى شعره.. وكثيرة أيضا فى شعر ابن عثيمين.. وتكثر فى شعر ابن بليهد ولا تستولى على كل مطالعه.. ولهذا نجد أن ابن بليهد يريد أن يتنفس الحرية والانعتاق ولو بجزء من رأيتهِ أما زميلاه فليست لديهما تلك الرغبة ولهذا انقطعا للتقليد.. وأخْلصا له بينما سايره ابن بليهد وخرج بعض الشيء.. وهو خروج لا يجعله من المجددين.

الشيء الذى يخالف فيه الشاعر ابن سحمان زميليه.. كونه عالماً فقيهاً.. صَرف جل شعره للدعوة السلفية.. يشرح مبادئها.. وغاياتها.. ويقرر سلفيتها والتزامهابنصوص الشريعة.. ويرد على المغرضين الذين وصموها بالانحراف.. واعتبروها مروقاً من الإسلام.. ويثنى على الفئة المنصورة التى أفرغت نفسها وسلاحها للدفاع عنها.. ويشيد بآثارها.. ويعدد أفضالها.. ويمجد الداعى.. ويثنى على إخلاصه.. ويمدح العلماء من سلالة الداعى الذين تتلمذ عليهم..

وأخذ معارفه فى حلقات العلم عندهم.. ومن أجل ذلك فهو شاعر الدعوة يلتقى مع ابن مشرف الاحسائى على هذا السبيل.. ويلتقى مع علماء الدعوة من سلالة الداعى ومن غيره ممن نظموا الشعر للدفاع عن الدعوة ونشر محاسنها كالأزهرى.. وابن طوق وعدد كثير غيرهم.

لقد تصدى بشعره لأعداء الدعوة من سياسيين.. وعلماء.. وعامة.. وشعراء.. فلم يجد حرجاً من هجاء الحكام المعارضين لمبادىء الدعوة، ونعى على العلماء انحرافهم.. وشنع عليْهم.. ولهب بسوطه ظهور الشعراء.. يرشفهم بهجاء علميٍ.. سياسى مركز.. فممن عرض له الشاعر الكويتى «حسين بن حسن» الذى عاب الدعوة.. ولام أنصارها.. ونقد اتجاهها.. فقال ابن سحمان فى الرد عليه :

ألا ابلغا عنى حسينا رسالة
جواب هجاء أبرزته غلائله

إلى أن قال : —

فعاب علينا نصرنا لذوى الهدى
وزجته نحو المعضلات بلابله
وماذاك إلا أننا بتفضل
علينا من المولى العميم فواضله[1]

كما تعرض للدعوة بعض الأعداء لعزلها عن منهج السنة فانبرى له الشاعر مفتخراً بانتمائه للوهابية التى تتسم بالحنيفية المسلمة.. واصماً الأعداء.. والخصوم بالجهل.. والضلال.. فالدعوة تحكم آيات الله.. وسنة رسوله.. وهذه المبادىء تقطع الخصوم.. وتأمرهم يقول : —

نعم نحن وهابية حنفية
حنيفية نسقى لمن غاظنا المرَّا

---

(١) الديوان ١١٩.

وكـــم من أخـــى جهـــل رمانـــا بجهلـــه
فعـــاد حسيـــراً خاسئـــاً نائـــلاً شرًّا
بمحكـــم آيـــات وسنـــة أحمـــد
نصول علـــى الأعـــداء نأترهـــن أتْـــرا
حنابلـــة كنـــا علـــى نهـــج احمـــد
امـام الهـدى من كان من كفرهـم يبـرأ

وعرض للدعوة وللداعى «أبوبكر الأحسائى».. فصده ابن سحمان صداً علمياً

وشيـخ الهـدى فى نجدنـا أظهـر الهـدى
وحقـق فيهـا الحـق بل طبـق الأفقـا
فزال ظلام الغـيِ عنهـا وقـد زهت
بتوحيـد مولانـا الـذى برأ الِخلقـا

وكل قصائد ابن سحمان لاتخرج فى جملتها عن مدح الحكام المنفذين لمبادىء الدعوة.. والدفاع عن حوزتها.. والرد على الخارجين عليها[1] أو المتعرضين لها.

ومن سمات شعره وأسلوبه العلميِ.. وطابعه الدينى.. وهو لون لايلتقى مع الشعر إلا فى شكلياته الظاهرة.. وقد أشار إليه ابن حسين وهو بصدد الحديث عن الشعراء النجدين : —

«غير أن مثل هذا النمط من النظم لا يمكننا القول بأنه شعر إذ لم تتحقق فيه جوانب التعريف جميعها.. صحيح أنه كلام موزون مقفى.. ولكن ليس هذا هو كل التعريف عند علماء العرب ممن يعتد برأيه»[2] .. والحقيقة أن ابن

(١) راجع ديوانه: عقود الجواهر المنضدة الحسان.
(٢) الأدب الحديث فى نجد ٢٥.

سحمان وإن كان يغلب عليه الأسلوب العلمي.. نجد فى كثير من قصائده بعض اللمسات الفنية القادرة على هز المشاعر.. وتحريك الوجدانات.. إلا أن علمه واشتغاله بالدعوة تحقيقاً.. وتوضيحاً.. وتعليماً.. ودفاعاً.. أضاع تلك اللمسات فخفيت على عدد من الدارسين ومن أبرزهم «ابن حسين».. والدكتور «بكرى الشيخ أمين».. فى الوقت الذى أهمله ابن إدريس كما أهمل زميليه ابن بليهد.. وعبد الله بن خميس.. وهما من عمالقة الشعر فى نجد. ودراسة الشيخ أمين مبرمجه فهى أطروحة دكتوراه وكان يتحتم استكمال جوانب الشاعر الفنية.. يقول.. الدكتور بكرى.. عن الشاعر: «تسلم الراية شاعران.. أخذ الأول.. وهو سليمان بن سحمان جانب المعركة الفكرية الدائرة بين قومه وأعدائه.. وأخذ الثانى وهو ابن عثيمين جانب المعركة السياسية الدائرة رحاها بين عبد العزيز وأعدائه فى أرجاء الجزيرة العربية»(1) .. ونسي الدكتور الدور المماثل الذى قام به الشاعر محمد بن بليهد.. والذى ألف ديواناً كاملاً من الشعر يحكى انتصارات الإمام وحروبه حتى أن عنوان الديوان يشير إلى ذلك إشارة واضحة.. وطابع شعر ابن عثيمين الغالب عليه المدح.. بينما شعر ابن بليهد طابعه المشاركة الفعلية لحركة الملك عبد العزيز السياسية والعسكرية.. وإن كان الشاعران واكبا الحركة وأشادا بها.. وشاركهم فى ذلك ابن سحمان الذى واكب الحركة من جانبها الدينى. ويجب أن نعرف أن الملك عبد العزيز اتخذ لإسترجاع الحكم.. جانبين أو ركنين أساسين:ــ استرجاع الحكم الذى يراه حقاً من حقوقه.. وحقوق أبنائه.. وإقامة دعائم الدين الإسلامى على ضوء الدعوة الإصلاحية السلفية التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وهو لهذا بحاجة إلى من يناصره فى الجانب السياسى العسكرىِ والجانب الدينى الروحى.. وقد كفاه الثلاثة تلك المئونة كفاية تامة مع من لحق بهم من شعراء الحجاز والجنوب والأحساء بعد فتحها فكانت حركة الشعر حركة سياسية.. دينية.. اجتماعية.. تلتزم

(1) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية صفحة ٨٠.

الموضوعية.. وترفض الذاتية حتى قبيل وفاة الملك عبد العزيز. ولعل تناسى ابن بليهد فى بحث «بكرى أمين» مرده لعدم الحصول على الديوان رغم أنه أثبته ضمن قائمة المراجع. ومما امتاز به ابن سحمان طول النفس فى قصائده التى تدور حول العقيدة والدفاع عنها إذ نيفت بعض قصائده على الخمسمائة بيت.. وإذا كنا قد قلنا أن ابن عثيمين.. وابن بليهد يتسمان بطول النفس فإن هذا لايعنى بلوغهم مبلغ ابن سحمان على أن طول النفس عنده لا يربط بين أبياته إلا الوزن والقافية.. وماعدا ذلك فمجموعة من الأغراض المتقاربة.. فمثلاً يتحدث عن حالة نجد قبل الدعوة.. ثم تحول هذه الحالة وتحسن الأوضاع.. ثم يسرد فضائل هذه الدعوة.. ويحث على الألفة والتعاون ويدعو الناس إلى الدخول فى هذه الدعوة لأنها تمثل الإسلام الخالص من الشوائب.. ويحث بعد ذلك على الصلاة.. والزكاة.. والصيام.. ويثنى على الأمراء المناصرين للدعوة.. ويذم الخارجين عليها كل ذلك فى قصيدة واحدة قد لايتجاوز عنوانها كلمة واحدة وهذا يتفق كثيراً مع وصف العقاد لأسلوب زميله طه حسين.. حين عرض لعلاقة العنوان بالكلمة عند الدكتور طه حسين.

وثمة سمة أخرى خرج بها ابن سحمان عن زميليه تلك هى تلاعبه بالألفاظ ومحاولة الإغراب لقصد الأعزاب ولفت النظر.. وهو أسلوب أنجبته لنا عصور التخلف والانحطاط فنقله بعض شعرائنا محتفياً به مستلطفاً له.. كقوله :

أكــتب ككتبــي كمـــا قد كنت أكتبـــه
كتبـا ككتبــي لهــذا الكــتب فى الكــتب
كذاك كنـا فكـن فى الكتب كيـف تكــن
إلا تكــن كيــف كنـــا كنت ذا كأب
سطــر بسطــر كهــذا السطـــر أسطـــره
سطــراً سليمــا سويـــا تسـم فى الـــرتب

حرف بحـــرف علــــى حرف كِأحرفــــــه
واحـــذر من الحيــــف فى حرف بلاسبب[1]

وتلك سخافات توضح تمكن نزعات التقليد فى الطبقة الأولى من شعرائنا النجديين.. وتوضح أيضا اتجاه الشاعر دون زميليه إلى الشعر التعليمى.. إلا أنه ليس تعليميا على شاكلة الألفية.. ونظم المصطلحات.

هؤلاء الشعراء الثلاثة.. ابن عثيمين.. وابن سحمان.. وابن بليهد.. يمثلون الاتجاه الكلاسيكى المتكامل.. الذى لم يجدد فى شكل القصيدة ولافى مضمونها.. ونستثنى بعض قصائد غزلية لابن سحمان جاءت على غرار المخمسات.. أو الرباعيات.. وهى فى نظرى لاتعد تجديداً بالمعنى الصحيح.. كما أنهم لم يجددوا فى الأغراض.. فطرقوا أبواب المدح.. والهجاء.. والرثاء.. والفخر.. والوصف.. والغزل. فكانوا كما كان الأولون حذو القذة بالقذة.

ويعد الثلاثة من المكثرين الذى خلفوا شعرهم فى دواوين معروفة ومطبوعة يتداولها الخاصة من الناس.. ولاأعرف من معاصريهم النجديين من ترك ديواناً من الشعر.

وهم الذين اشتهروا فما غفل عنهم إلا القلة من الدارسين فى الأدب النجدى الحديث أو الأدب السعودى عامة.

وهم الذين امتازوا بخصائص يمكن استجلاؤها بوضوح عند التعرض لشعرهم فإذا بحثت عن الرصانة.. والجزالة.. والعمق.. والعناية بالمحسنات.. فإنك واجدها عند ابن عثيمين.

وإذا راق لك الأسلوب المشبوب والحماس الطائش.. والشعر السياسى الحربى فالتمسه عند ابن بليهد وإن كنت ميالاً إلى الأسلوب العلمِي.. والتعبير

---

(١) الأدب الحديث فى نجد ص ٢٤ وكتاب الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن قاسم وراجع كذلك الديوان.. وكتاب علماء الدعوة.

التقريرِ.. والملاحات.. والنقائض فإنها أكثر وضوحاً وإشراقاً فى شعر ابن سحمان.. والثلاثة يلتقون فى كثير من الخصائص.. ويحفل شعرهم بكثير من المآخذ المتقاربة.. ولهم فى ذلك عذرهم.. وعليهم تبعة إسرافهم فى التقليد.. وقد عرضنا للكثير من ذلك أثناء الحديث عنهم..

المقلـون من المحافظين المقلـدين

لاتخلو الساحة من شعراء يترسمون خطى أولئك الثلاثة.. ويتأسون بهم فى شعرهم فى مختلف الأغراض يلتمسون الشكل. والمضمون.. لكنهم مع كثرتهم لم يتركوا رصيداً يمكن معه أن يشكلوا منهجاً واضحاً متكاملاً.. فشعرهم الذى تناثر فى كتب التاريخ.. والدين.. والسير.. والدراسات لايساوى فى كمه وكيفه ذلك الشعر الذى عرضنا لأصحابه.. وربما كانت مشاغل الحياة.. وقلة ذات اليد وسلطان الشعر النبطى حَائلاً دون اكثارهم.. كما أن الشعر فى تلك الحقبة لم يكن له من الشأن والأهمية مايجعل الشاعر يرابط فى ساحته طائعاً مختاراً..

فعامة الناس أميون لا يقرأون ولايكتبون.. وهمهم فى نهارهم الكدح لتأمين القوت وفى الليل النوم لتوفير الراحة.. واستقبال يوم شاق متعب.. هذا إذا أمنوا واستقروا.. وصرف الله عنهم الغارة.. وحماهم من السلب والنهب. كما أن منهم العلماء الذين صرفوا جهدهم للدراسة والتحصيل.. ثم للتدريس والقضاء والتأليف.. فمن أولئك عبد اللطيف بن حسن.. المعروف فى الأوساط العلميه «بالأزهريِ» لأنه درس فى الأزهر حين إقامته الجبرية هناك.. وماحفظته الكتب من شعره يتسم بالقوة.. والرصانة.. وإن كان يغيب عليه الطابع العلميِ لأثر الثقافة الدينية عليه.. يقول عنه ابن حسين «إلا أننا لم نعثر له من الشعر إلا على القليل.. غير أن هذا النزر على قلته: كاف للدلالة على أن الشيخ قد تأثر برجال الطبقة الأولى من شعراء مصر الذين يحتمل أن يكون قد قرأ لهم»[١]

---

(١) الأدب الحديث فى نجد.

ووصفه الكاتب بطول النفس.. إستناداً إلى طول القصيدتين[1] اللتين ظفر بهما إذ تبلغ الأولى سبعين بيتاً.. والثانية ستين بيتاً.. وليس له سواهما إلا أبيات متفرقة.

عاد الشيخ عبد اللطيف فى النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى لمواصلة جهاده مع من فى نجد من علماء الدعوة.. واستمر على ذلك.. يدرس.. ويفتي.. ويؤلف.. ويكتب الرسائل.. شعراً.. ونثراً إلى أن وافاه الأجل سنه١٢٩٣هـ.

كتب إليه الشاعر عبد العزيز بن طوق قصيدة مطلعها :

رسائـــل شوق دائــم متواتــر
إلـى فرع شمس الديــن بدر المناظــر
سلالــة مجــد من كرام عشائــر
يعيــد بديعــاً من كنــوز المحابــر

وكان الشاعر يشكو فيها وضعه.. ووضع الدين.. وأثر الشيعة الذين أباحوا حمى التوحيد.. ويصور مايمارسونه فى أعيادهم وأيامهم.. ويصف مجالسهم بالكفر.. ورباع العلم بالاندراس.. ويهول من أمر المصاب الذى حل بالإسلام والمسلمين على يد المارقين المنحرفين الذين يحفلون بالبدع وينصرفون عن معين الإسلام ومبادئه القويمة.. فيرد عليه الشيخ الشاعر بقوله :

رسائــل اخــوان الصفــا والعشائــر
أتــتك مقابــل بالمنــى والبشائــر
تذكرنــى أيــام وصل تقــادمت
وعهــداً مضى للطيبيــن الأكابــر

(١) الدرر السنية فى الأجوبة النجدية الجزء السابع صفحة ١٨٧ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.

ليالي كانت للسعود مطالعاً

وطائرها في الدهر أيمن طائر

وكان بها ربع المسرة آهلاً

تمتع في روض من العلم زاهر

وفيها الهداة العارفون بربهم

ذوو العلم والتحقيق أهل البصائر

منابرهم تعلو بها كل سنة

مطهرة أنعم بها من منابر

مناقبهم في كل مصر شهيرة

رسائلهم يغدو بها كل ماهر[1]

والقصيدة طويلة جزلة العبارة مستوفية للموضوع.. وكما أشرت تتسم بالطابع العلمي لكنها أقوى عبارة من قصائد ابن سحمان.. وأكثر تماسكاً.. وأقرب إلى التدرج الموضوعي.. ولعل هذه الخصائص كسبها من دراسته في مصر.. واطلاعه على قصائد بعض الشعراء هناك كما أن الدراسة في الأزهر الشريف لها أثرها الكبير..

ويقول في القصيدة الثانية :

دع عنك ذكر منازل ومغاني

وبدور أنس قد بدت وغواني

وجآذر في روضة يشدو بها

صوت النديم وشادن فتان

لا تصغ للعشاق سمعك إنما

ناديهم بين البرية عاني

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧/١٨٧.

والـــــعشق داء قاتـــــل ودواؤه
فى السنـــة المثلـــى من الأعيـــان[1]

وانت تلمس فى هذه القصيدة عزوفاً عما أخذ به شعراء نجد من التقليد فى المطالع.. كما أنه فى قصيدته السابقة دخل إلى الموضوع مباشرة دون أى مقدمات غزلية أو غيرها.. ولعل تلك من بوادر التجديد فى الشعر النجدى لكننا نجد الثلاثة قد لزموا المطالع.. وقلدوا رغم أنهم عاصروا الشاعر.. أو على الأقل عرفوا نزعاته.. وقد عده ابن حسين من الشعراء العلماء.. وضم إليه زميليه عبد العزيز بن طوق.. وسليمان ابن سحمان.. وحصر أغراضهم فيما يلى : —

١ — الشعر التعليمى.

٢ — المديح والتهانى.. وجعل منه.. مدح العلم.. وبيان شرفه.. وفضيلة العمل.. والتعب فى تحصيله.. ومدح الدعوة.. وماقامت عليه من أساس متين.. ونهج قويم. وكذلك مدح أئمة الدعوة وقادتها المحتسبين الصابرين والثناء عليهم بما بذلوه من نفس ونفيس فى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

٣ — الرثاء.. وهو أقل من سابقيه.

٤ — الغزل.. وقد أطال الحديث عنه[2].. وأشار إلى أنهم قد ربأوا بأنفسهم عن أن تنحط إلى دركه ومأأحسبه منصفاً فى ذلك.

★ ★ ★

(١) المصدر السابق.. وراجع.. الأدب الحديث فى نجد.

(٢) الأدب الحديث فى نجد صفحة ٢٦.

.. وممن يعد من هذه الطبقة.. وهو من متأخرى المعاصرين.. الشيخ ثانى المنصور.. وهو شاعر مقل لا أعرف له ديواناً مطبوعاً.. وكل ماله قطع شعرية تعليمية طبعت فى كتيبات صغيرة.. تسجل بعض الأحداث وهى مع مانشر له بالصحف والمجلات لاتؤهله للمكان الذى بلغه المشهورون.. وله قصائد قومية.. وإسلامية هاجم فيها الإستعمار.. وعدد مثالبه.. وحرض المؤمنين على القتال.. وشارك بها فى مآسى العالم العربى والإسلامى إبان تحركه على كل الجبهات للتحرر.. فعن ثورة الجزائر يقول :

ثورة فى حمـــى الجزائـــــر دوت
تسمـــع الكـــون والوجـــود جهـــاراً
يمـــلأ الخافقيـــن صوت هداهـــا
شارك الليـــل طولـــه والنهـــاراً

ثم يلتفت إلى العالم العربى ليستحثهم.. ويدفعهم لنصرة إخوانهم المجاهدين فى سبيل الله لتحرير أوطانهم.. وأعراضهم :

يابنـــى الضاد أنتمـــوا خيـــر ذخـــر
ان للعـــرب فى الجزائـــــر جارا
فامدوهـــم بعـــون سخـــيٍ
يبـــق فى مقبـــل الزمـــان فخـــاراً

وله قصائد فى مدح آل سعود يشيد فيها بمنجزاتهم.. وأفضالهم.. ومالهم من خير شمل البلاد.. وماقاموا به من مشاريع تنساق وراء بعضها :

لاينـــقضى الـــمشروع الا بعـــده
تبـــدو مشاريـــع زهت شمـــاء

ولاينسى أثر العلم.. وماله من ايجابيات ودور فى تقدم الأمم

بالعلـــم حلّقنـــا الـــى اوج السمـــاء
فتسخـــرت للراحـــة الأجـــواء

والبـــــرق يسرع بالكـــــلام بدقـــــه
كالقــــول فيــــه فصاحـــــة وأداء

.. وكل قصائد ثانى المنصور لا تلمس فيها الروح الشاعرة.. ولاتتجلى لديه مواهب الشاعر الحق الملتزم عن أصالة وعمق.. فهو يفقد التجربة الذاتية التى تجعل من القصيدة قوة تحرك المشاعر.. وتنقل السامع إلى جو المعاناة كذلك يفقد فى كثير من قصائده وحدة الموضوع.. والوحدة العضوية.. فالقصيدة عنده كشكول للموضوعات والأبيات داخل القصيدة تستقل بمعانيها.. وهو بهذا من المقلدين الذين يفقدون الابداع والحيوية داخل إطار التقليد.. ففى قصائده تختفى سماته..

ومن قصائده القومية الوطنية القصيدة التى تعرض فيها للانجليز حين اعتدوا على واحة البريمى قـولـه :

دوِي أقض الخافقيـــــــن وهمهمــــــــا
تصاعــــد أصداه لقارعـــــة السمـــــا
يردده نجـــــــد فصال مجلجـــــــلا
وردده طود الحجـــــاز مترجمــــــا
وفـــى يمـــن والشام اضحـــى مدويــاً
فجاذيـــــه مصر الأبــــاة معظمــــا

إلى ان يقول :

فلا صبـــــر فى غدر الثعـــالب يرتقـــى
فصب الجـــزا فيمـــن أساء واضرمـــا

وهى قصيدة تبدو مهلهلة مفككة.. فيها ألوان من المجازات العتيقة التى تجذر ارتباطه بعصر التخلف.

★ ★ ★

وهناك شعراء لم تتعرض لهم الدراسات يعدون من هذه الطبقة المقلدة.. إلا أنهم مقلون لا تستطيع أن تحكم عليهم من خلال إنتاجهم.. قصروا شعرهم على المناسبات المحلية.. كالحفلات العامة فى المؤسسات والوزارات والمصالح الحكومية.. وحفلات الجامعات.. والمدارس.. وما فى مستواها.. وكل قصائد هذه الفئة تتسم بالآتى:ـــ

١ ـــ النزعة التقليدية فى شكل ومضمون القصيدة وهو تقليد يهبط عن المستوى المقبول.

٢ ـــ وقف الشعر للمناسبات.. وعدم التفاعل مع التجارب الذاتية.. أو الاجتماعية.

٣ ـــ قلة المحصول العلمى والأدبى الأمر الذى أضفى على كثير من القصائد جانباً من الضحالة والركاكة والسطحية.

.. ومن هؤلاء الشعراء الشيخ صالح الناصر الصالح.. وهو من رجال التربية والتعليم التقليديين الذين شكلوا داخل إطار التعليم منهجاً علمياً متميزاً.. ويعتبر أستاذ الشعراء فى القصيم حيث خرج على يديه عشرات بل مئات الكتاب والشعراء الذين أثرت منهم دولة الشعر والأدب فى نجد.. وماله من قصائد لاتجسد ابعاد ثقافته ومعارفه.. وقد نشرت له مجلة المنهل مجموعة من القصائد فى مدح الحكام وأثرهم فى نشر العلم.

وكذلك الشاعر.. عبد الله العبد الرحمن العرفج.. الذى نظم بعض القصائد للترحيب بالبعثات الخارجية العلمية.. وقد نشرت له المنهل بعض القصائد.. كما ضم كتاب.. النهضة الأدبية فى نجد جانباً من قصائده.. ولم أر له فى الفترة الأخيرة أى مجهود.. فى مجال الشعر فمن قصائده قوله.. فى مناسبة مدرسية :

بالقلب أنشد واللسان يعبر
والشعر أليق بالكريم واثمر
واذا احتفلنا محتفين بغيرهم
فلأنت أولى من نجل ونشكر

ولما كانت المناسبة علمية.. وفى حفل مدرسى يستقبل فيه زائر كريم.. فإنه مضطر لأن يتحدث عن العلم وأثره فى تقدم الأمم ورفعتها.. ورفاهية الشعوب وسعادتها :

والعلم يخلق للبلاد سعادة
وينير للشعب الحياة فيبصر
ويصوغ تاريخاً يخلد مجده
ويزيل عنه مايخاف ويحذر

وله فى المراثى قصيدة نظمها حين توفيت صغيرة له.. وقد أخذ عليه الدكتور بكرى أمين أسلوبه فى الرثاء وهو مأخذ غير وجيه.. إذا حكمناه بالنزوع إلى التجدد.. والصبر.. واحتمال المكاره بنفس أبية جلدة.

صبراً جميلا والعزاء جميل
ولكل بدر غيبة وأفول
صبراً لعل الصبر خير وسيلة
يرجى بها عند الإله قبول

ويلتمس التجلد كما التمس أبو ذئيب الهذلى حين قال :

وتجلدى للشامتين أريهم
انى لريب الدهر لا أتزعزع

فهو حين صبر.. إحتسب الأجر عند الله عاد ليثبت قوة نفسه.. وقدرته على الاحتمال والصبر.

ماكـــانت الأيـــام تجهـــل شيمتـــى
كلا ولست أمامهـــــن ذليـــــــلا
قد جربتنـــى فى المواقـــف كلهـــا
فرأت أبياهمـــــــه التذليـــــــل
ورأت ابيـــاً لا يليـــن قناتـــه
يأسٌ ولا خطب لديـــه يهـــول[1]

ومنهم كذلك الشاعر عبد الرحمن بن عبد الله العبد الكريم.. وهو شاعر مقل.. أوقل منقطع عن نظم الشعر منذ أمد ليس بالقليل.. والقصائد التى حفظتها لنا بعض الكتب من شعره لا تخرجه من دائرة المقلدين فى الشكل والمضمون.

له قصيدة يناشد فيها شباب الإسلام حماية العقيدة من تهديد الغادرين.. وعبث العابثين.. وفى هذه القصيدة يبدو الإيقاع الجميل.. والقدرة على التأليف بين الكلمات وهدوء القافية.. وتلك مميزات قل أن تتوفر فى كثير من قصائد معاصريه فكثيراً ماتلمس التنافر.. وتحس بقلق القافية واضطرابها.. وهذه الفوارق تميز بين الموهبة.. والصنعة.. يقول فى قصيدته التى وجهها للشباب المسلم وناشدهم فيها التحرك لرفعة النفس فى إطار من الإسلام الحق : —

أرى الآمال عن كثب أراهـــــــا
وبارقهـــــا تلألأ فى دجاهـــــا
حيـــاض المجـــد أوفرهـــا ذووهـــا
فمـــا لشبابنـــا عنهـــا تلاهـــى

ويقول عن الحرب.. ودور الشباب فيها : —

---

(١) النهضة الأدبية فى نجد: تأليف حسن الشنقيطى.. وراجع الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية.

نقـــع الجحافـــل للهوجـــاء ينصاع
والعـــيِ من غارة الأبطـــال يلتـــاع
وللشجـــاع ميادي ـــن ممهـــدة
تعـــدو إليهـــا جيادهـــن أطـــواع
والكـر ــ لا الفـر ــ والإقـدام عادتـه
والسيـــف فوق أعالـــى الهـــام لمـــاع

وله مدائح كثيرة.. من ذلك قوله :

يحـــل الـــرضى أنـــى تحـــل ويقْـــرَب
وتلحـــظك الأنظـــار من حيث تذهب
ويحـــرسك البـــارى بعيـــن جلالـــه
وتصغـــى لك الأسمـــاع إن قمت تخـــطب[1]

وفى كتاب «عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث» لإبراهيم بن صالح العيس قصائد لشعراء نجديين يمثلون هذا الجانب المحافظ.. من أبرزهم أحمد بن عيسى الذى تعرض للخلاف القائم بين أولاد الأمير فيصل بن تركى وتفرق كلمتهم فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى.. يقول فيها :

متـــى ينجلـــى هذا الدجـــى والدياجـــر
متـــى ينتـــهض للحـــق منكـــم عساكـــر
متـــى تنتهـــوا عن غمـــرة النـــوم والـــردى
وينـــهض لنصر الديـــن منكـــم أكابـــر

وكذلك الشيخ صالح بن عبد الله البسام.. الذى قال يرثى ابن مانع : ــ

أيا قلب دع تذكار سعدى فمـــا يجـــدى
وأيـــام أنس سالفـــات بذى الرنـــد

(١) النهضه الأدبية فى نجد.

فلـــيس بذى الدنيـــا مقـــام ترومـــه
ولكنهـــا كالحلـــم تمضى علـــى البعـــد

إلى أن قـال : ـــ

سقـــــى الله قبـــــراً قد حواه ثرى له
سحـــائب فضل فاضح البـــرق والرعـــد

واستمر يعدد فضائله كما هى طريقة الشعراء فى مراثيهم.. فهو بحر العلوم وقدوة العباد وهو شيخ نصوح.. إلى أن قال : ـــ

فياعيـــن لا تبقـــى دموعـــاً ذخيـــرة
فمـــا بعـــده أرجـــو شبيهـــا له عنـــدى[1]

هذا الاتجاه الكلاسيكى تختلف نوعيته.. ونمطه من شاعر لآخر.. فالموهبة تحكمه إلى حد كبير.. وتجعل من الشاعر مقلداً جامداً متهالكاً فى التقليد.. ومحافظاً مقلداً مع شيء من الاستقلالية.

ومن الشعراء الذين صرفتهم مشاغل الحياة عن الشعر الأستاذ سعد بن إبراهيم أبومعطى[2] .. وهو شاعر كما يقول بن ادريس «مقل» وغالب شعره نظمه فى سنيِ دراسته بكلية الشريعة.. وتبدو فى شعره المحافظة.. والوحدة العضوية.. والموضوعية.. وعنده نزعة تشاؤمية تبدو فى بعض لمساته.. وشعره يكاد يخلو من التجارب الذاتية إذا استثنيا قصيدة « حياتى».. وبعض أبيات موزعة فى بعض قصائده يقول فى مناسبة إقامة نادٍ ادبى لإحياء الشعر والأدب:

ياشبـــاب الـــعصر مرحـــى هذه
بشريـــات النـــور والعـــيش السعيـــد

---

(١) عقد الدر فيما وقع فى نجد من الحوادث.

(٢) من مواليد ١٣٤٨هـ درس فى شقراء.. وأكمل دراسته الجامعية فى كلية الشريعة عام٧٣ وعمل فى الوظائف الحكومية والملحقيات وهو الآن مدير عام التعليم الإبتدائى والمتوسط بوزارة المعارف: راجع تاريخ الشعر الحديث. وشعراء نجد المعاصرون.

ذا عكـــــاظ رجـــــعت أيامـــــه
فسمعنـــــا كل منطيـــــق مجيـــــد
يرسل اللحـــــن شجيـــــاً آسراً
يـــبعث الإحساس فى القـــلب البليـــد
ويــــــبث الشوق فى أعماقنـــــا
فترانـــــا قد نهضنـــــا كالأسود

ثم يلتفت التفاتة لطيفة يذكر فيها الشباب إلى الماضى.. ويقرر بأن التغنى بالماضى لا يفيد :

يابنـــــى قومـــــى أحييكـــــم ولا
أكتـــم الـــنصح فمـــا يجـــدى القعـــود
ليس يجدينـــا التغنـــــى بالـــــذى
قد أضعنـــــاه من المجـــد التليـــد
ليس يجدينـــا سوى مانبتنـــــى
من معـــال راسيـــات ونشيـــد
فابتنـــوا للعلـــم صرحـــاً عاليـــاً
ركنـــه بالخلـــق العالـــى مشيـــد
ثم سيـــروا قدمـــاً نحـــو العـــلا
لن ينـــال المجـــد اقـــوام رقـــود

ويقول فى قصيدة الربيع :

لله روض تغنـــــى طيـــره طربـــــاً
كأنمـــا أنـــزلت فى ساحـــه سور
فهب بلبلـــه الصداح منطلقـــــا
يشدو فيسهب أحيانـــا ويخـــتصر

فكـــان من فيـــه من طيـــر ومـــــن ملأ
صرعـــى غرام بخمـــر الـــحسن قد سكـــروا
وللجـــــــداول أنغـــــــام مرفرفـــــــــة
طهـــر من الفـــن لم يعلـــق به وضر

وختم القصيدة بقوله : ـــ

إنـــــــى أحيي شباب الأرض مبتسمـــــــــاً
كأنمـــــا هو من سحـــر الـــرؤى صور
كأن بيـــــن الروابـــــى من خمائلـــــه
حدائـــق الأمـــل المـــنشود تزدهـــــر

.. من الشعراء المحافظين المقلين الأستاذ الشاعر عبد الله بن إبراهيم الجلهم(١) .. وقصائده على قلتها تتسم بطابع تقليديِ متين.. ومن قصائده التى تحس فيها نغمة السينية لشاعر العربية الكبير «أبوعبادة البحترى»

صـغت من فيلـــق المشاعـــــر جرسى
لأبث الحزيـــــــــــــن من فيض حسى
استـــــدر الزمــــــان ومضة نور
واخـــــط الشعـــــــور فى كل طرس
ثم آتـــــى وقـــــد بلـــوت حياتـــــى
وكشفت القنــــــــــــاع عن يوم نحس
كلمـــــا لفنــــــى الدجـــــى برداه
قلت ياليــــــل: هل بصبـــــــحك أنسِ

(١) له دراسة.. وترجمة فى تاريخ الشعر الحديث.. وشعراء نجد المعاصرون.. وهو من مواليد ١٣٥٠ هـ بمدينة عنيزة ومن خريجى كلية اللغة العربية وأحد الدارسين بقسم الدراسات العليا فى الأزهر.. ومن كبار موظفى الشئون الإجتماعيه بوزارة العمل.. خدم فى حقل التعليم فترة من الزمن.

ويتخذ الشاعر اتجاها جديداً انداحت دائرته لدى العديد من شعراء الشباب.. وهو التشاؤم والضيق والبرم بالحياة وهو ضيق تمليه النظرة المفلسفة للحياة.. ويعد هذا من معطيات الاتجاه الرومانتيكى .. لكن الشاعر وان كان يلتقى فى هذه الخاصية مع الرومانتيكيين إلا أنه لا يعد منهم.. لأن خصائصهم لا تتوفر لديه.. ولهذا نعده بدون تحفظ من الشعراء الكلاسيكيين المقلين.. والشاعر من أولئك الذين تحركهم المناسبات.. مثلما تحركهم العوامل الوجدانية الذاتية..

ومن قصائده المتشائمة :

قلت يانفس ليس للبؤس مهرب
عز من ذى الحياة للمرء مطلب

ثم يعلل نفسه قائلاً :

هذه سنة الحياة فلولا
غيهب فى الوجود مالاح كوكب

وللشاعر فى فنه نقلات إبداعية.. ففى كل قصيدة تأتى فى أثر أخرى تعطى مفهوماً تصورياً ينم عن موهبة تتطلب الصقل والاستمرار.

وشاعر معاصر هو الشاعر القرعاوى[1] .. من الفئة المقلة.. واتجاهه كلاسيكى.. وله تجارب ذاتية واجتماعية.. يقول على لسان رجل أعمى:

حدثونى عن البها والضياء
ياصحابى وعن جمال السماء
وصفوا لى تنقل البدر فيها
وبصيص النجوم ذات البهاء

---

(١) له دراسة.. وترجمة فى تاريخ الشعر الحديث.. وفى «شعراء نجد المعاصرون». ومن مواليد ١٣٥٤.. درس فى الحجاز وفى جامعات القاهرة والإسكندرية..

واسمعونـــــى للشمس وصفــــا جميـــــلاً

كسناهــــا الدفيـــق يحيـــــيِ رجائـــــى

أما الشاعر الشيخ محمد المسيطير.. فقد وقفت شاعريته المتدفقة يوم فرغ للقضاء بعد تخرجه من كلية الشريعة ويعد من شعراء المناسبات.. وهو ينفض عن نفسه عوالق التشاؤم ويناشد قلبه الابتسام وتناسيِ الوجوه الواجمة والذكريات المؤلمة.

تبسم ولا تبتئس فالحياة صروف تمر وتأتـى أخر

ولهذا الاتجاه المتفائل يختلف كثيراً مع الشعراء الشباب الذين اتشحوا بوشاح قاتم مرعب.. يقول عنه الأستاذ ابن ادريس «شاعر مقل.. وانفعاله النفسانى خاضع للمناسبات.. وهو من الشعراء الذين كسلوا عن تنمية مواهبهم الشعرية وتغذية ملكاتهم بما ينعشها ويصقلها.. ولعل توليه منصب القضاء لمدة عام كامل هو الذى حكم على شاعريته بالسجن لمدة مجهولة الأمد عسى ألا تطول»[(١)] .. ويعده الأستاذ أحمد قبش من شعراء التيار الواقعى[(٢)].. ومن قصائده التى يحث فيها الشباب على العمل للبناء.. والتعمير.. والتقدم قوله :

ياأنت إنــــــا أمــــــــة

غرقت بأهـــــوال الوجــــــــود

ورنت الــــــى مستقبــــــــل

سامــــى المقـــاصد والنجــــود

وهنـــــا شبـــــاب حائــــــر

واهـــيِ العزائـــم والصمــــود

يبكـــى علـــى المـــاضى ولا

يدع التوانـــــيِ والجمــــود

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ٢٥٨.

(٢) تاريخ الشعرالحديث ٤٧٧.

لكأنمـــــا هو حالــــــم
أن البكــــا يدنـــى البعيـــــد
أو اننـــا نسمـــــو وتسعـــــد
نا أفاعيــــــل الجـــــــدود
هيهـــــات يرجـــــع مامضى
كلا ولا فيـــــــــه نسود

وفى قصائده لا تجد وحدة موضوعية دقيقة.. فهو يربط بين التحية.. والاستنهاض.. وذكر المسيء.. والمفرح فى آن واحد.. لكنه يتوخى ترابطها.. ولو من طرف بعيد..

أما الدكتور.. إبراهيم العواجى.. فهو شاعر من الكلاسيكين المقلين.. عده الأستاذ قبش[1] من شعراء الواقعيَّة.. وقال عنه ابن ادريس[2]: «إن بوادر الشاعرية فيه تبشـر بمستقبل شعرى متفتح.. وموهبته طيبة غير أنها تحتاج منه إلى تركيز.. وربط متسادق».. وهذا القول فات أوانه لأنه يقوم على فترة الدراسة الثانوية.. أما الآن وقد عاد الدكتور من جامعات الغرب.. فإن شيئاً جديداً ترقبه الأوساط الأدبية.. بيد أننا حتى الآن لم نشهد شيئاً من التجديد وهو من الشعراء الذين يحاربون التشائم.. وأسْتطيع هنا أن اخلص إلى أن شعراء الرس.. فى القصيم يميلون إلى التفاؤل.. فى الوقت الذى نجد فيه شعراء «عنيزه» فى القصيم أيضاً يميلون إلى التشاؤم والبرم والضيق.. وهى ظاهرة لا نستطيع تعليلها.. كما لا نستطيع تعليل وجود أكثر شعراء نجد من مدينة عنيزة.. فهى بحق تفوق مدن نجد وقراها.

ومن قصائد الدكتور العواجى قصيدة صدى الحقيقه :

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ٢٧٩ من مواليد ١٣٥٦هـ ودرس الاقتصاد وحصل على الدكتوراه من أمريكا.

(٢) تاريخ الشعر الحديث ٤٧٣.

أيهـــا الناعقـــون بالشؤم لغــــواً
ونـــداء الرجـــاء بالأفـــق يعلـــو
أيهـــا السابحـــون فى ضحـــل الأمس
اى امس ومـــوكب الفجـــر يدنـــو
انجلـــى الليـــل فالحيـــاة ضيـــاء
وسمـــاء الوجـــود بالحـــق تزهـــو
كل نهـــج يحيـــد عن سنـــة الدهـــر
لزامـــاً ضيـــاؤه سوف يخبـــو
لم تجـــانب شرائـــع الكـــون نفس
تبتغـــى المجـــد والعدالـــة ترجـــو
ويـــل عبـــد الضلال من لهب الاعصا
ر فموعـــد الأخـــذ بالثـــأر يدنـــو[1]

وله قصيدة يناجى فيها وطنه.. وتبدو من خلالها إحساسات جياشة.

منـذ الطفولـة شع فى نفسى ضيـــاك
وألـفت أن أبقـى سعيـداً فى ربـــاك
سأذيب نفسى كى أشيـــد من علاك
حتـى أرى التاريخ.. يقبس من سنـاك

.. وهو يلتقى مع ابن بلده «المسيطير» فى التفاؤل ويتباينان فى الوحدة الموضوعية.. فنجد العواجى أكثر التزاماً بهذه الوحدة.. وتدرجه الفكرى أكثر ترابطاً فهو يسوف الفِكر فى مواءمة وتأليف ممتاز.. على أننا لانستطيع أن نحكم على الشاعرين من خلال مابين أيدينا.. إذ أن ماجادت به شاعرية كل منهما تمر عليه أكثر من عشرين عام تقريباً وقطعاً فى خلال هذا المدى أشواطاً فكرية وعلمية.. وعملية لابد أن يكون لها أثر بعيد عليهما.

---

(١) شعراء نجد المعاصرون.

ومن الشعراء المحافظين الملتزمين الشيخ عبد الله المسعرى.. رئيس ديوان المظالم بالمملكة العربية السعودية.. والمسعرى من الشعراء الكلاسيكيين الذين يتسم شعرهم بالعمق.. والأصالة.. لكنه مقل.. ولهذا لم يتعرض له أحد بالدراسة ممن درسوا الشعر فى نجد.. أو فى السعودية.. أو فى العالم العربى.. وكان لحادث وفاة زوجته أثر انقلاب سيارة يقودها أكبر الأثر فى تفجير شاعريته بقصائد رثاء عميقة الأسى والحزن.

فمن ذلك قولـه : ـــ

أقــــول لنــــفسى وهـــــى نضو حسيــــرة
ألا فارعــــوىِ عمـــــا يسىء ويـــــغضب
هديت كفــى يانــفسى بالمــــوت واعظــــاً
لمـــن كان فى دنيـــاه يلهـــو ويلـــعب
وصبـــراً جميــــلا فى المكـــــاره إنــــه
سبيـــل لمـــن يرجـــو الثـــواب ويـــرغب

ويتخذ جانب التعليل باستعراض المصائب الأخرى التى منيى بها كثير من الناس ليخفف المصاب على نفسه..

فما أنا بدع من بنى النــاس إذ مضت
كما قد مضى الأخيار من قبـل ـــ زينب

ثم يفضى إلى المرثى على طريقة القدامى يعدد محاسنها :

نعـــم زيـــنب ذات الشمائـــل إنهـــا
الـــى الخيــر تسعـــى جهدهـــا وتـــرغب
تراهــــا لدى الاحسان يفتــــر ثغرهـــا
حبــــوراً بمـــا تسدى تسر وتطــــرب
ولـــم ترض الا المكرمـــات ارتداءهــــا
وسفــــاف امــــر عندهــــا يتجــــنب

فلا غرو إن أحبتهـــا ومدحتهـــا
كريـــم السجايـــا للنفـــوس محـــبب

ويقول فى قصيدة أخرى وهى لاتخرج عن إطار المراثى القديمة.. تهويل المصاب.. وتهويل أثره على النفس.. وذكر محاسن الفقيد.. وذم الدنيا من بعده.. لكن رغم ذلك تحس أنه ينقلك الى جو القصيدة المحزن لأنه ينطلق من تجربة ذاتية مؤلمة..

أرى الدمـع منـى ساخنـا قد تحـدراً
بكـاءً علـى صفـو مضى وتكـدراً
وهـز كيانـى ما وهـى من مصيبـة
ومستنـى البـأسا وقـد كنت اصبـرا
ولـو انهـا تفـدى فديت بكـل ما
غلا وعـلا ممايـاع ويشتـرى
وبالنـفس نفس دونهـا وحميتهـا
ولـم أك فى ذا الأفتـدا متأخـرا
ومـا يدرك المـرء المنـى غيـر انـه
بفطرتـه يسعـى له لو تعـذرا
فيـا نفس صبـراً انمـا الـرزء فادح
ولـيس أرى لى غيـر أن اتصبـرا

ويعـود لها بالدعـاء :

ويـارب بوءهـا الخلـود مع الـرضا
لنحمـدك اللهـم دومـاً ونشكـراً[1]

وله قصائد أخرى خلاف المراثى.. كقصيدته التى يناجى فيها جبال اليمامة.. وهو فى رحلته بين اليمامة والحجاز يقـول فيـها :

(١) مجلة المنهل الجزء الثامن سنة ٣٧ شعبان ٩١.

أيـــــاشم اليمامــــــة خبرينـــــا
بمـــــا شاهدتــــه عبــــر السنينـــا

بمـــــا شاهـــــدت من خيــــر وشر
وجيــــل غابــــر في الأولينـــــا

أيـــــاشم اليمامــــة لم تشيبــــى
وشيـــــبت الـــــعصور الآخرينـــــا[1]

تلك طبقه.. انطلقت من حيز التقليد المتين.. كما شهدنا عند الثلاثة الذين أطلنا الحديث عنهم.. وماقدرت على تخطى التقليد إلى التجديد.. فبقيت على فترة من الشعر.. وعذرها أنها هجرت الشعر.. وشغلت عنه بأى عارض من عوارض الحياة.. وبعض الشعراء من هذه الفئة لم يوفر لنفسه المكاسب العلمية.. والفكرية التى تمكن من الابداع والصقل. فجاء شعرها أقل من المستوى المأمول.. كما بدت فى البعض مظاهر التفكك.. والركاكة.. والضحالة.. وانعدام الإبداع.. انهم شعراء مقلدون بدت رؤوسهم فى فترة متقدمة من حياتهم.. كان العلم فيها ضئيلاً.. وكان الشعر فيها منهكاً.. متعباً خائراً.. وعاشوا هذه الفترة.. ثم أستحوذ على أكثرهم النسيان فغيبهم عن الأنظار وصرفهم عن الشعر بعد أن تركوا فى دنياه بعض قصائد لا تكفى لدراستهم وعسى ان يعودوا إليه فى المستقبل. وهذه الفئة يمكن أن تمثل طبقتين.. طبقة نفضت يدها من الشعر دون أن تحقق فيه شيئاً يستحق الذكر.. وأخرى مقلة لكنها لازالت على مدرجة الشعر.. ويمكن أن تحلق فى آفاقه متى فرغت له وصرفت إليه وجهها.. كالجلهم.. والعواجى.. والمسيطير.. والقرعاوى.. وأبو معطى..

فعند هؤلاء بعض ومضات التجديد.. لكنه لايخرجهم من حيز المحافظة فغالب شعرهم ملتزم تستفزه المناسبات فيخبو مع ذهابها.

(١) مجلة المنهل.

بعد هذا يمكن أن ندرس بعض الشعراء الممسكين بطرفى التقليد والتجديد.. فهم مجددون داخل إطار المحافظة.. ولهذا فهم ألصقُ بمدرسة شوقى.. وحافظ.. وصبرى.. والجارم.. لهم قصائد فيها روعة.. وإبداع.. وهى فى جملتها لاتخرج عن إطار الشعر العربى القديم.. يمثل هذا الاتجاه شعراء كثيرون.. منهم عبد الله بن خميس.. وعثمان بن سيار.. وحمد الحجى... وعبد الكريم الجهيمان .. وعبد الله الفيصل فى بعض قصائده.. إلا أن اتجاهه الرومانتيكى جعله يحتفظ بزعامته لهذا الاتجاه.. أما خالد الفرج فإننى لا أرى إدراجه ضمن شعراء نجد لكون أصله من نجد لأنه ولد.. ودرس.. وعمل.. ومات خارج نجد..

رائد هذا الاتجاه الشاعر الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس [1].. وهو شاعر محافظ.. قال عنه الأستاذ ابن حسين «والأستاذ عبد الله شاعر فحل لا يترك مناسبة من المناسبات الوطنية.. والاصلاحية إلا ويسجلها بقصيدة من شعره» ويذكرنا بديباجته.. وجزالته.. وأصالته.. واعزابه بشعر الشاعر المصرى محمود سامى الباروديِ وهو من الشعراء الملتزمين فى المحافظة على أصالة اللفظ.. حتى أنه لم يكتف بجلائها فى اتجاهه الشعرى فراح ينادى بها فى قصائده.. وهو يحارب الشعر المرسل.. ولا يرى فيه غناء .. ولا جدوى. فمن ذلك قوله : ـــ

ظلـــــمت الخليـــــــل وأوزانـــــــــه
ونـــــازعت فى الشعـــــــر حسانـــــــه

---

(١) راجع الأدب الحديث فى نجد.. والنهضة الأدبية فى نجد.. وعدد المنهل الخاص بالأدباء السعوديين.. والشاعر من مواليد ١٣٣٩ هـ بالملقى بالدرعية «درس فى دار التوحيد فكلية الشريعة بمكة.. وتخرج عام ٧٣.. وتقلب فى عدة مناصب حكومية لم يطبع ديوان شعره رغم كثرة قصائده. وله مؤلفات متنوعة الأغراض.

وجـــــئت بهـــــا كرداء الفقيـــــد
شكـــــولاً يؤلـــــف ألوانـــــه

وشعره رصين.. عميق الدلالة والأصالة.. والاشراق.. يختار من الكلمات ما يعطى أوسع المعانى.. وماله رنة وايقاع يتفق ومطالب التجربة.. ورغم أن تجاربه الشعرية يغلب عليها شعر المناسبات إلا أن عنايته بالسبك والحبك.. وغزارة المادة كست أغلب قصائده روعة وحسناً.. ولهذا فهو محافظ يتجلى فى محافظته نزعة الإستقلال يقول فى قصيدته «الى الجندى»:ـــ

شرفـــــى فى مدفـــــع اسطـــــو به
أو علـــــى قاصفـــــة تمـــــرح بى
شرفـــــى ماعشت أنـــــى مسلـــــم
نسبـــــي هذا وهـــــذا مذهبـــــى

وهو إلى جانب تأثره بالشعر المصريِ المعاصر.. نجده كذلك متأثراً بكثير من الشعراء القدامى.. وخاصة شعراء العصر العباسى.. كقولـه : ـــ

يا أباتمـــــام قلهـــــا للأدلـــــى
أشبعونـــــا بكـــــلام مسهب
ليس مثـــــل السيـــــف فى إنبائـــــه
فخـــــذ بالسيـــــف لا بالكـــــتب

ويفضى الحديث إلى مأساة فلسطين.. والقدس التى تهم العالم الاسلامى لقداستها.. وتهم العالم العربى والإسلامى لعروبتها.. ويسير فيها على نسق بائية ابى تمام المشهورة فى فتح عمورية.

سائلـــــى الأقصى فكـــــم عاتـــــق
لحنهـــــا ياويلتـــــى ياحربـــــى

وهو بهذا يقرن بين صيحة المرأه للمعتصم الخليفة العباسى.. وصيحات النساء المسلمات فى فلسطين المحتلة لقادة العالم العربى الإسلامى وزعمائه

ألهيت من وجهها مجهشة
عجبي من ذل قومي عجبي
عجبي من أمة قد انجبت
خيرة الدنيا وفخر الحقب
أسلمت من مجدها ما اسلمت
وتمطت في يباب مجدب
ومضى تاريخها ينذرها
أنت في الأموات ان لم تثبي

بيد أن نزعته الفكرية والأدبية.. ونشاطاته فى هذا المجال طغت على شاعريته.. فهو ينظر إليه كأديب.. مثله فى ذلك مثل الرافعى لا يعرف إلا كاتباً مع أنه شاعر مجيد.. ومثله أيضاً مثل العقاد لا يعرف إلا مناضلا فى دروب الأدب والحياة.. وهو من أبرز شعراء مصر.. وصاحب مدرسة فى الشعر.. فالناحية الأدبية طغت على شاعريته.. كما طغت على شاعرية أولئك.

ولهذا يعد الخميس من رواد الأدب السعوديِ وكتابه البارزين الذين يتصفون بالأصالة والعمق.. وهو أحد الذين فرغوا لخدمة الشعر والأدب.. وله مؤلفات ودراسات فى مختلف فنون الأدب مطبوعة ومتداولة منها :

١) الأدب الشعبى فى جزيرةالعرب :وهى دراسة تحليلية فنيه أرخ فيها للشعر الشعبى ولأغراضه ولأوجه الشبه[1] بينه وبين الشعر العربى.. وعرض لكثير من شعرائه.. ولأثره فى الأوساط النجدية.

٢) شهر فى دمشق : من أدب الرحلات.. يتسم بطابع الرصد للأوضاع والحياة بكافة وجوهها.

٣) المجاز بين اليمامة والحجاز : المجاز.. من المجاوزة.. دون فيه أسماء

المدن والقرى والجبال والأودية والقبائل ومساكنها.. وأسماء الصحارى.. والكثبان التى يمر بها المسافر من الرياض إلى البلاد المقدسة ويربط الحاضر بالماضى بأسلوب العالم المتخصص.

٤) راشـد الخلاوى : دراسة تحليلية للشاعر الشعبي راشد الخلاوى.

ـ وله إلى جانب ذلك كتاب تحت الطبع عن الشوارد فى الشعر.. وديوان شعر مخطوط ونشاطات أخرى متعددة.. فى مجال الصحافة والأدب.. فقد كان من كتاب الصحافة البارزين.. ومنشىء مجلة الجزيرة الأدبية.

هذا وقد درسه الطالب.. حمد المنصور دراسة منهجية.. أكاديمية.. وقدم هذه الدراسة لقسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر.. وتقع الدراسة فى مائتى صفحة.. استهلها بمقدمة موجزة عن الأدب فى نجد.. على أن الأستاذ عبد الله بن ادريس.. لم يدرسه ضمن شعراء نجد.. وتبعاً لذلك لم يدرسه الكاتب السورى.. أحمد قبش.. فى كتابه تاريخ الشعر الحديث.. وقد أفرد له الأستاذ / محمد بن سعد الحسين ترجمة.. وقصيدة من قصائده التى سقنا طرفاً منها.

وسمات الشاعر الأسلوبية.. تنحصر.. بقوة السبك.. وسلامة اللغة.. وانتقاء الكلمات ذات الرنة.. وفى قصائده القديمة تنعدم الوحدة الموضوعية وقد ألمح الذكتور الخفاجى إلى أنه يمثل اتجاه البارودى فى الجزالة. وهو من الشعراء الذين يشاركون فى العديد من المناسبات..

..وشاعر.. آخر يعد من الرواد.. هو الشاعر عبد الكريم الجهيمان[1] .. أديب لامع.. وكاتب يتسم بالواقعية الاجتماعية ومؤلف يهتم بالتراث الشعبى واللغة العامية.. ومالها من معارف.. كالأمثال الشعبية فى جزيرة العرب فى ثلاثة مجلدات والأساطير الشعبية.. وكتبه الأخرى تضم كلماته التى نشرت فى الصحف فى فترات متقاربة أما شعره من حيث الشكل.. والنسق.. ومن حيث الكلمة وموقعها.. ومن حيث التسلسل الفكريِ والموضوعى فهو ألصق بالشعر العربى القديم.. أما من حيث مادته.. وموضوعه فينتمى إلى الأدب الحديث ومعارفه.. الأمر الذى دعى ابن ادريس إلى القول: .. من الشعراء الذين انتقلوا بالشعر النجدى من العهد الكلاسيكى الميت إلى الطور الرومانتيكى.. وكان لابد والحالة هذه أن يحفل شعره بصور مزدوجة ذات سمات مختلفة المعالم[2].. يصدر بهذا الحكم من واقع الشعر أبان تفتح اكمام الشعراء النجديين فى بواكير النهضة المباركة الحديثة.. التى صحت على دويها نجد فى أعقاب سبات عميق.. ورقدة متمهلة.. وحين ننظر إليه من خلال واقع النهضة الآن فى نجد، نجد أنه مسرف فى هذا الحكم.. فشاعرية الجهيمان ليست من القوة والإنتشار والتجديد بحيث تحمل كل هذه السمات.. وتترك كل هذه الآثار.. ان مثل هذا يمكن أن يضاف إلى سعد البواردي الذى استطاع أن يبدع فى كل حقول الشعر.. وتمكن من الوقوف على مدرج كل مدرسة يمثل مذهبها تمثيلاًبديعاً منظماً.. لا أقول هذا للحط من قدر الشاعر.. أو للنيل من

---

(١) من مواليد: ١٣٣٣هـ تلقى دراسته بمكة المكرمة.. وعمل فى مختلف الوظائف التعليمية.. والكتابية.. أنشاء جريدة أخبار الظهران وساهم فى جريدة «القصيم» ومجلة «اليمامة» صدر له عدة كتب..«أين الطريق» مقالات اجتماعية ١٩٦٣م. «آراء فرد من الشعب» مقالات اجتماعية قصيرة ١٩٦٣م «لهيب الصراحة» «دخان ولهب» «من أساطيرنا الشعبية» صدر عام ٦٧ «الأمثال الشعبية فى جزيرة العرب» ثلاثة أجزاء وله مخطوطات فى طريق الطبع.

(٢) شعراء نجد المعاصرون ١٦٩.

شاعريته.. فهو شاعر لايشك فى ذلك أحد وشعره رصين ومتين.. وقادر على البقاء.. وقد حدد إبن ادريس تلك العوامل التى اكتنفت شعره.. فحصرها بين العقل والعاطفه.. يقول فى ذلك «منها مايشد الشاعرالى الوراء بوشائح متينة من حيث تغلب العقل فيه على العاطفة شأن الاتجاه الكلاسيكى.. أو النظرية التعليمية.. ومنها ماينِد به إلى عالم الخيال المسحور.. ولكنه ليس خيالاً رومانتيكياً مطلقاً فكثيراً ماكان يرتطم بجدران الكلاسيكية ذلك الخيال الذى لم ينفلت من ربقة النظرية التعليمية فى الشعر بعد».. وقد عده أحمد قبش من شعراء المذهب الرومانطيقى.. تمشياً مع ابن ادريس الذى نقله عنه.(١) وعده ابن حسين من شعراء النهضة الحديثة ولم يدرسه.(٢)

تتسم معالجاته الموضوعية بعزة النفس.. والترفع عن كل مسف.. والنظر إلى الحياة بمنظار الجد تارة والتشاؤم تارة أخرى.

واستلهام الشمم من كل شامخ.. ورفيع.. لقد وقف يتحدث عن النخلة.. فضمنها نظرته الى الحياة.. وأسلوبه فى معاملة الآخرين.. شاهد هذه النخلة فى إيطاليا.. كما شاهدها صقر قريش فى رياض الأندلس.. وتحدث إليها الداخل حديث الغريب الذى ذكرته بوطنه ومنيته.. وتحدث إليها الجهيمان حديث الغريب لكنه حملها لوناً من مبادئه وأسلوبه العملي فى الحياة.. فكأن الجهيمان وقد أخذته الرمزية الاجتماعية عن كل مفاجأة عاطفية.. بينما بعدت تلك النظرة عن عبد الرحمن الداخل.

يقـول : ــ

رأيتهـــا تذكـــرت الطلـــح والبانـــا
وكـــان بى شجـــن زادتـــه أشجانـــا

(١) تاريخ الشعر الحديث ٢١٧.
(٢) الأدب الحديث فى نجد ٩٨.

أنست لمـــا رأت عينـــاى طلعتهـــا
وذكرتنـــى إخوانـــاً وأوطانـــا

بعد هذا يتجه إلى معطياتها المعنوية.. ومن هنا تبدو نظرات الجهيمان واسلوبه فى الحياة :

حازت بمظهرهـــا حبـــى وأورثنـــى
قوامهـــا اللـــدن أشواقـــاً وتحنانـــا
سمت بهامتهـــا عزاً ومكرمـــة
عن الدنايـــا وعمـــا عاب أوشان
فأعجبتنـــى بمـــا تبديـــه من شمـــم
إنـــى احب عزيـــز النـــفس ماكانـــا

انك تلمس النعرة العربية الجافة الغليظة.. وتدرك عدم التسامح.. فى حديثه عن النخلة.. ومعها :

هذا هو النـــقص عنـــدى فى طبيعتهـــا
تعطـــى المسيئيـــن بالمكيـــال ملآنا
ومـــن يُليـــن لبنـــى الغبـــراء جانبـــه
سقـــوه من جرعـــات الجـــور ألـــوانا
والحـــازم الـــرأى من يجـــزى مبادئـــه
بالشر شراً وبـــالإحسان إحسانـــا

وأسلوبه هذا فى المعاملة.. يتسم بالأسلوب العسكرى.. وإلا أين هو من قوله تعالى«إدفع بالتى هيِ أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم»(٣٤ فصلت).

وللجهيمان اتجاه فلسفى.. يلتقى مع المعرى وتأملاته.. ونطراته إلى الحياة :

علـــــى جنبـــــات هذى الأرض نمشى
زمانـــــا ثم ندفــــن فى ثراهـــــا
ويأتـــــى بعدنـــــا قوم.. وقـــــوم
يعـــيشون الحيـــاة كمـــا نراهـــــا
يذوقـــــون النعيـــــم بهـــــا وطـــــوراً
يذوقـــــون المـــــرارة من أساهـــــا

إلا أن فلسفته لاتمضى مع المعرى فى شكه.. ولاتساير فلسفة المهجر عند جبران ونعيمة الذين يؤمنون بالتناسخ ولا مع أبى ماضى المتردد الشاك.. وإنما ينزع من قاعدة مؤمنة.. فهو يؤمن بالبعث.. والدار الآخرة.

فكـــــل دوره فيهـــــا يؤدى
ويـــــمضى قاصداً داراً سواهـــــا

.. ثم يعدد ألوان الناس.. واتجاهاتهم.. ومستوياتهم الأخلاقية.. والنفسية.. فمنهم من يمثل دور أفعى.. أو ليث.. أو قرد.. أو كراكى.. أو سعالى.. ومنهم الجاد.. أو السفيه.. ويمضى العمر مع ذلك أشبه باغفاءة النائم..

ولـــــيس يعـــــاد للانسان دهـــــر
إذا صفحاتـــــه يومـــــاً طواهـــــا
ولا يغنـــــى إذا الآجال حلت
خرافـــــات العجائـــــز أورقاهـــــا

وله فى ذم الحياة أسلوب غزلي..فهو يصور الحياة بالفتاة الجميلة.. المتحلية.. المتطيبة ذات القد الفاتن فهى تارة تجفل وتهرب.. فيجفلون على أثرها.. ثم تنثنى لتسقيهم الدر من ثغرها المعذوب الدافق.. لغرض استعبادهم.. وصرفهم عن طاعة الخالق. وهى تعطى العاشق حتى تغريه.. ويهيم فى حبها.. ثم ترميه من سماء حالق.

كأنهـــا تدفـــع عن نفسهـــا
دفـــاع ذاك الحاقـــد الحانـــق

والناس يعادونها فى الظاهر.. لكنهم فى السر يوالونها.. ولاء المدنف الغارق.. تلك هى الدنيا التى إن أقبلت عليهم فتنتهم.. وإن أدبرت انحوا على الرازق.

وهو بهذه القصيدة يصور الحياة.. والناس.. ومعاملاتهم.. وحرصهم.. ونفاقهم تصويراً بديعاً يدل على تفحصه لدخائل الناس.. وهذا الإتجاه.. وهذا الأسلوب فى المعالجة يتسم كذلك فى مقالاته وكتبه.. ولهذا يمكن أن يعد من الكتاب والشعراء الواقعيين.

والجهيمان من الشعراء الذين لا يعتدون بالوحدة الموضوعية.. فتجد الوصف إلى جانب الشكوى ونقد الناس وأخلاقهم إلى جانب الاتجاه الفلسفى.. كما أنه شاعر يحترم التجربة الذاتية.. والموضوعية.. ولهذا فهو لايحفل بالمناسبات.. ويعد من الشعراء الجادين الذين لايهتمون بالكلمة من حيث هي كلمة.. بل يهتم فيها من حيث هى رمز لنزعة إنسانية.. واصلاح اجتماعى.. ولهذا تخرج من قصائده إلى جانب المتعة النفسية بعطاء ايجابى..

وله نزعات تشاؤمية.. فكثيراً مايتشح برداء المعرى .. لكن تشاؤمه يحمل طابعاً ايجابياً.. وهو يضيق دائما من معاملة الناس.. ويتحدث عن غدرهم.. ويشكو سوء تصرفهم.. ويذكر بالمعاد.. والذكر الذى يحفظه التاريخ.

يانـــفسى إن الليالـــى فى تقلبهـــا
تبلـــى الجديـــد وتحنـــى الفـــاتك الأشرا
وسوف تدركنـــى فى الدهـــر غائلتـــى
وانطـــوى برفاتـــى فى الثـــرى عمـــرا
وسوف يذكرنـــا من سوف يخلفنـــا
بمـــا عملنـــاه إن خيـــراً وإن أشرا

فازرع جميــــلاً إذا ماكـــــنت مقتــــــدراً
فالمـــــرء يحصد فى أخــــراه مابـــــذرا

ولعل هذا التشاؤم جعل ابن ادريس يعده فى قائمة الرومانتيكيين فى حين أن التشاؤم الرومانتيكى يتخذ جانباً سلبياً يتمثل بالهروب من الحياة.. والانعزال عن الجماعة.. وعدم التفاعل مع الآخرين.. فى حين أن تشاؤم الجهيمان يتخذ شكلاً واقعياً اجتماعياً.. ويضرب صفحاً عن الذاتية الرومانتيكية.

ومن الشعراء الكلاسيكين.. الشيخ محمد بن سعد بن حسين(١).. قال عنه الدكتور عبد السلام سرحان «شاعر فحل.. وعازف مبدع على قيثار المشاعر.. وضارب مجيد على أعواد الأحاسيس.. وملحن مفتن لدقات القلوب.. ونبضات الأفئده»(٢) يميل الى الشعر العمودى.. ولا يرى المرسل.. فلم ينظم فيه.. بل حمل على الآخذين به .. وقصائده تتسم بالإشراق.. وحسن السبك.. والعناية باللفظ.. وليست لديه الوحدة الموضوعية المطلوبة.. ولايميل بشعره إلى الواقعية.. فهو شعر مناسبات.. وتجارب ذاتية عارضة لا تمتد جذورها إلى ذات نفسه.. اذا استثنيا قصيدته «بعيد الصحو».. وبها عد نفسه من الشعراء المتسمين بالاتجاه الرومانتيكى ومنها يقول : ـــ

أى وهـــــم عشت فِي غمرتـــــــه
خادعت أذنــــى به قلبــــى زمانــــاً
يارفيقـــــــى لا تسل عمـــــا جرى
كان طيفــــاً لم يكـــــن ذاك هوانـــــا

(١) من مواليد عام ١٣٥٢ هـ درس بدار التوحيد.. ثم فى كلية اللغة العربية.. وهو من رجال التعليم فى المعاهد والكليات له كتاب عن الأدب فى نجد مجموعة محاضرات شكلت اتجاهه الشعرى.. ورأيه فى الأدب والشعر فى نجد.. ويتميز هذا الكتاب كما قال مقدمه الدكتور عبد السلام سرحان بـ«قوة العقيدة.. والأعتداد بالرأى.. وسعة الثقافة.. إنحيازه للشعر العمودى.. وإخلاصه الشديد للأسرة الحاكمة.. وحبه لوطنه نجد..وإنصافه فى الحكم.

(٢) مقدمة كتاب: الأدب الحديث فى نجد.

شيـــع المـــاضى للحــــد مظلـــم
مقفـــر مثـــل الـــذى كان فبانـــا
وامنـــح النسيـــان ذكـــرى وهمنـــا
واصح ياقـــلب كفانـــا مادهانـــا
حطـــم الكـــأس فقـــد حطمتهـــا
واسكب الدمـــع علـــى نعش منانـــا
سبـــقت دمعـــة عينـــى مقولـــى
وأنـــا أحكـــى علـــى طرس ضنانـــا
أيـــن كنـــا كيـــف كنـــا عجب
كيـــف لم نعـــرف الـــى ايـــن خطانـــا

وتبدو فى هذه القصيدة لمسات نفسية شاكة بَرِمة لكنها لاتستطيع أن تدفع به إلى حرم الرومانسية.. ذلك أنه وإن هام فى أوديتهم ساعة من نهار.. فهو شاعر يحملق فى شاخص الحياة.. ويطوف حول مجسِماتها وإذا عرضت له نزوات أملتها عاهة المعرى.. وطه حسين..وبشار.. فإن نظرته الواقعية.. ومحيطه المحافظ.. وإيمانه القوى.. وظروفه الخاصة تكبح جماحه.. وتروض نفاره.

وله إلى جانب ذلك قصيدة يحن فيها إلى وطنه ويتغنى بأمجاده يقول فيها:ـــ

هواك وان رث الزمـــــان جديـــــد
وحـــــيك حب طارق وتليـــــد
أحاديثـــــه أحلامنـــــا وشبابنـــــا
فمكـــــروه فى مسمعـــــي نشيـــــد

ويفضي إلى القـول : ـــ

أهفـــو إلـــى أفيائهـــا وهـــى مسرحِـــى
وأصبـــو إلـــى وصل بهـــا فتجـــود

وأنظـــر وجـــدى لو نأيت مبرحـــاً
ودمعـــي من خوف الفـــراق شديـــد
تفيأتهـــا شعثـــاء غبـــراء حلـــوة
لهـــا منـــزل بيـــن الضلـــوع وحيـــد
فكيـــف وقـــد نضت ثيابـــاً وجـــددت
فحاضرهـــا بيـــن الـــعصور فريـــد
ستبقى لهـــا فى مضمـــر القـــلب والـــحشا
سريـــرة حب بالبـــــلاء تزيـــد

وشعر الوطنية يتسم بالواقعية والمعقولية.. فهو بعيد عن شطحات الخيال.. وأحلام اليقظة.. وحنينه مزيج من الحب.. والأمل.. والمناجاة.. ولا يخلو فى تصويره من التهويل.. والمبالغة.. على سنن غيره من الشعراء المعاصرين وينظر إلى السلام فى إطار هذه القوى الباغية نظر المتشائم المستبعد له :

إن السلام خرافـــــة مزعومـــــة
تحكـــى لنـــا عن ألسن الأطيـــار
مالـــم يحكـــم فيـــه دستـــور السمـــا
وكـــلام أحمـــد صفـــوة الأخيـــار

وله قصائد إخوانيه فيها الشوق والحنين..

ياجيـــرة النيـــل لا ريـــعت مرابعـــه
هل عندكـــم مثـــلُ أشواقـــى وآهاتـــى
إنـــى لأهفـــو إليكـــم غيـــر أنَّ يداً
من الظـــروف رمت من خطبهـــا العاتـــى
بقـــوة مزقت عقـــداً سهـــرت علـــى
تنضيـــده من أمانيـــي ونياتـــى

يقول عن هذه القصيدة الدكتور سرحان «والقصيدة من حيث مبناها موشاة

بالجمال مسداة باللآل منداة بالجلال.. فعبارتها منتخلة مصطفاة.. وكلماتها مختارة مجتباة.. وأسلوبها درر منتقاة.. وتراكيبها جواهر مدلاة».

والحق أن قصائد الشاعر تتسم بالجزالة.. ورشاقة الأسلوب.. وإشراق الفكرة.. وهو واحد من شعراء نجد الذين لهم خصائصهم وسماتهم.. فى إطار الشعر العربى..

.. وأغلب الظن أن الدكتور سرحان ينظر إلى الشاعر بعين الرضا والقبول.. فيقول فى قصائده أو فى واحدة منها «وأعتقد أن هذه القطعة الفريدة آية فى التكوين. غاية فى التلوين.. نهاية فى السمو.. نقاية فى العلو.. مثال فى الوضاءة ـــ إلى درجة قد لا يدركها الكثيرون.. وإن الناقد البصير.. والرائد الخبير ليدرك إنها مموهة بالذهب مدلهة بالعجب موجهة ـــ دائماً ـــ إلى الخلود فى فلك الوجود».

.. والحقيقة التى يجب أن نقررها أنه شاعر كسائر الشعراء.. وقصائده القليلة لا تجعل الإنسان يحكم عليه حكماً جازماً فالمدى أمامه فسيح.. ومدرجة الشعر يتهادى فوقها عشرات من الفحول متى دلف إليهم استطعت أن تحكم له أو عليه.. لكن مابين أيدينا من قصائده تبشر بخير.. وتنم عن موهبة مبدعة.. ودراية.. وبصر بالشعر.. وآلته.. ومطالبه.

ونختم هذه الطبقة.. بالشاعر النجدى عثمان بن سيار[١].. ويعد من أبرز الشعراء.. وشعره يتسم بالقومية والوطنية.. ويرتبط مع الشاعر الجهيمان بصلات فنية متينة وتقل عنده الشكاية.. وتأتى قصائده هائجة مائجة.. ونغماته ذات إيقاع صاخب تفتر عن معطيات جادة مخلصه.. يقول عنه ابن ادريس

---

(١) من مواليد عام ١٣٤٨.. درس بدار التوحيد بالطائف .. ثم فى كلية الشريعة بمكة.. وبعد تخرجه عام ٧٣ تقلب فى عدة وظائف تعليمية.. يعمل حالياً بالرئاسة العامة للمعاهد والكليات.. ينشر قصائده تحت اسم مستعار واتجاهه الشعرى.. وأسلوبه.. وتجاربه.. لم تتغير فهو يلتزم مبدأه منذ فجر شبابه «تمت هذه الدراسة قبل عشر سنوات».

«شاعرمتحمس للقومية العربية.. ومن الشدة فى حماسته ذلك، تعصبه لشكل الشعر القديم وعدم ميله إلى النزعات التجديدية في الشعر.. معتقد ان الشعر العربى الحديث فى قوالبه وصياغاته ليس شعراً عربياً بل هو من آثار الاستعمار الغربى»[١]. وقد وضعه الأستاذ قبش فى زمرة الواقعيين.. وهو اليها.. وإلى القومية ألصق، فى حين لم يعرض له الأستاذ محمد بن حسين بشىء.. وسيار يؤمن بالتجربة الذاتية فشعره وليد الشعور الذاتى المتدفق كالتيار.. لكن هذا التيار يتخذ أشكالاً من العنف.. واليسار.. والهدوء تبعاً للنفس الشاعرة ولظروفها التى تحيط بها ويرى الأدريس أنه متأثر بالشاعر رشيد سليم الخورى. الذى يقول عنه أكرم زعيتر.. أنه قديس الوحدة العربية.. وقال: لوجاز للوطنية قديسون لكان الشاعر القروى أحدهم[٢].

فمن قصائده المتأججة كالنار المتدفقة كالتيار.. الهادرة كالأعصار. قوله:

اعبسِي ماشئت أو فابتسمي انا عن حسنك ياهند عم
راعني حاضر قومي.. فأعزبي عن حمى قلب شجى معتم
لم تعد تأسره حمر الشفاه ولا سحر العيون النوم
لذَّ لى السهد كأنى موجع فى الدجا يرقب مسرى الأنجم
اتملى العيش قلباً حائراً بين تاريخ وضىء معلم
وحياة كسيت ارجاؤها بسواد كضمير المجرم
عصفت بى ذكرياتى أنها لشواظ يتلظى فى دمى

وهى قصيدة تصور الوضع العربى فى فترة من فترات التخلف السياسى.. وكل قصائده تدور فى هذا الأفق الملتهب.. ويشاركه عدد كبير من شعراء نجد إلا أنهم أخذوا برقاب التجديد.. يحملون هذه الأشكال المتباينة من الشعر مايعتمل فى نفوسهم من آمال.. وآلام. فمما قاله فى قصيدة إلى شباب بلاده :

(١) شعراء نجد ٢٢٩.
(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث ٣١٧.

إليكم شباب البلاد الغيور تلفت قلب البلاد الظمي
لقد لفحته شموس الهجير وأضناه سوط الشقا المؤلم
لكم موطن أيقظته الحياة على كونها المائج المضرم
رأى فيكم همة المنقذين أغذوا إلى الهدف المعلم
فأشرق مبسمه مذ أطلت عليه جموعكم ترتمي
طويتم بهماتكم ليله وما كان إلا بكم يحتمي

حرير (يراعاتكم) نغمة بأذنيه رفافة المبسم
بها صوته سوف يغزو الدنا وينهي غناء عن اللهذم
وكم هازىء باعتزاز الشباب سيدركه في الغد المعتم
فيعلم أن الشباب الطموح به نهضة الوطن المقدم[1]

.. وللشاعر تجارب شعرية كثيرة نشرت فى الصحف تحت أسماء مستعارة.. فيها تلمس أثر الشاعر.. وتترسم خطاه.. وتحس بتجاربه.. ومن سماته الوحدة العضوية.. والوحدة الموضوعية وهى ميزة تكاد تكون من أبرز سماته[2].

وهو كما أشرت يعارض التجديد فى الشعر وخاصة فيما يتعلق بشكل القصيدة ويخرج عن أوزان الخليل.[3].

---

(١) شعرا نجد المعاصرون.

(٢) قلت أن هذه الدراسة أعدت عام ١٣٩٣ وقد تغيرت بعض المفاهيم وتبلورت بعض الخصائص.

(٣) هناك فرق بين القصيدة النثرية، وقصيدة التفعيلة، والقصيدة الخليلية. والشاعر كما يتضح من شعره الذى بين أيدينا يقف عند بحور الخليل.

سمات... المحافظين وأغراضهم

لقد عرض الأستاذ عبد الله عبد الجبار[1].. للكلاسيكية.. ووصفها بالموت.. فهي فى نظره هامدة جامدة لا تروى ضماً.. ولا تسد رمقاً.. ولا تسمن.. ولا تغنى من جوع.. وقد عدد جانباً من خصائصها.. نذكر أن من سماتها محاكاة القدماء.. وأنا أقف أمام هذه السمة لأنى لا أمضى معه إلى الحد الذى انتهى إليه.. فالمحاكاة تختلف كما أشرت باختلاف المقلد.. فالشاعر حين يبدع داخل إطار المنهج العربى فإن علينا أن نحكم فيه ذلك المنهج بمعنى أننا نزنه بميزان الطبع العربى.. وأسلوبه.. فنرد مايرفضه الذوق العربى السليم.

أما أن تتخذ له حكومة غريبة الوجه واليد واللسان.. ثم تدفعه فى أتونها فهذا أمرفيه تعسف وتسلط.. وحكومة جائرة.. ولا أستغرب أن تتكامل فى محيطنا مدارس نقدية ترفض القديم.. وتضيق بالشاعر الذى يرد تلك الموارد القديمة.. فلقد مني القرن الرابع عشر الهجرى بطائفة من النقاد تستخف بالمحدث.. ولاترى الفضل إلا للقديم.. وحكاية الأصمعى.. وإسحاق الموصلى لاتبعد فى جورها عن ملامح مدارسنا الحديثة التى لا ترى فضلاً للقديم وتنعى على المقلدين تقليدهم.. وتقبل الجديد بأى شكل.. وعلى أى مستوى.

ومما ألمح إليه عبد الله عبد الجبار.. كميزة بارزة فى الاتجاه الكلاسيكى انعدام شخصية الشاعر الفنية ويعنى ألا تجد أثر الشاعر واضحاً فى تجربته الشعرية.. وتبرز تلك الخاصية عند من حالت ظروف الحياة دون تفاعلهم مع

---

(١) التيارات الأدبيه فى قلب جزيرة العرب ٢٤٩.

الحضارة الحديثة.. ودون قراءتهم لألوان الأدب الحديث.. فأقاموا فى حرم الشعر القديم يرددونه فى غدوهم ورواحهم.. وينسجون شعرهم على أديمه.. وبمغزله.. يتناول الشاعر الغرض فيبدىء.. ويعيد ويخرج شعره بلحمة القديم.. ويفرغون تجاربهم فى قوالبه إفراغاً.. فلا تجد فيما ينظمون شيئاً يُنْبئك عن سماتهم.. أويدلك على شخصياتهم.. وهذه الفئة من الشعراء تكاد تكون الغالبة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر.. ومطلع النصف الأخير منه.. لأسباب عرضت لها فى موضعها.. بيد أن حدة هذه الخاصية أخذت تتضاءل مع الأيام.. وأخذت ملامح الشعراء تطفح على معطياتهم ــ وبدأ شعرهم ينم عن ذواتهم.. وانبروا الواحد تلو الآخر يتخلصون من التقليد الجامد على مراحل متدرجة.. يفهم منه أنهم على وفاق مع تراثهم الخالد.. وأن ماينزعون إليه من تجديد إنما هو من مستلزمات الحياة.. ومطالبها.

كما أشار عبد الجبار إلى أن من خصائصهم تصوير مزاج السادة المهيمنين.. ويعنى انقطاع أكثرهم للمدح.. وتسجيل المآثر.. وهو وإن كان تعطيلاً للمواهب.. وقصراً لها على غرض واحد.. إلا أننا نجد فى كثير من قصائد المدح جوانب مهمة ماكانت لتؤدى مهمة المدح فحسب بل هيِ وإن أخذت طريق هذا الغرض إلا أنها تزخر بتجارب متعددة على غرار إنعدام الوحدة الموضوعية.. التي هى من سمات الشعر العربى القديم.. هذه التجارب تضفيِ على المدح نوعاً من القابلية.. وتقلص جانب الخصوصية التى تقلل من أهمِيتها.. وتجعلها تعيش لمناسبتها فقط.

على أن المدائح إذا كانت تتسم بالصدق.. الفنى.. وتعبر عن جميل غمر الشاعر.. أو شمل ذويه فإن هذا المدح يقع فى صميم وظائف الشاعر.. وأى إنسان لايستخفه الإحسان فيفجر فيه ينابيع الحكمة.. إن الذين يرفضون من الشاعر المدح.. والثناء.. وذكر المآثر.. إنما يريدون تعطيل الإحساس.. وتجميد المشاعر «ومن وجد الاحسان قيداً تقيداً» إن الاتجار.. والتكسب بالشعر..

وقلب الحقائق.. واخضاعه لهوى النفس ذلك هو المذموم.. ويجب أن ننبذه. أما أن يمجد الشاعر من أحسن إليه وشمله بالعطف، فأمر لامناص من قبوله.

وإذاً ماالأغراض التى طرقها الشعراء المقلدون.. والذين تعارف النقاد المعاصرون على تمسيتهم بالكلاسيكيين.

إننا إذا علمنا أن ثقافتهم .. ومشاربهم الفكرية.. كانت عاملاً أولياً فى اتجاههم الفنى.. أصبح من اليسير علينا أن نتصور المواضيع التى طرقوها.. ذلك أن الطابع الفكرى القديم الذى وسم أشكال معطياتهم قادر على أن يضع المعالم فى طريق تفكيرهم ليحدد لهم الموضوعات التى يمكن أن يتحركوا فى أطرها.

وليس من شك فى أن المدح.. والغزل.. والرثاء.. تعد من دعائم الاتجاه التقليدِى وغرض آخر استجد من خلال الواجهات الإجتماعية.. وهو «شعر المناسبات».. كالحفلات.. والمواسم.. وقصائد الترحيب.. هذه الأغراض هى التى انفردت بهذا الاتجاه تحركه وتدفع به إلى النور.. وهى أغراض قديمة.

وغرض آخر بدا واضحا فى كثير من تجارب الشعراء النجديين.. هو الاتجاه الإسلامى لدى الشعراء فأنت تحس بالروح الإسلامية العالية ممتزجة بكثير من قصائد الشعراء المحافظين.

وعود إلى الأغراض التى عالجها الشعراء الكلاسيكيون.. نجد أنهم فى مدائحهم لايخرجون عن المعقول.. وإن اتسمت بعض قصائدهم بالمبالغة.. إلا أنها لاتصل إلى مستوى المغالاة.. بالإحالة فغالب المدائح تتسم بطابع الواقعية.. وتصور المكارم تصويراً مقبولاً لا يخرجها من حيز المعقول الممكن عادة وهذا الالتزام فى المدائح ناتج عن عاملين:

أحدهما.. العامل الدينى.. فقلب الجزيرة العربية عامة.. ونجد بصفة خاصة تنتمى فى منحاها الإسلامى إلى عقيدة سلفية تتمثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى قامت لمحاربة الشرك.. وتعظيم المخلوق.. وطمسْ مشرف

القبور.. ومنع التوسل بالأموات.. ونبذ التقاليد والعادات المخالفة لنصوص الشريعه.. ولهذا تجدْ الشاعر يستنير بهذه المبادىء.. ويستلهم اتجاهاته من معطيات هذه الدعوة السلفية.

أما الثانى.. فهو العامل الإجتماعى.. والحياة البدوية بما لها من خصائص ومميزات بارزة المعالم فى نجد، والاعراب كما هو معروف ألصق الناس بالواقع وأبعدهم عن الوهم.. والخيال المجنح.. ولهذا لايجد الشاعر رواجاً لأى مدح لا يقوم على المعقول.. يلتزم جانب الحق.

وإذا كنا نلمس جانباً من المبالغات فى تهويل المعارك.. أو تفخيم الجيش.. أو تضعيف قوة المحارب.. فإن هذا لا يعدو أن يكون امتداداً لظل المفاخر.. والمدائح القديمة.. التى أباح الشعراء لأنفسهم فيها أن يقولوا مايرعب الأعداء.. ويوقع الوهن فى نفوسهم.. والفزع فى قلوبهم.. ولا أشك أن الشاعر أو السامع يحتملون ذلك بهذا المفهوم.. ويغضون الطرف لأنهم يتداولون تراثاً لا يرفض مثل ذلك الإسراف فى موضوع الحرب.. أما ماعدا ذلك فهو ان لم يكن معدوماً.. فهو به ألصق.. والنادر لا يقوم به حكم.. ولكل قاعدة شواذ.

ومن هذا المفهوم ندرك أن اتجاه الشعراء المحافظين فى مدائحهم لا يخرج عن قارعة الشعراء الأولين الذين رسمو الطريق.. ووضعوا المعالم ثم ساروا على هذه المحجة.. واتوا منها على كثير من أنواع المدح فى شتى الصفات.. كالكرم.. والشجاعة.. وحفظ العهد.. وصفاء الضمير.. وإكرام الجار.. وإرهاب العدو.. وما إلى ذلك مما هو مبثوث فى كتب الأدب والشعر.

قد يتبادر إلى الذهن استفهام عن إمكان اتفاق الأوضاع فى هذا الوقت مع الأوضاع القديمة.. ثم أليس من سنة الكون التبدل.. والتغير.. وانقراض عادات.. ومفاهيم.. وقيام عادات وتقاليد تختلف عما سبق.. وعما هو لاحق.. إن لهذا الإستفهام مكان من الأهمية يحسن أن نشير معه إلى جانب مهم قد ينسخ هذا

الإستفهام.. ذلك أن الشاعر المقلد. وأعنى به من لا يجلى نفسه وخصائصه فى شعره لايقدر على شيء من المعالجة لغرض من الأغراض المستجدة ولهذا تجده بدل أن يستعمل فى مدائحه الدبابة.. والمدفع.. يجنح إلى الخيل المطهمة.. والرماح المقومة.. والسيوف المواضى. وضرب الكبش الذى يبرق بيضه.

وبدل أن يحدثنا فى مطالعه عن شيء مناسب يتذوقه السامع تلتوى عليه المسالك.. فيناجى الأطلال.. ويبكى الديار.. وليس بحضرته طلل.. ولا دار.. وإنما هو فى مدينة مزدحمة بالسكان عامرة بالمبانى الشاهقة.. والشواع المنسقة. هذا الإتجاه التقليدى أبقى هذا اللون من المدائح فى المؤخرة.. وجعل الشاعر يكرر شخصيات نخر عظمها التراب.. وأفناها فى الغبراء تعاقب الأحقاب.. هذا يقال بالنسبة للشعراء المحافظين على الشكل.. بكل أبعاده.. والمحافظين على المضمون بكل أغراضه. ولا يصدق من جانب المضمون على المحافظين المجددين.. أمثال الخميس.. والسيار.. والجهيمان... والجلهم.. لكن يتضح عند العثيمين.. والبليهد.. والسحمان. ذلك أن الثلاثة الأول على قيد الحياة وهم فى تحول وتبدل مستمر فى حين قضى الأواخر نحبهم.

وما يصدق على المدح. يمكن أن يأتى على الغزل.. لقد تغزل النجديون.. وأطالوا الوقوف فى هذا الميدان.. وصالوا وجالوا.. كما صال الأولون.. وجالوا. يصفون المفاتن.. ويصورون مرارة الفراق.. وعذوبة التلاق.. وسرعة الزمن عند اللقاء.. وتباطؤه مع التنائى.. وأن الفراق بين المحبين ينكد الحياة.. وينغص اللذات.. ويُخيف أمنهم.. ويشتت شملهم ويكدر صفوهم..ثم الحديث عن الرقباء.. ودقة ملاحظتهم.. والوسطاء ولطافة وفادتهم.. وما إلى ذلك مما هو معروف فى كل غزل حفظه لنا الكاتبون وتناقله الرواة.. وما قدمنا من غزل ابن عثيمين وابن بليهد.. وغيرهم كان لإيضاح الرؤية والبرهنة عما أشرنا إليه من أن الغزل عند الكلاسيكين غزل لا يتسم بالتجديد.. ثم هو لا ينبع من نفس عانت

ألم الحب وذاقت مرارة الوجد.. وإنما هو جنوح إلى التقليد أملته القدرة على المحاكاة.. ونحن لا ننكر أن يكون شيء من الغزل صادقاً في تعبيره.. أميناً في تصويره.. نابع من قلب جرحه الحب.. وكلمه الحرمان.. وأضنته المماطلة وأشقته الوعود الكاذبة.. بيد أننا ننكر وبإصرار سلامة الشاعر من التقليد في المعالجة لهذه المعاناة وتصويرها.. إن مالدينا من غزل سواء أكان صادقاً.. أم كاذباً ـــ لم يتحرر من الإطار الشكلي.. وخطوات التجسيد للغزل القديم. فالطابع المميز للغزل العربي أنه حسي لايلتفت إلى جمال النفس وسمو الروح.. وعذوبة الأخلاق.. وإن جاءت عرضاً فهي لا تكفي لإبراز معالم لون من الغزل المعنوي.

ولهذا نجد هذا الطابع قائماً كما هو في السابق.. بل في وضوح وتكامل أكثر. وإذا كان امرؤ القيس قد بكى الأطلال مقلداً لمن سبقه.. فإن أبانواس قد نعى على المتعلقين بهذا الشكل من المطالع.. وسواء أصدر هذا النعي عن نزعة تجديدية.. أم عن حركة شعوبية.. فإن شعراءنا نبشوا هذه الخصائص واتخذوها أظعاناً يعرِّجون بها إلى ممدوحيهم.. أو يطوون بها البيد لمناجاة محبوب مزعوم خلقه الوهم.. وأبعده التصوير.. وجسده التعبير الشعري.. ولا شيء بعد ذلك.. فجاء هذا اللون من الغزل الذي لا يحمل بين طياته أي لون من الإبداع.. أو التجديد.. ولا يقدر على التأثير فكأنه قطع من الخشب المرصوصه على شكل معين يمر بها الإنسان مروراً عابراً فلا يحمل أي انطباع.. إلا بقدر ما يحمل القارىء لأي حكاية عادية قرأها بشرود ذهن..

وانعدام إحساس.. ان هذا الحكم يصدق على عامة الغزل في هذه الفترة.. وعند أصحاب هذا الاتجاه.. وإذا كان هناك شعر انعتق من ربقة التقليد وتحرر من قيود التبعية.. فإن هذا خارج خروج الشواذ.. وماشذ لاتقام عليه أسس دراسة فنية تستدعي مستخلصات ثابتة.

الفصل الثاني

الاتجاه الرومانتيكي الابتداعي

تعارف الناس على أن «جان جاك روسو» من أوائل المنظرين للنزعة الرومانتيكية فى الأدب التى تقوم على الجانب العاطفى فى النفوس(١).. وهذه الكلمة التى أصبحت اصطلاحاً قائماً يعبر عن لون من الأدب ترجع إلى أصل فرنسي(٢).. قديم.. وتدل على قصة من قصص المخاطرات.. وفى القرن الثامن عشر إستباح المؤرخون للأدب وضعها فى إزاء كلمة «كلاسيك» فصارت بهذا تعبر عن مذهب جديد.

وأول من عرف هذا المذهب «مدام دى ستايل» حيث وصفته بأنه الشعر الذى يحيا فيه الماضى الوطنى.. وأنها أدب الفروسية.. وكان لهذه الكلمة مدلول آخر يوضح أبعادها.. إذ كان يفهم منها الدلالة على الإنسان الحالم ذي المزاج الشعرى المنطوي على نفسه.. ثم امتد معناها إلى شبوب العاطفة والاستسلام للمشاعر.. والاضطراب النفسى.. والفردية.. والذاتية.. وتعد «الرومانتيكية» أهم حركة أدبية فى تاريخ الآداب الأوربية(٣).. وهى فى مقابل الكلاسيكية.. تناقضها.. وتخالف مقاييسها وتتلخص خصائص هذا المذهب بما يلى:ـــ

١ ـــ تحطيم القيود التى أقامتها الكلاسيكية حول نفسها.. وتحكيم الذوق والعاطفة والوحي.. ولو أدىَّ ذلك إلى الخروج على أقيسة اللغة وقواعد الفن.

---

(١) فى الأدب والنقد. د/ محمد مندور. الأدب المقارن: مسائله.. ومباحثه. د/ محمد شعيب.

(٢) الرومانتيكية الانجليزيه.

(٣) الأدب المقارن ٢٣١.

٢ ــ الإنعتاق من صخب المدنية والجنوح إلى بساطة الريف وموحيات الطبيعه والتغنى بكل سماتها وخصائصها.

٣ ــ الخلوص للنفس.. والتخلص من مسؤولية الجماعة وعدم الاهتمام بمعاناتها والتغنى بآمال وآلام الذات.

٤ ــ الارتفاع من محيط الماديات والحسيات النفعية الى العوالم المثالية.. وإيمانهم بأن الشعر لايستطيع التنفس فى عالم الماديات.. ومن ذلك أخذت صلة الشاعر تنقطع عن هذا العالم لأنه يعيش فى عوالم أخرى[١].

٥ ــ عدم الإغراق فى المعالجة لقصد اكتمال التجسيد.. ووضوح الرؤية.. ويكفى أن يفكر بقدر ويعبر بقدر ويتذوق بقدر.. ويشعر بقدر.. وبمعنى أكثر إعطاء النفس عن المعاناة بعض حريتها[٢] للتعبير الفطرى القائم على الطبع الخالص والتذوق الذاتى.

هذه الخصائص تضفى على الرومانتيكية.. شيئاً من الوضوح.. وتجعل القدرة على متابعة الإنتاج لمعرفة نوعية تكامله شيئاً يسيراً أو قريباً منه..

وتبعاً لذلك.. واستكمالاً لصورة المتابعة نسوق الآن أهم صفات الشاعر الرومانسى ليمكن معه تكامل الإطار العام لهذا المذهب ولشعرائه.. لقد تناول كثير من الدارسين هذه الخصائص فأطالوا فيها القول.. وعددوا المناهج.. وشعبوا الحديث.. نسي بعضهم جانباً وألم بآخر.. وهى بجملتها تتلخص فى الآتى:ــ

---

(١) فن الشعر د/ احسان عباس.

(٢) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ٢٦٣.

١ ـــ من مميزات الشاعر الرومانسى «القلق النفسى» وعدم الاستقرار على مذهب.. وعدم الاطمئنان إلى ظاهرة .. هذا القلق يزيد فى التفاعل مع الظواهر.. وبالتالى يوسع محيط العطاء.

٢ ـــ «الحيرة» إن القلق المستمر من مظاهر الكون.. والحياة، يستتبع الحيرة، وذلك أن الشاعر حين يواكبه فى مسيرته الفكرية.. أو الذاتية.. قلقٌ.. وانفعال.. يجد نفسه فى طريق مسدود يجسد أمامه الشكوك ويكثف اللوعة.. وبالتالى يضعف أمامه الرؤية.. فتخلق هذه العوامل «الحيرة» التى تقف فى سبيل امتداده وتفاعله مع الظواهر تفاعلاً سليما معطاءاً.

٣ ـــ «الإبهام» فى كثير من قصائد الرومانتيكيين لا تجد الوضوح تقرأ القصيدة الطويلة فيبهرك الجرس.. وتؤلمك المعاناة.. لكنك تخرج منها وأنت شاك فى مقاصد الشاعر.. غير مدرك لأهدافه الداعية.. ودوافعه الخلاقة فالشاعر يميل دائماً الى التعْمية.. والغموض.. والابهام.. وعدم بلورة مقاصده بالشكل الذى تجده عند الواقعيين أو الكلاسيكيين. والرمزيون يتخذون الغموض والإبهام هدفاً. وغاية وينشدونه كمطلب أدبى.. بينما هو عند الرومانتيكيين نتيجةُ عوامل نفسية.

٤ ـــ «الحزن والأسى واللوعة.. والحنين إلى المجهول» فالرومانتيكيون يمعنون فى الخيال لأنهم يضيقون بعالم الحقيقة فيجنحون إلى الخيال.. وفى ذلك يقول: روسو:ـــ «لو تحولت أحلامى إلى حقائق لما اكتفيت بها بل لظللت أتخيل وأحلم.. ولا تقف رغبتى عند حد لأنى لا أزال أجد فى نفسى فراغاً لا يستغل.. ولايملؤه شيء إنه نوع من انطلاق القلب الى مصدر متعة لا علم له بها»(١)

---

(١) الرومانتيكية. د/ محمد غنيمى هلال ص ٥١.

ولهذا تجد أنهم يهربون من الحياة هروب الخائف الوجل.. وكم من دراسة خرجت تحدد سمات.. ونوعيات الهروب من الحقيقة إلى الخيال.. إن فى سبحات الخيال دفئاً يملأ نفوسهم الفارغة وحناناً يسكنون إليه سكون الطفل الوالد إلى صدر أمه.

٥ ــ «الاتجاه إلى رمز الحب المجهول» لقصد التنفيس عن النفس وقلقها.. وحيرتها.. فى حين تجد ان الحب عند الكلاسيكيين كما أشرنا إليه حسي مكشوف يدور حول مفاتن الجسم وما فى تناسقها واستقامتها من جمال وابداع فالشاعر هنا يطنب فى وصف أعضاء الجسم.. وملامح المحبوبة.. دونما رمز.. أو اخفاء.. فى حين ينظر الرومانتيكيون لهذا العمل على أنه رجس.. وخطيئة يجب الانعتاق منه.. إن الحب فى الاتجاه الرومانتيكى.. مرتبط بالفضيلة ولا يكون بمعناه الذى يريدون حتى يكون عفيفاً.. يقول الدكتور شعيب.. «وللحب فى أدب الرومانتيكيين معنى آخر سوى مايسبق إلى الذهن عادة من حب الرجل للمرأه.. وهذا المعنى هو حب الإنسان للإنسان.. ومثل هذا الحب يحول بين الإنسان والظلم.. وينمى فيه الفضائل التى تسمو بالإنسانية إلى مدى بعيد»(١).

إن أوسع المجالات عند الرومانتيكيين هو مجال الحب.. ولكنه يختلف كثيراً بمفهومه عند الكلاسيكيين فالكلاسيكيون.. كما أشرت يتعلقون بالظواهر الجسمية.. وينزعون من وله الغريزة وحيوانيتها.. أما الرومانتيكيون فإن من طابع حبهم الحذر.. والشكوى من عدم الوفاء.. ذلك أن حبهم عاطفى عذرى وهو فى نظرهم عامل من عوامل تطهير النفس.. وخلاصها من كل الشوائب العالقة بها.. والمتغنون بالحب

(١) الأدب المقارن ٢٦٩.

يرون أن المرأة أكثر حساسية وأقوى شعوراً.. ولهذا يجدون القدرة على تقديس العاطفة.. وتمجيد الضمير هذا فى مجال الحب.

لكن مامفهوم.. الفرد.. وما مفهوم المجتمع.. عندهم؟.. إنهم ينقمون على المجتمع.. ويسمون بالفرد.. اما نقمتهم على المجتمع فهى محصول نظرتهم إلى الفرد الذى يعتبرونه مركز الحياة.. ولهذا يفر الرومانتيكى بنفسه وخياله من واقعه إلى لون من الحياة يخلق مثالها فى مخيلته.. أو يفترض ماضياً مثالياً بعمق غضبه على واقعه.

يمكن أن نقرر هذا المفهوم بقصيدة الشاعر صالح العثيمين: أحلام.. وسراب :

هل انت تائهة مؤججة المشاعر والرؤى؟
هل انت مثلى تركضين وراء أحلام المنى؟
عبر السراب وخلف أذيال النوى
حيرى المقاصد مثل قلبى[1] ملَّ من طول السرى
فأنا فؤاد خافق فى هيكل القدر انزوى
وأنا حياة مرة ولهى يضرمها[1] الجوى
لم تلق من تهب الحنان بذلك الجو الخواء
روحان نحن على دروب الليل يأكلنا الشقاء
فأنا ضحية عالم سد الصراع عليه اجواء الفضاء
اتخذ النفاق خليله فهوت عليه يد القضاء
فمضى يقبل جلاديه مابين الجماجم والدماء
يأأخت ان بعدت عليك رؤى النجاة بذلك التيه العراء
وجلست فى درب الفضيلة بين أنياب الفناء
وعلى جوارك يمرح الأنذال بين يد الهناء
وشموعك العذراء تغمرهم بأمواج الضياء

فلدى روح يحمل الآلام.. والآمال ورؤى السناء
يهب العزاء لمن ذوت فى افقه دنيا العزاء
هوللضيـــاء لغيــــره يحيـــا ويهـــزأ بالفنـــاء[1]

.. وبالرجوع إلى كتاب «أميل»[2] الذى يعتبر الكتاب المفضل فى مجال التربية والذى ألفه جان جاك روسو.. وهو عبارة عما يجب أن يقدم لطفله «أميل»..نَجِدُ روسو يخالف المبادىء السائدة آنذاك فهو يرى أن العلم.. والتعقيد.. وتعدد مطالب الحياة.. وكثرة الاختراعات هى العامل الرئيسى فى انعدام السعادة.. وهذا من أهم مبادىء الرومانتيكيين.. فهم ينزعون إلى البساطة.. ويلتمسون السعادة بالقناعة عن كل شيء كما يهربون من التعقيد فى مطالب الحياة.

هذه النقمة على المجتمع جعلتهم يتطلعون إلى خلق مجتمع فطرى سمح تتوفرٌ فيه كل مقومات السعادة لكل فرد على وجه البسيطة.. إنهم يرفضون الظلم للفرد.. والجماعة.. ولهذا فهم يمجدون الحرية.. ويتغنون بها.. يتضح ذلك فى النزعة الإنسانية عند الشاعر: سعد البواردى.. حين حمل على أمريكا.. فى تمييزها العنصرى.. وحمل على العنصرية فى إفريقيا.. وعزف الأناشيد على لسان الأفريقيين المضطهدين[3].

هذا التمجيد المتواصل أفضى بهم إلى السخط على القانون.. والاستهتار بالقائمين عليه.. ذلك أنهم يتصورون هذه القوانين.. وهؤلاء الحكام سدوداً منيعة فى وجه آمالهم.. وتطلعاتهم وحرياتهم.. ويفسر بعض الدارسين أن خروجهم على الحكام يعد امتداداً لثورتهم على كل قديم.. وليس هذا برأى حصيف.. ذلك أنهم يرون فى الحكام رمزاً للقيود.. والسدود.. ولهذا يطالبون

---

(١) شعاع الأمل.
(٢) ترجمة عادل زعيتر.
(٣) أغنية العودة.

المجتمع بأن يبحث عن نظم تقل فيها القيود ليتمكن الفرد داخل هذا التسامح من الإبداع.. واستغلال المواهب..

وتمتد ثورتهم على الأوضاع القائمة.. سواء منها مايسندها التقليد والعرف.. أو القانون والدستور.. أو الدين.. فهم لايتحرجون من العبث فى قدسية الدين.. وهذا بالطبع لا يصدق على كل الرومانتيكيين.. فثورة الإصلاح الدينى.. التى قامت فى أوربا على يد مارتن لوثر تهدف الى تشذيب العوالق الخرافية فى قدسية الدين المسيحى.. كصكوك الغفران.. وهى فى حساب القسسين والرهبان.. تمرد على قدسية الدين.. ومثل هذا يصدق على أى حركة إصلاحية فى أى ديانة سماوية.. «وقد جرفتهم موجة التمرد إلى الحديث عن المشكلات الدينية الخطيرة.. كفكرة الخير.. والشر وفكرة العقاب.. والثواب.. والعفو الإلهى.. وكل مشكلات ماوراء الواقع التى عالجتها الأديان بمقدار ماتتحمله العقول»(١).. إنك تجد هذا التمرد.. واضحاً فى تصوف «جبران خليل جبران» من شعراء المهجر.. ومن أعضاء الرابطة العلمية.. وفى تأملات «ميخائيل نعيمة» ويتضح أيضا فى شك أبى ماضى الذى لم يستقر على رأى.. وإذا رجعنا إلى الأدب العربى.. والشعر العربى.. نجد أن الشعر العباسى حافل بالكثير من ذلك.. فأبو نواس مثلاً وإن كان تمرده من وحى مجونه نراه يتحدث عن الموت.. والبعث.. والجزاء.. وقد وصف ذلك بالخرافة. ولم يرد أن يدع الخمر على أمل أن يحصل عليه فى الآخرة(٢) وتتكامل هذه المشكلة عند أبى العلاء المعرى فى فلسفته(٣)

إن إغراقهم فى هذه الأحلام جعلهم ينسون خصائص الفرد.. واحتمال وقوع شرور فادحة تغير وجه الحياة التى يرون.. وهذه الأحلام أيضاً عطلت ايجابياتهم.. وشلت رسالة الأدب كعامل من عوامل التوعية.. والقيادة. ومن هذا

---

(١) الأدب المقارن ٢٦٢.

(٢) طبقات الشعراء: لابن المعتز. واليتيمة: الثعالبى.

(٣) تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى: طه حسين.

انبثق مذهب جديد ربط الأدب بالحياة.. وأرجع أحلام اليقظة إلى الواقع الصاخب المتفاعل بالمعطيات.. والسلبيات.. ذلك هو «المذهب الواقعى».. لقد سئم الناس الخيال المجنح.. ورأوا أن الأدب فقد كل خصائصه.. وسنة الحياة هكذا كلما أغرق الناس فى شيء انبثق من وسط هذا الإغراق عامل يكبح الجماح.. ويرد الشرود.. ويوجه القافلة إلى مسيرة أقوم.. وأسلم، وفى الأدب العربى أمثلة كثيرة على دلك لعل من أبرزها انبثاق الزهد فى الشعر العباسى.. من حضيض التحلل.. والمجون الذى غذته روافد الشعراء كأبى نواس.. وبشار.. وسلم الخاسر .. ووالبة ابن الحباب.. ومطيع بن إياس.. فمن هذا الوحل خرج شعَراء الزهد.. كأبى العتاهية.. ورابعة العدوية.. وصالح بن عبد القدوس.. وغيرهم ممن زخر بهم الأدب.. وحفلت دولة الشعر. وبهذا نجد أن الواقعية حد لتيار الرومانتيكيين الذين أسلفنا جانباً من خصائصهم وسماتهم.

لقد انعَدمت الموازين الدقيقة عند الرومانتيكيين.. وأُنستهم أحلامهم.. وشبوب العواطف كمية المقادير فى تحديد أهدافهم وتطلعاتهم.. ولهذا جاء الاتجاه الرومانتيكى بعيداً عن حاجة الفرد.. الذى ينادون من أجله.. وبعيداً عن حاجة المجتمع الذى هو عبارة عن مجموعة من الأفراد.

لقد انداحت دائرة الرومانتيكية فى العالم العربى.. وخاصة فى لبنان لوجود عوامل كثيرة.. أجملها بعض النقاد فيما يلى : —

١ — نشوء الوعى الفردى.

٢ — نشوء الطبقة الوسطى إثر النشاط العلمى.. والتجارى.. والصناعى.

٣ — الانتفاضات ضد الارستقراطية الدينية.

٤ — قوة الحركات السياسية القومية.

٥ — ازدهار الروح العلمية.

٦ — ظهور الرجل العصامى المعتز بجده وثقافته.

٧ ـــ الثورة على الأدب التقليدى القديم. (١)

.. والذى نقل الرومانتيكية الحديثة إلى العالم العربى «خليل مطران» فى مصر.. و«جبران» من أدباء المهاجر الأمريكية ودعوة مطران.. تتلخص.. فى مراعاة الوحدة الموضوعية.. والعضوية.. والتجديد فى المضمون.. وتطعيم الشعر العربى بمذاهب الشعر الغربى.. وهو إلى جانب ذلك يدعو إلى تحرير الشعراء من التقيد بذوى الجاه والنفوذ.. وينكر تبعاً لذلك شعر المناسبات، وهو شاعر الوجدان الذى يغمره جو من اللطف والحنان والهدوء.. وقد لعب الحب فى حياته دوراً كبيراً.. كما لعب الألم فى نفسه، وكان منشؤه الظلم.. والطغيان.. ورومانتيكية مطران واضحة البصمات فى واجهة الشعر النجدى.. حتى الكلمات.. وأسلوب المعالجة.. يقول مطران فى قصيدة المساء:

متفــردٌ بصبابتــى متفـــرد بكآبتـــى متفــــرد بعنائـــــى
ثاو على صخر أصم وليت لى قلبا كهذى الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهى ويفتها كالسقم فى اعضائى

وعلى نفس الوتر يعزف الشعراء الشباب فى نجد.. فيقول العيسى:

وتمضى الليالى وأمضى بهـــا ونــفسى تئــن وقلبــى جراح
فلا الليـــل يأسو ولاينجلـــى ولا انا ميت قضى واستراح

ولاتخلو قصائد الشباب من مثل هذه الأنات الحائرة الجريحة.. فنجد الحجى.. يجسد مآسيه بصور مرعبة مرجفة.. فيقول مثلاً :

ياسورة الأشواق رفقاً بى فقد صيرتنى فى هيئــة المنحـــور
خليتنـــى أمشى وحيـــداً يائساً قيثار عمرى شهقتى وزفيرى
من لى بإخراجى من السجن الذى مافيه الا الصمت صمت قبور

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث.

.. والشيء الذى لا تقبله النفس.. ربط الرومانتيكية بالأدب العربى القديم.. فقد طلع علينا كثير من الأدباء بهذه المفاهيم.. يقول القبش نقلا عن كثير ممن عالجوا هذا المذهب «والشاعر الجاهلى رومانسيٍ بطبعه تحدث عن نفسه. فوصف شجونه وفرج عاطفته بوصف راحلته كما أنه عبر عن قسوة السفر.. وبعد الارتجال إلى غيره من العناصر الرومانتيكية التى كانت متوفرة فى الشعر الجاهلى القديم»[1].

..وقال: «ظهرت الرومانتيكية منذ القديم عند الشعراء والكتاب والرسامين والنحاتين وعند أفلاطون والمسيح وامرىء القيس وعند كثير من الشعراء الجاهليين والأمويين». إن إلمام الشعر العربى بشيء من خصائص الرومانتيكية لا يجعلنا نقطع بوجود هذا المذهب.. ثم ان نسبة هذا المذهب لهذا العصر لايحط من قدر الشعر القديم.. ولقد شق النقاد على أنفسهم.. وأسرفوا على الحقيقة حين أرادوا أن يجعلوا من الأعشى زعيماً رومانتيكياً.. وان يجعلوا بذور الرومانتيكية ضاربة فى عمق الزمن القديم. كيف يمكن أن نصف الأدب القديم بالرومانتيكية وهى قد ثارت على الصور[1] .. والاستعارات.. والتشبيهات.. فحولتها من المحسوسات.. الى جموح الخيال.. وأعمقت فى ذلك حتى غرقت فى الأحلام.. والضباب.. وثارت على الشكل القديم لمحاولة سحر القارىء.. ونقله الى غيبوبة حالمة وإذا كان القدماء يصفون الطبيعة بأسلوب موضوعى.. فإن الرومانتيكيين يرونها انعكاساً لما يعترى نفوسهم من حالات فلا يقدمون الطبيعة إلا من خلال ذواتهم المعذبة.. إن الرومانتيكية.. مذهب جديد ليس فى ذلك شك.. وليس هو موضوع تردد أو جدال.. له أدواته التعبيرية التى جاءت لاستيعاب الحالات الوجدانية التى أثقلت كاهل القوالب القديمة.. على حد مفهوم الأنصار.

---

(١) الشعر الحديث.

وبالرجوع الى الشعر النجدى الحديث لا نجد أن كل الخصائص قد توفرت فيه.. ولا نجد الدوافع التى أوجدت هذا المذهب قد عملت مجتمعة فى إحداث هذا الاتجاه عند النجديين.

فالاتجاه الرومانتيكى تجسدت معالمه فى مستهل النصف الأخير من القرن العشرين بعامل تدفق معطيات الحركات الأدبية فى العالم العربى.. وفى المهاجر الأمريكية.. ثم بإشراق حركة التعليم فى المملكة وانتشار الصحافة.. وتخلخل صوت الإذاعات عبر موجات الأثير إلى كل قلب تحوم فى وجدانه نسمات التطلع إلى مستقبل مشرق متفاعل.. لقد أخذ الشعراء الشباب بهذا البريق المتموج.. وشدهم ذلك اللون الحالم الذى يلذ مذاقه ويعذب سماعه.. ويطيب نشره.. لم يكن للشباب عهد بمثل هذه المعطيات الحالمة.. أو الضبابية كما يسميها المغرمون.. كانوا يقرؤون القصيدة فلا تحرك مشاعرهم.. ولا تذكى وجدانهم .. ذلك أن الشاعر القديم فى نظرهم.. نسي نفسه فى غمرة الأحداث.. ووسط صخب المناسبات.. وأصبح واجهة تشرق فيها رغبات الآخرين هذا الشكل من الشعر أعاد إلى الأذهان المفهوم القائل بأن الشعر سجل العرب وتاريخهم.

وما أن تقاطرت تلك التجارب الجديدة من كل أفق حتى تدافع الشعراء الشباب يجوسون خلال تلك المعطيات يقطفون من خيرها وشرها مالذ.. ويتفحصون أشكالها وألوانها. لقد عرفوا أن أشياء كثيرة قد فاتتهم وأنهم بتجاربهم الماضية قد عطلوا الكثير من رسالة الشعر.. وبدأت المحاولات.. محاولات التجديد داخل إطار الشكليات القديمة.. ثم انشق التكتل.. وتفرق الأدباء فى رحاب الشعر والأدب.. وتلونت الحياة الأدبية.. وتشعبت الطرق.. وخاض أرباب الكلمة فى خلاف لايعدو الهمس.. تارة.. والغمز.. واللمز تارة أخرى.. وتنفس الشعراء الشباب بشيء من حرية البناء الفنى.

«لكن الجميع استمروا فى ظل مفهوم إسلامى وتحت هيمنة السلطة التى تكافأ وازعها مع وازع الدين.. وبضابط ذاتى تكامل داخل النفس الشاعرة المبدعة نتيجة لأحكام المجتمع.. ونظرته».

لقد وقف الرومانتيكيون من الشعراء النجديين أمام ثلاثة حواجز.. أو ضوابط مستقيمة.. وداخل هذه الضوابط تكاملت تجاربهم الجديدة. هذه الضوابط يمكن أن نلخصها بالآتى:ـــ

١ ـــ الالتزام بروح الإسلام.. وعدم الخروج على مفاهيمه.

٢ ـــ احترام وازع السلطان الذى يرى من واجبه أن يحكم بنص قطعى الدلالة والثبوت.

٣ ـــ مفاهيم المجتمع.. وقوة سلطانه.

هذه القوى الرادعة صبغت الرومانتيكية النجدية بلون من التغيير.. وعلقت عليها طابعاً يسمح لها بالمرور عبر ممرات الفكر النجدى.. لكن هذه الضوابط لم تمتد إلى الروح الرومانتيكية ذلك أن تحكمها مدعوم، بمطالب الواجب.. وحتمية مقتضيات الأحوال.. وليس هو نبعة من التسلط والعنجهية.. قد نحمل المفاهيم الاجتماعية شيئاً من المسئولية.. وقد نلتمس العذر لها إذا ماخرجنا منها بدراسة واقعية موضوعية عميقة.. إلا أن هذا الأمر لا يعنينا بقدر مايعنينا رصد تطورات هذا اللون من الاتجاه.. إن تطور الرومانتيكيين يصور إلى حد كبير تطور المجتمع وتفهمه للحياة الجديدة فالشعر النابع من هذا المذهب يتخذ حريته بقدر اتساع فهم المجتمع.. وبقدر قابليته.. وقدرته على التفاعل مع مايجد فى هذه الحياة المتغيرة.

وقوة أخرى درأت الإندفاع فى عمق هذا المذهب تلك هى فئة المحافظين الذين يتخذون من العقل قائداً ويرفضون الاتجاه العاطفى.. والنفسى.. ويؤمنون بمقاييس أخلاقية لاتخرج عما تواضع عليه الأولون.. واضفاء لون من القدسية

عليها.. ثم المحافظة على صور.. وأشكال الحياة القائمة بكل مافيها وماعليها.. هذه القوة تعتبر الجبهة المخيفة والمسالمة فى آن واحد فى مواجهة الحركة الجديدة.. فالصدام بين الفئتين لم يقم بعد لعدة عوامل.. لعل من أهمها تلك الضوابط التى أشرنا إليها.

إن الجماعة المحافظة كما قلت تحترم الذوق الجماعى.. وتحافظ على ترابط المجتمع وتماسكه تحت كل المفاهيم القديمة.. ثم هى لاتؤمن بالتحرك لعامل ذاتى. بل هى ترى أن التحرك يجب ألا يتم إلا من خلال تجربة موضوعية.. تهم الناس جميعاً وترتبط بمصالحهم المادية والروحية.. بينما نجد الرومانتيكيين لا يتفقون معهم على كل مايريدون.

قلت إن الصدام بين الفئتين لم يكن.. وأقول.. أن التجديد الذى انداحت دائرته فى محيط الشعر النجدى تم بطريقة تحولية.. واتسع مع الزمن وإن كانت بعض فلتات اللسان.. وهفوات القلم تبدو فى كثير من المواقف.. لكن هذا لا يمكن الدارس من الحكم بقيام ثورة بين الاتجاهين[١]

---

(١) للمزيد من المعارف.. عن المذهب الرومانتيكى راجع:
- الرومانتيكية: د/ محمد غنيمى هلال.
- اتجاهات الأدب الانجليزى: جميل سعيد.
- الأدب المقارن: د/ محمد غنيمى هلال.
- الأدب ومذاهبه: د/ محمد مندور.
- الأدب وفنونه: د/ عز الدين اسماعيل.
- مذاهب الأدب: د/ محمد عبد المنعم خفاجى.
- الرومانتيكية: ترجمة: بهيج شعبان.
- فن الشعر: احسان عباس.
- الرومانتيكية ومعالمها فى الشعر الحديث: عيسى يوسف بلاطه.
- خليل مطران شاعر العربية الابداعى: اسماعيل أدهم.

الشعراء الرومانتيكيون

..إذا كان الشاعر النجدى المرحوم.. محمد بن عثيمين.. زعيم المحافظين.. فإن الأمير عبد الله الفيصل(١).. يعتبر بحق زعيم الابداعيين بدون منازع.

وهنا أود أن أشير إلى رأى أرجو ألا يكون من الخطورة بحيث يضيق به الآخرون ذلك أنه من الممكن جعل الشاعر خالد الفرج زعيماً آخر يحاذى الشاعر الأمير.. لو وجدت القناعة التامة بعدّه من الشعراء النجديين.. وإذا كان الدارسون لأدب الجزيرة قد اختلفوا نحوه.. فعدّه الأستاذ عبد الله بن ادريس شاعراً نجدياً.. بينما عدّه آخرون من شعراء الكويت.. فإن مرد الحكم إلى القارىء.. إذا علم أن الفرج يعتبر من أصل نجدى لكنه وأبويه ولدوا خارج نجد.. ودرس هو وعمل.. ومات.. خارج نجد.. يقول عن ذلك ابن ادريس نفسه «وقد هاجرت أسرته منذ عشرات السنين من وادى الدواسر جنوبي نجد الى ضفاف الخليج العربى».. الى أن قال: «أخيراً استقر المقام ببقية الأسرة فى الكويت حيث ولد الشاعر خالد عام ١٣١٦ هـ».. ثم عمل فى المنطقة الشرقية أيام عهد الملك عبد العزيز.. وانتقل بعد ذلك إلى سورية ولبنان حيث وافاه الأجل عام ١٣٧٤ هـ.

---

(١) من مواليد مدينة الرياض.. رباه جده الملك عبد العزيز.. وتولى مناصب هامة كوزارة الصحة.. والداخلية.. استقال عام ١٣٧٨ وانصرف للأعمال التجارية.. له ديوان «وحى الحرمان» ١٣٧٣ ـــ ١٩٥٤م. وذكر له قبش دواوين أخرى هى:ـــ «وحى الحروف» ١٩٦٥م. «خريف العمر» ١٩٦٢م.

وأنا هنا لا أنكر نجديته من حيث النسب.. لكن عدّه من شعراء نجد أمر أشك فيه.. ولهذا عدلت عن دراسته وأرجو ألا يضيق من ذلك أحد.. فأنا حريص على أن تكسب نجد الكثير من العباقرة.. لكن فى حدود حقها.. وبحكم المنطق لا بحكم العاطفة ولا على حساب غيرها.

لن أمضى إلى أكثر من ذلك فقضية كهذه لا تقع فى صميم بحثى.. وربما أعود إليها فى وقت مناسب.. أما عن زعامة الشاعر الأمير لهذا الاتجاه فى نجد.. فإنها تتجلى فى كل قصائده لا أستثنى من ذلك إلا القليل.. ففى شعره تلمس الكثير من خصائص الرومانتيكيين.. ويعد من الشعراء العذريين الذين ضربوا صفحاً عن الغزل المادى المكشوف.. ووطئوا ثرى الحب العاطفي المتصوف.

قال عنه ابن ادريس: «يمتاز شعره بشبوب العاطفة.. والعفوية.. والخيال الخصب.. والموسيقية الكلاسيكية» ومع أنه يضرب بسهم وافر فى مدى الابداع فهو لا يرى التحرر من قيود الفن.. وهذا الاتجاه خرج به من محيط الابداعيين من الشباب الذين انسلخوا من شكل القصيدة العربية ومضمونها ومع التزامه بهذه القيود تتسم قصيدته بالترابط.. وموسيقاه بالإيقاع العذب المشرق..

استمع إلى هذا الإيقاع البديع المتكامل :

قلب رعـــاك ومـــا ارتضى فِي حبــه ابـــداً بديلـــه
أسعدتـــــه زمنـــــاً وروى وصلك الشافــــى غليلـــه
مابـــال قلـــبك ضل عـ ـنه فما اهتدى يوماً سبيله
وسبيلـــــه الذكــــرى اذا ما داعبـتك رؤى جميلـــه
فى ليلـــة نسج الغـــرام طيوفهــــا بيد..نحيلـــــه
واطـــال فيهـــا سهدكـــل متيـــم يشكـــو خليلـــه
سمـــراء يا أمـــل الفـــؤا د وحلمـــه منـــذ الطفولـــه

إن الأمير الشاعر.. استطاع أن يطوع عمودية الشعر لاستيعاب تلك المشاعر.. كما استطاع شوقى تطويعها لاستيعاب القصص.. والتمثيل.. ويعد الشاعر ممن خلصوا للتجربة الذاتية.. وارتفعوا عن صخب الحياة ومطالبها.. وله بعض القصائد الواقعية لكنها لاتخرجه من صومعة الحب.. والمناجاة. تحدث الدكتور طه حسين عن حب الأمير وعدَّه من الشعراء العذريين.. فقال عنهم «إن هؤلاء العذريين ليسوا جماعة المحرومين الذين أحسوا أنهم يفقدون شيئاً ويألمون أشد الألم لفقده.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يتبينوا حقيقة الشيء الذى فقدوه فاتخذوا المرأة رمزاً لما فقدوا.. واتخذوا الحب رمزاً لما أحسوا من لوعة وحسرة وألم.. وأخذوا الغزل وسيلة الى الأنين والحنين والشكاة.. والبكاء»[1].. وديوان الشاعر المطبوع يكاد ينقطع لهذا اللون من الحب النقى العفيف الذى تلمس فيه روح ابن أبى ربيعة.. وجميل.. وكثير.. فى شكواهم.. وولههم.. وحرقتهم.. هذا الاتجاه الرفيع من ألوان الأدب انصهر فى بوتقات عدة.. وتكامل داخل تيارات متنوعة نسقت بينها موهبة الشاعر وقدرته.. وأصالته.. وإبداعه. يقول الدكتور طه حسين: «يخيل إلى أن شاعرنا الأمير سيكون موضوع نزاع بين الجزيرة العربية التى نشأ فيها.. وبين لبنان.. ومصر لأنه ألم بهما غير مرة وقرأ شعر المعاصرين»[2].

وعن تأثره بالتيارات الأدبية الأخرى يقول الدكتور محمد خفاجى: «وقد تأثر بالأدب المهجرى الشعراء فى العالم العربى.. وفى الجزيرة العربية السعودية أيضاً.. ولشكر الله الجر قصيدة عنوانها «سمراء» ومطلعها : —

سمراء ياحلمي الشهى ويا أمانى الطروبه

هى التى أوحت بقصيدة «سمراء» للأمير عبد الله الفيصل[3].

---

(١) من أدبنا المعاصر: د/ طه حسين.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قصة الأدب المهجرى.

ويقول محمد بن حسين بهذا الصدد.. «وأكاد أعتقد أنه تأثر باثنين من شعرائنا المعاصرين خاصة: وهما على محمود طه وإبراهيم ناجى رحمهما الله.. وتأثير هذين الشاعرين فى شعر هذا الديوان أظهر من أن يحتاج إلى دليل»[1].

..ومن مجموعة الآراء يتضح أن الشاعر الأمير جمع بين الموهبة.. والتأثر الناتجة عن دراسة تلك التيارات الشعرية الجديدة. وفى حديث الناقد اللبنانى المشهور. مارون عبود.. يلحقه بالشعراء المخلصين الكبار الذين أباحوا بما لديهم واستراحوا[2].

ورغم أن ديوان الأمير مجموعة من القطع المترفة الناعمة.. البعيدة عن السحنة الخشنة التى تلف صحراء الجزيرة مرابع صباه.. ومسارح نظره.. وارباض سياحته.. فإن ومضات خافتة تلوح بين الحين والآخر لتجره فكرياً على رمال هذه البيداء يتنسم أرواحها.. ويشم عرارها.. ويستوعب.. بتأملاته.. شواهق جبالها وخشونة سهولها.. وأخاديد سيولها.. ويرسل نظراته الشاردة وراء الأظعان وهى تمشى وئيداً.. ويفجر ضجره قائلا : ـــ

أزمعوا بينـــا وشدوا رحلهـــم فتوارى طيف أحلامى الجميل

وفى هذا يقول الدكتور طه حسين:ـــ «شاعرنا إذن بدوى النزعة فى هذا الحب النقى العفيف الغريب البعيد فى وقت واحد».

ويذهب ابن ادريس إلى أنه من دعاة مذهب الفن للفن.. أو الفن للجمال.. وليس فى معطيات الشاعر وتجاربه الشعرية مايثبت ذلك.. ولعل هذا الحكم دفع الكاتب.. أحمد قبش إلى حشره فى زمرة السرياليين ـــ وهذا الآخر خطأ ظاهر.. فالذين يدرسون خصائص السريالية لا يجدون فيها مايمكن أن يسم الشاعر.. ولكى أبطل دعوى القبشن نعودٍ الى سرد بعض مفاهيم السريالية.. أو

---

(١) من أدبنا المعاصر: د/ طه حسين.

(٢) جدد.. وقدماء: مارون عبود.

الفرويدى.. كما رغب أن يسميه بعض الدارسين.. أو مافوق الواقع فهو مذهب يقوم على تحرير الغرائز.. والرغبات المكبوتة.. فى النفس البشرية وإشباع هذه الغرائز والرغبات إشباعاً حراً طليقاً لا يخضع لأى قيد.. ولا تردعه أية مواصفة من مواصفات المجتمع.. والسريالية تنادى بالخروج على كل عرف وتقليد.. فهى فى الأدب تنفر من موضوعات الفكر الجارية.. وتحتقر الأساليب السائدة فى أشكالها وصورها ومجازاتها.. وكلماتها.. وتسخر من العقل ومنطقه.. وجل إلهاماتها من الأحلام والرؤى ودفعات اللاشعور.. ويرتبط هذا المذهب إلى حد كبير بعلم النفس عند فرويد.. وفلسفة هيجل. الذى ينكر حتى الطبيعة.. إن هذا المذهب الذى وضعه «القبش» سمة للشاعر الأمير.. وللشاعر أحمد عبد الغفور عطار ــ يريد أن يتحلل من واقع الحياة.. لأنه يرى نفسه فوق الواقع.. الذى هو ــ يتصور هذه الفئة واقع آخر ــ أقوى فاعلية وأعظم اتساعاً وهو ما يعرف بواقع اللاوعى.

هناك قصائد للشاعر يمكن إدراجها ضمن مذهب الفن للفن.. ولكنها لاتستطيع أن تجذب الشاعر وكل تجاربه لهذا اللون من الاتجاه.. وربما يكون ذلك مما استدعى الكاتب إلى أن يستدرك بقوله :

«ولكن الأمير الشاعر ــ ومع ذلك ــ ليس ممن يقبع فى إحدى زوايا هذه الرومانتيكية المتصوفة بعيداً عن حياة مجتمعه وأحاسيسه»(١)

والشاعر.. مع أنه يتسم بالاتجاه الرومانتيكى.. إلا أن رومانتيكيته لا تحتمل كل سمات هذا المذهب فهو يصدر من حرم هذا المذهب وسماته العربية الأصيلة واضحة مشرقة.. فهو يحترم قيود الفن.. ولا يريد لتجاربه أن تضيع بين مشعور النثر الذى ملأ الأفق.. وأتخم الفكر العربى.. وحفل به كثير من كبار الكتاب وعمالقة الشعر.. وفوق ذلك فهو يحارب هذا الاتجاه.. ولهذا فهو مع

---

(١) شعراء نجد المعاصرون.

هذا المذهب فى مضامينه.. وتبعاً لذلك يعتبر جسراً قوياً بين المذهبين.. الاتباعِي المجدد.. والابتداعِي المتطرف.

ورغم أنه يعيش لفنه.. ولذاته.. فإنه أيضا يعيش لبلاده.. وذويه.. لكن فراغه لنفسه طويلاً يتبتل فى حرم الشعر والحب.. تبتلا يوحى بالتأثرية العميقة.. وهذا التبتل يبقى للشاعر طهارة العاطفة ويبعده عن المادية المكشوفة التى نراها متجلية عند كثير من الشعراء العاطفين أمثال نزار قبانى ومن لف لفه من أصحاب أدب السرير.. ودعاة الإباحية.

وأنت حين تلم بعطائه وهو يتفاعل مع بنى وطنه يصور آمالهم.. وآلامهم تلمس فى ثنايا شعره ممارسة فعلية توحى بالتشبع الإنسانى. وبالوطنية الدفاقة الواعية.

ماالمجـــد يطـــلب بالمنـــى   كلا ولا السمـــر الـــقضاب

المجـــد ينـــى بالعلوم..تـــ   ـــهـــز عالمنـــا العجـــاب

والعلـــم رايـــة كل شعب   ناهض سامـــى الرغـــاب

وعليـــه فالنبتن الحيـــاة   ولا نساوم فى الشـــواب

ولننطلـــق فى عزمنـــا   مثـل انطلاقـــات الشهـــاب

كيمـــا نرى فوق السهـــا   ليمـــا نمجـــد فى المـــآب

هذى نصيحـــة مخـــلص   يهـــوى المجـــادة والطـــلاب

فالشاعر هنا ينفلت من ذاتية العذرية .. وتغنيه بآمله.. وآلامه.. ليفجر — فى أوساط الشباب ايجابياته التى أملتها تطلعاته الباسمة لمستقبل هذه الأمة.. إلا أن هذا الانفلات لا يطول كثيراً فأنت لاتلبث أن تراه يهمهم فى محراب الحب العذرى:

ورجعت للمحراب انشد عزلتى   لكن خيالك كان فى محرابى

ونفث من صدره ذلك المحصول الفكرى المتكامل داخل إطار من المعاناة

الوجدانية التى بقيت تخفى جزئيات تكاملها عن النظر المجرد.. وحتى عن النظرات الفاحصة الممعنة فى الفحص.. والجس.. والتدقيق.

إنها الرومانتيكية التى تعمق الألم.. وتوسع دائرة المعاناة.. وتربط الإنسان بخيوط ناعمة رفيعة من الأمل البعيد المغمور فى أشباح مخيفة من التصورات المتضجرة.. لا لشيء اكثر من الاستعداد النفسى.. والقابلية للاستيحاء.. والخضوع لنوازع النفس المخيفة..

والرمزية التى وصفه بها الدكتور طه حسين ــ لاتعنى المفهوم الرمزى الحديث.. بل تعنى إخفاء المقاصد بتحويل التجربة الى شكل آخر يتيح للشاعر الراحة كما قال مارون عبود:ــ «باح..واستراح»

إن الشاعر يكفينا مؤونة استجلاء مفهوم الشعر عنده.. وهو بهذا يضع نفسه فى المكان المناسب.. متصدراً بذلك طلائع الإبداعيين.

الشعــــر يوحيـــــه الربيـــــع وجمالـــــه التـــرف البديـــــع
الشعــــــر هزات الفــــؤاد للـــوصل أو خوف البعـــــاد
الشعــــر يعشـــــه الخيـــال ان عز فى الدنيـــا منــــال[1]

ثلاث أسس.. هى مقدمة خصائص الرومانتيكية.

١ ــ الهيام بالطبيعة.

٢ ــ حكاية الحب.. عند اللقاء.. وعند الفراق.

٣ ــ استيحاء الخيال المجنح.. عندما تتعذر أمانى الإنسان عليه.

وتلك هى من طلائع سمات الإبداع فى هذا المذهب الجديد.. ويضيف إلى ذلك فى مقدمة ديوانه : ــ

«.. فى هذه المجموعة صورة من شعورى وإحساساتى المختلفة كما هي.. لم يجملها التزويق.. ولم تلونها الأصباغ لأننى أريد أن يكون شعرى «صورة طبق

---

(١) الديوان: ٣١ من قصيدة «طلائع الخريف».

الأصل» لحياتى.. وصدى حقيقياً لشعورى.. وعواطفى.. وآمالى وخيالاتى.. وانفعالاتى النفسية.. وذلك هو الشعر»[1].

والشاعر إذاً يصدر من إحساساته المختلفة.. ويعبر عن مشاعره.. وعواطفه.. ويصور آماله وتطلعاته.. ويجسد خيالاته المجنحة.. ويرسم بريشة ملهمة تلك الانفعالات النفسية.. أننا على هذا المفهوم نستطيع أن ندرس الشاعر.. ونستطيع أن نحدد أبعاده الفنية.. بقدر ما نستطيع تحديد أبعاده الجسمية إذا مثل أمامك.. أنه وضع تجاربه الذاتية فى قوالب الفن الرفيع فجاءت تجاربه الشعرية تنبض بالحياة.

بقى أن نعرف بعد المدى فى إيمانه بالتجديد الشكلى.. وما ألمحت إليه.. وألمح إليه الأدريس يعطينا طول المدى الذى يمضى إليه الشاعر فى هذا المجال.. إنه يمقت الكثير من هذا التجديد.. فهو شاعر عاطفى يريد للرنة الموسيقية أن تتكامل لتضافر النغم الحلو مع التعبير الصادق فى إذابة هذا التكثف من الألم.. والكلمة وحدها لا تكفى لتخفيف هذه المعاناة مالم تواكبها نغمة موسيقية هادئة عذبة لتكون لها ظهيراً فى هذا الصراع النفسى العميق الجذور فى خلايا النفس وأنسجتها..

أن الشاعر يرفض التجديد الذى يطمس السمات العربية.. لكنه لايتخذ سوط الأصمعى.. ولا معول جبران.. يحب من التجديد ما أحب الأندلسيون الذين بهرتهم حياتهم الحالمة فالتمسوا لها تلك الموسيقا الرائعة.. فى موشحاتهم البديعة فى شكلها.. المشرقة فى نغمها.. الهادئة فى إيقاعها.. ولعل هذا الميل أوحته «العصبة الأندلسية» فى المهاجر الأمريكية الجنوبية.. الذين استلهموا تجديد الأندلسيين بكل مافيه من تحفظ.. من هذا اللون قصيدة.. طلائع الخريف.. وهو تجديد لا يذيب سمات الشعر العربى.. داخل ضباب

---

(١) الديوان: ٢٣.

الفوضوية.. ونحن نحمد للأمير هذا الالتزام الذى حفظ لشعره هيبته ورداءه.. ونحى عن حرمه.. خفافيش الظلام الذين أعياهم الصعود.. فهتفوا بالانهزام.

قصائد الشاعر العذرية كثيراً ماتتسم بالرفض.. والأنفة.. فهو وإن كان عذرياً شفافاً إلا أن عربيته المستلهمة من شم الجبال.. ومن خشونة الصحراء تجريه بعيداً عن المترفين الذائبين.. المستسلمين.

ودعت أيام الربيع الناضر ... ودفنت آمالى ووحيِ خواطرى
ووأدت ما فى القلب من ذكر الصبا ... ونفضت عن ذهني خيال الشاعر
لاحب والغدر الختون يحوطه ... ولي الغرام مع الحبيب الغابر
هى وردة ظمأى وقد رويتها ... إذ قل عنها الغيث ــ ماء نواظرى

هذه التجربة.. تجربة الحب.. أو تجربة الحياة تجمع بين مرارة الألم من حب يتخلله الغدر.. وتنفذ فى صميمه الخيانة.. وبين مرارة الوداع.. لهذا الربيع الناضر.. الذى يبث نسماته.. ويفتح أكمامه فى قلب الشاعر.. ثم تسحقه وهجات الخريف.. وزفرات الرياح الملتهبة.. هذه الآمال العريضة التى دفنت فى تربة النسيان إن أمله يخيب.. ويصحو على صيحات الواقع فينفلت من مجنحات الخيال.. ويهبط من سبحات الوهم لتنداح فى ذاتية آلام الخيبة بعد تنكر هذه الوردة التى عز عليها الماء فالتمسته فى نواظره فكان طائعاً يسكبه حرقة.. والماً.. إن هذا التصوير البليغ البديع طوعته عوامل الرومانتيكية الصاخبة بضجرها.. المترددة فى متاهات حيرتها.. المترنحة من حدة قلقها.. وعنفوان رفضها..

لم ادر حين سقيتها ورويتها ... أنى سأجزى بالعقوق السافر
ياقلب لا يحزنك ماضيعته ... من حبك الوافى لعهد غابر

قاتل الله الرومانتيكية.. وبضاعتها.. لقد سحقت البسمة على الشفاه..

وأوقدت النار فى الصدور ثم ساقت أولئك الموهوبين ليندبوا.. ويُعولوا فى محرابها.

حتى السعادة حين تلقى بنفسها فىَ ربوعهم يتنكرون لها.. ويحسبونها ويلات مصبوغه لقصد الخداع..

فالشاعر حمد الحجى يقول : —

إن نظرت الجمال غضا طرياً يتجلى فى المنظر الخــلاب
لاح لِي اسود المصير كمسـ ـود الليالــى مكــز الأنيــاب
فرأيت الجمال يطوى بأكفان ويُبلـــى ممـــزق الأسلاب
واذا ما الحياة قلبى يومـــاً فرحتـــه |بزورة الاحبـــاب
أيقنت نفسى الفراق طويــلاً ورأيت الوصال مثــل السراب
وإذا ماالكئوس صفت أمامى يتراقصن من مصفــى الشراب
واحتساها قوم وغنى المغنى بلحــون تطيـــح بالألبـــاب
صرت وحدى الباكي يظن بأن الد مع دمع السرور لا الأوصاب
وإجتنبت الطلا ولم اسمع اللحـ ـن ولم ادر عن فتون الشباب
وتناهى لمسمعى صوت كف عصفت بالشراب والأكـــواب
ومحت آية السرور وابــقت حزنا — حل — أسود الجلباب
وتراءى لي الندامى وقد صا روا حطاماً فى حزمة الحطاب
هكذا كنت فى حياتي عجاباً يالقلبى من هول هذا العجاب

وهكذا نجد الشاعر الأمير يحسب ليالى الأنس غريبة عليه.. فهى لا تشبه خيط عمره..

ليلـــــة مرت بدهـــــــرى لم تكـن من خيـط عمـــرى

وهنا أقف عند «خيط العمر».. وعند.. «قد نسيت نفسى».. من قوله:—

قد نسيت النـــفس فيهـــا وجعــلت الـــحب خمـــرى

لأقرر أبعاد الرومانتيكية.. إن السعادة ليست من عمره.. لأنه أبداً يعيش

الشقاء تحت موحيات الحاسة الجديدة حاسة الرومانتيكية.. فهذه الليلة التى مرت عليه بسعادتها ليست من نسج العمر الذى اعتاده.. واحتمل عذابه ومآسيه.. ثم إن هذه السعادة.. لم تتكامل فى محيطه.. ولم يحس بمذاقها العذب.. حتى افترض نسيان نفسه.. لأنه لو دعاها لأنكر هذا اللون من السعادة.. هذه التلميحات الخاطفة تشده بالرومانتيكية القلعة المتبرمة من كل شيء.. الهاربة عن كل شيء.. حتى عن وعيها الذى يربطها بالظواهر فى إحساس متكامل يضاعف الألم ويعقد الخلاص.. وهو حين لا ينسى نفسه تظلم الدنيا فى وجهه.. وتتهجم له ملامح الحياة.. فتلجئه إلى قيثارته ليعزف عليها لحنه الحزين الذى لازال يتوسده ليهدهد وعيه بحثاً عن إغفاة تزيحه عن صخب الآلام.

كل إلـف قد تهنـــى وغرامـــه
غيـر قلبـى لم يزل يشكـو هيامـه

إن الشكوى المريرة.. لغة حية فى رحاب الرومانتيكيين تترنح على شفاههم.. وتلف أجْسامهم.. وتنفذ إلى أسماعهم.. فلا ينظرون الا ظلاماً.. ولا يسمعون إلا ندباً وعويلاً.. ولايذوقون إلا المرارة.. ولا يلمسون إلا الشوك.. ولا يشمون إلا النتن.. حتى وإن كانت الدنيا مشرقة.. والنغم حالماً.. والمذوق شهداً.. والملموس ورداً.. والمشموم عبيراً. هكذا أرادت هذه الفئة لنفسها.. عذاباً متصل الحلقات.. أشبه شيء بالشنفرى الأزدى.. الذى تهاداه التنائف.. فى جوعه.. وعريه.. وظمئه.

حتى لغة الطير التى يطرب لها المشتاقون المتفائلون.. تنقلب إلى وحي مؤلم عند هذه الفئة التى ظلمت نفسها.. وظلمت الفن..

ياطير هيجت من الآمى وأشجانى بما تغنيـه من الحـان ولهـان
بى مثل مابك من احزان مغترب فالكل منا وحيـد مالـه ثانـى
بعثت شكـواي الحانـا مرتلــة وانت شكـواك ترجيـع لألحـان

..وليس الأمير أول من لفته صدح الطير.. ففجر فيه ينابيع العطاء.. إن للغة الطير رنة ثره تلهم الشعراء الوالهين الكثير من الذكريات المشبوبة.. التى تحرك كوامن النفس وتنبه غافى الذكريات فتدع الشاعر فى درب العطاء والإثراء يمطر أحساسيسه.. ويزجى مشاعره نغماً عذباً.. وترنيماً شجياً.

وليل المحبين دائماً سفر آلامهم .. وسجل آمالهم.. ومتنفس حرقتهم.. يلتمسون من النجم مؤنساً ومن تكاثف الظلمة ردماً يبعد عنهم أشباح الناس الناقمين.

اذا ما احتوانى الليل أبديت لوعتى ويعلمها نجم رقيب على سهدى
أناجيه والآلام تفرى حشاشتى بما يعترينى من غرام ومن وجد[1]

وكل ديوان الأمير يمثل هذه المناجاة.. بين محب أبى.. ومحبوب متلون.. ويمتد ظل الكآبة على كل القصائد بوحيٍ من الرومانتيكية التى استطاعت أن تصبغ شعراءها بصبغتها.. فتدع مميزاتهم واضحة واتجاههم متقارباً..

والشاعر الثانى.. الذى يتجه اتجاها رومانتيكياً مؤلماً فى تجاربه الشعرية.. الشاعر النجدى محمد فهد العيسى.. وهو شاعر يقع تحت سلطان الصراع النفسيِ.. ولايظاهره فى ذلك الصراع إلا إيمان متزعزع.. وثقة عجفاء ورؤية باهتة لاتنير أبعد من موضع الأقدام.

إن الم الشاعر الأمير يفضى به عبر حياة حب معذبة.. بينما العيسى يفضى به عبر أزمات نفسية وضيق.. وملل..

هذه العاطفة النفسية.. وهذا الشرود الذهنى يتململ تحت واقع محافظ لايدع للحائرين تفجير حيرتهم.. لأن المجتمع محكوم بقيم .. ومبادىء.. تواطأ المجتمع على احترامها.. والمحافظة عليها.. وفى هذه الظلمة ووسط هذا الصراع الدامى تجسدت محبوبته أبعد ماتكون فى خصائصها عن ربات

(١) الديوان: ١٢٤.

الجمال.. بدأ الشاعر وراء هذه التصورات الواهمة مطاردة لاهثة.. ليسقط عليها محصوله الفكرى..

أنا من ترى فى هذه الدنيا وماذا ماكون
انا وهم احلام وآمال تلاشت فى سكون
أنا لست اعرف من أنا.. !!ياقوم هلاتعْرفون
أنا حيرة ضلت سبيل الرشد تسعى فى جنون

..وهنا يبلغ الشرود قمته فتنكسر حدة التمرد.. ويتلمس الشاعر مصادر الأمن والاستقرار فى ظل إيمان عطله إبان الثورة النفسية.. ولايزال يعطله عندما تنهكه الموجات العاتية من شروط الزهن.

لاهم خذ بيدى اليك فقديئست من النجاة
خذنى اليك سئمت فقد العيش فى هذه الحياة

..هذا العيش الذى فقده لا يعنى المواد الغذائية التى تبنى خلايا الجسم.. وتنشط الدورة الدموية.. وتعطى الطاقة.. إنه عيش من لون آخر.. تمتد إليه أيدى الرومانتيكيين فتقصر عنه ـــ أو تتوهم أنها تقصر عنه إن هذا الضيق الذى لجأ الشاعر إلى التماس الموت ليجعل به نهاية لقلقه وحيرته.. وضجره يحدد لنا اتجاه الشاعر الرومانتيكى.. ذلك الاتجاه الذى عمر طائفة من الشعراء الشباب فى نجد وصبغ عطاءهم بهذا اللون الشاحب الزاخر بالتشاؤم.. والهروب من الواقع.

وقصيدة أخرى يتكامل فيها تجسيد المأساة النفسية التى يعيشها الشاعر إما على ضفاف الوهم.. والوساوس.. أو على مدرجة الحقيقة.. تحت عنوان: غداً أنتحر..

وفيها نلمس أن الشاعر وهو يتململ تحت ثقل الآلام.. وسواء أكانت ذات متألمة أم أنها أوهام كثفتها التخرصات والنظرات المتشائمة.. فإنها توحى ببلوغ الغاية من الضيق والضجر.. وعدم وجود قوة ثابتة من الإيمان يلوذ بها الشاعر..

ليحتمى من هذه العواصف النفسية.. وإعصار الشك.. مع أن تجربة الشاعر أفقدت الفن فى هذه القصيدة رسالته.. لأنها لا تتدرج فى تصوير الألم.. ولاتلتمس العلاج..

تراودنـــى فكـــرة الانتحـــار لأجعـــل حداً لأحزانيـــه
وأنهى حياتى حيـاة الشقـاء وأقتـــل بؤسى وآلاميـــه

هذا الضيق.. وهذا التبرم.. لا أتوقع صدوره من شاعر مقلد.. بل هو يعيش تحت سيطرة نفسية مشبوبة .. تلون عطاءه بهذه الثورة العمياء.

وهناك أوجه شبه بينه وبين الشاعر حمد الحجى الذى ينظر إلى كل شىء بمنظار اسود قاتم.. لكن الحجى يفوقه بالإشراق.. والوضوح.. والعرض الموضوعى لأبعاد المشكلة.. وبالتالى يستطيع الحجى تقرير أبعاد المعاناة.. ونقلك إلى جو المشكلة.. فى الوقت الذى لا يستطيع معه العيسى إلى شىء من ذلك ـــ إن ألم العيسى وشكايته صاخبة عاتية.. بينما نجد شكاية الحجى موضوعية متسلسلة فيها جانب كبير من المعالجة.. ونشدان الحلول.. والتماس المنافذ.. ومع هذا فإن الشاعرين يتجهان اتجاها رومانتيكياً واضحاً..

وبقية شعراء نجد المتشائمين يتذبذبون بين مذهب الحجى.. ومذهب العيسى. هذا الضيق.. وهذا التبرم.. كما قلت لايصدر إلا من معاناة فعلية.. لكن الخصائص النفسية والمزاج النفسى الخاص بالشاعر صبغ هذا الضيق.. والتبرم بهذا اللون من الصخب.. والتمرد.. والثورة العارمة.

وتمضى الليالى وأمضى بهـــا ونـفسى تئـن وقلبـى جراح
فلا الليـــل يأسو ولاتنجلـــى ولا أنامـيت قضى فاستـــراح

إنه فى كل تجاربه يقف على حافة القبر.. وهذا أقصى نوع من الإنهزامية. إن نشدان هذا الحل يعنى نفض اليد من كل الحلول البديلة ذات الأثر الإيجابى.

وله قصيدة «غريب»(١) يقول فيها :

فؤادى تصبر.. ولذ بالحذر فأنت وحيد بدنيا البشر
وانت وحيد بكون النفاق بدنيا الرياء بأرض الكدر
شدوت بلحن الهوى شاعراً تناجى النجوم وتهوى القمر
فقالوا شقى به جنة يرى النور حيث الظلام إنتشر
وتهتف للحب فى نشوة فقالوا ضليل وقالوا كفر
وقالوا غوى رمى المحصنات وراء الخدور ولم يستتر
وحق على الدين رجم البغي وطرد الغوى إذا ما انشهر

إنه بهذه التجربة يحكى قصة حياته.. ويلتمس شروده من واقع اجتماعى جسدته بهذه الصورة نوعية المعاملة الفكرية بينه وبين المعارضين له الأمر الذى جعله يتصور نفسه وحيداً بدنيا البشر.. ويتصور هذا المجتمع بكون زاخر من المنافقين.. والمرائين.. يعيشون فوق أرض أثقلتها الأكدار.. هذا الحكم يصدر من عاطفة ذاتية.. تأخذ المحسن بذنب المسىء.. وتضفى على المجموعة خصائص الأفراد.. هذا لايهم بقدر مايهمنا استخلاص جوانبه الفنية ونوعيات اتجاهه.

يقول الأستاذ ابن ادريس ..«شاعر عاطفى ذو طاقات فنية رائعة لولا أنه قد جعل لعاطفته السلطان المطلق فى استغلال تلك الامكانيات الشعرية فى إطار الذاتية المحدودة غير حافل كل الحفول بما يعتمل فى محيطه.. والمجتمع الإنسانى الكبير»(٢).

وأضيف إلى ذلك ناحية أخرى توضح الرؤية فى هذا المفهوم الذى أخذ به ابن ادريس.. وهو أنه حساس إلى أبعد حد.. غير قادر على احتمال أى هفوة

---

(١) ديوان: على مشارف الطريق. للشاعر.

(٢) شعراء نجد ١١٣.

تصدر من المحيطين به.. وأى هفوة.. أو خطأ يجعله يجسد المأساة كأكبر ماتكون..

فشاعرنا غير قادر على الإغضاء.. أو الاحتمال.. وهو ما يتعارف عليه الناس بالنفاق الاجتماعي الذى تفرضه ملابسات الحياة.. إن الشاعر من الناحيه الفنية يعتبر شاعراً حقاً.. لكن إحساسه المرهف.. وشكه المكثف ورفضه المصر.. وعدم إيمانه بمبدأ الاحتمال.. والتعارض.. زوى هذه الشاعريه وألقاها فى عمق ذاتيته حتى أفقدها جانب الموضوعية المهم للقارىء كعربى لايرضى بالمتعة المجردة..

وقصائد الحب الكثيرة التى تزخر بها دواوينه كلها لاتبعث على الراحة.. فهى صراع دائم مع الحبيب.. مع عزوفه.. وصدوده.. ومع أكاذيبه.. وهروبه.. إنها المعاناة الذاتية التى أضفت على هذه التجارب الشعرية لوناً قاتماً.. جعله فى قمة الشعراء العاطفيين الذاتيين.

صدر ديوانه الأول عام ١٩٦٣.. تحت عنوان «على مشارف الطريق» وصدر ديوانه الثانى «ليديا».. وهو اسم لفتاة من الريف خلصت من كل تعقيدات المدنية وتبعاتها.. هذه الفتاة تحدث عنها الشاعر فى قصيدة من الديوان.. ومزج فيها لوناً من الفلسفة.. مع الأفكار العفوية..

وقد عدّه الأستاذ قبش من شعراء النزعة الاشتراكية الشعبية.. وهو رأى لا يقوم على دليل.. وقال عنه إنه شاعر واقعى لكنه انعزالى منعكف على ذاته.

والشاعر فى كل قصائده لا يعطى أى مفهوم عن هذا الاتجاه الذي أراده له قبش.. إنه شاعر عاطفى متشائم.. يريد من الحياة.. ويريد من الناس.. ويريد من الكون أن يكون طهراً.. وإشراقاً.. وإلا فإنه غاضب.. حاقد.. ناقم.. لايخلصه من الحياة إلا الانتحار. هذا هو شاعرنا وما سوى ذلك فحكم جائر.. لايقوم على دليل.. ولاتدعمه حجة.

ويعتبر العيسى من المجددين فى الشكل والمضمون.. فقد عبر عن كثير من

أفكاره بالشعر الحر الذى نادت به المدارس الجديدة.. إلا أن تقبله له لم يكن بالاندفاع الذى تجلى فى كثير من الشعراء الشباب.

كما أنك لا تفقد الجرس الموسيقى الناغم فى تجاربه الجديدة.. وهذا لا يعنى بحال من الأحوال توفر ذلك الجرس فى هذا الشكل من الشعر.. إن شاعريته استطاعت أن تحتفظ بقدر كبير من النغمة الموسيقية التى حفل بها الشعر العربى الخالد.. يقول الشاعر فى إحدى قصائده «الطبيعة الخرساء»

صحراء
ضاعت أغنياتى
فى التلال
وتحطمت قيثارتى
بين الجبال
بين الصخور
أنا لا أرى إلا قيود
بين التلال
وفى الجبال
والروض قفراء حرور
أنا لا أرى إلا خيال
من شجيرات العشر
مثل البشر
ينتابها خوف الحروب
بين الدروب
وكأنما وئد السلام
فلا سلام

ولا ظلال.. ولا رواء

ولا هناء.. ولا رجاء

ولا وفاق.. ولا وئام[1]

..هذه القصيدة التى تجمع بين الرمزية.. والتشاؤمية.. والقومية.. فى قوالب جديدة يرفضها الذوق العربى تتيح لوميض الواقعية أن يشع فى ثنايا تجارب الشاعر.. التي عز علينا أن نجد فيها مايحرك الفكر.. فى حين زخرت بمايهز العاطفة حيناً.. ويبهرها حيناً آخر.. ويصرفها لا لها ولا عليها فى كثير من الأحيان.

إن الشاعر يمثل الثورة النفسية بكل مقوماتها.. ويقود الشباب الثائرين المائرين من واقعهم النفسى أو الاجتماعى.. ذلك الواقع الذى أغرقته النزعات التشاؤمية فى ضبابها فخفيت محاسنه.. ودفنت مميزاته

تقول الشاعرة جليلة رضا فى مقدمتها لديوان الشاعر النجدى صالح العثيمين.. وهى بصدد الحديث عن قول الشاعر العثيمين :

تقضى فى دجى الأشجان عمرى

وعشت على الأمانى والهموم

وقوله : ــ

سئمت حياتى وأوجاعها

وعشت وحيداً بوادى الظنون

تقول الشاعرة: «وتلك ظاهرة طبيعية فى سن الشباب.. سن التبرم والضيق والقلق وعدم الملاءمة بين واقع الحياة وأحلام الأرواح الفتية وآمالها الواسعة نظرة سوداء للحياة.. وتشاؤم مرْ وشحْنة هائلة من اليأس التعس»[2]

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث ٠٦٩٠ وشعراء نجد المعاصرون ١١٣. والشعر الحجازى المعاصر. لعبد الله عبد الجبار.

(٢) مقدمة ديوان شعاع الأمل للشاعر العثيمين.

.. وشاعر ثالث.. يستحق أن نقف طويلاً فى مداه.. لأنه بحق الشاعر العظيم القادر على البقاء والخلود رغم صغر سنه.. ورغم انقطاعه عن الدراسة تحت تأثير مرض عصبى نفسى لازال يثقل كاهله.. وكاهلَ المخلصين من أبناء السعودية إنه الشاعر حمد الحجى.. شاعر أصيل.. موهوب.. تلمس فى شعره جوانبَ عدة من هذه النزعات الجديدة لكنه يحتفظ بسماته كشاعر عربى أصيل.. وهو بهذا يلتقى مع الشاعر الأمير عبد الله الفيصل من حيث الاحتفاظ بالسمات العربية الأصيلة.. ولكنه يختلف معه بأن الحجى جمع بين الواقعية المعتدلة.. والرومانتيكية الموضوعية المتطرفة تحت تأثير العوامل النفسية التى آلت به إلى مرض نفسي مزمن.. استقطب أنظارَ الإنسانيين من أمراء البيت السعودى.. والمواطنين.. فأغدقوا عليه المساعدات وطرقوا به ابواب الشرق والغرب يلتمسون له الشفاء حرصاً على سلامة هذا الجوهر المبدع.. عافاه الله وجزاهم عن صنيعهم أحسن الجزاء.

تناول حياته.. وشعره عدد كبير من المؤلفين.. والكتاب.. وكانوا جميعاً يعدونه فى الطليعة بين الشعراء الشباب والشيوخ.. وأوسع دراسة قدمت عنه حيث الكم دراسة للأستاذ محمد بن حسين.. وكان مما امتازت به جمع قطع شعرية لم تكن منشورة من قبل.

قال عنه الحسين «إنه شاعر بز الفحول البزل وهو مازال ابن لبون لم أرله نظيراً فى شعراء العربية سوى طرفة «ابن العبد».. ولست أعرف الوحدة الفنية.. الموضوعية التى جمعت بين الشاعرين.. الذى أعرفه عن طرفة أنه شاعر حماسة وفخر.. بينما الحجى شاعر متشائم برم.. شاك يضيق بالحياة ولا يرى فيها مايدعو للحرص عليها.. وإن كان القصد الجمع بينهما فى السن ونبوغهما فى شعر مبكر.. فربط الحجى بالشابى.. وإبراهم طوقان أقرب وألصق».. ويقول عنه أيضاً: «كان الشاعر الموهوب يعيش بإحساس مرهف قابل للتفاعل مع ماتلقى به الحياة فى طريقه.. فأرهقه تعاقب الآلام وتعاود المصائب.. وتكاثر الرزايا..

فاعترته أمراض كان للوهم والوسوسة منها أوفر نصيب.. فأنقطعت به الطريق وتوقفت بذلك تلك الشاعرية الفذة عن التدفق»(١)

ويقول عنه الإدريسِ: «شاعر أصيل يمتاز شعره بالجزالة.. والرواء.. والتناسق فى البناء العضوى للقصيدة.. وهو من الشعراء اليائسين التعساء.. وكثيراً ما يصور حياته فى شعره غير أنه مضطرب فكرياً لنوازع القلق التى تهد كيانه من جراء البؤس والفاقة»

وقد أخذ عليه الأستاذ ابن ادريس عدم التركيز.. ويعتبره من أهم مطالب العمل الفني.. وقال إن أداة التركيز الفكرى.. والتصويرى لو توفرت لديه لما شق أحد له غباراً في الميدان التأملي خاصة.. وعلل هذا العيب بوجود ظاهرة نفسية. لم تتجلَّ آثارها إبَّان إعداد الادريسَ الترجمة له.. لكنها الآن تجلت.. ووضحت بعد ذلك.. فهو الآن يعيش تحت وطأة اضطراب نفسي.. وشرود ذهنى عزله عن الحياة العاقلة الراشدة.. لقد أصيب فى مراحل الدراسة الجامعية باضطرابات نفسية أثقلت عليه وطأة الألم.. ومرارة الحرمان.. وسدت فى طريقه كل المنافذ.. هذا المرض الذى تكشف أخيراً سايره منذ أن بدأ ينظم الشعر.. أو قد كان من العوامل الأولية فى اتجاهه الرومانتيكى..

ولهذا نجده فى شكل القصيدة وأسلوبها.. وبنائها يتخذ النهج العربى نبراساً يحتذيه.. أما ماأشار إليه الادريس من عدم التركيز.. فلا أعرف مايريد.. هل يعنى تركيز الفكر إزاء المواضيع.. أو أنه يعنى التركيز الفنى.. لقد كان لأضطرابه أثر واضح فى انتاجه.. وكم تكون مثل هذه الأمراض عاملاً قوياً يفجر تلك المواهب..

---

(١) من مواليد ١٣٥٧هـ درس فى المعاهد والكليات ولم يكمل الدراسة العليا لمرضه التى اعتراه ولازال به.. توفيت أمه وهو صغير وعجز والده عن اعالته.. فعاله زوج أخته.. وأخيراً توفى والده لازال الشاعر يعيش تحت وطأة مرض نفسى وقد عولج على حساب المحسنين. فى أوربا والدول العربية ولم يفده العلاج شيئاً يذكر.

يقول الدكتور عز الدين اسماعيل «الفنان ـــ ككل شخص آخر قد يعانى من حالة مرضية وقد يتألم لسبب أو لغيره لكنه ليس مجنونا.. حتى عندما يكون الفنان عصابياً لا يكون لعصابه أى دخل فى قدرته على الابداع الفنى لأنه حين يبدع يكون فى حالة من الصحة واليقظة النفسية الواعية بكل ما فى الواقع من حقيقة»(١).

إلا أن ما أشار إليه الدكتور عز الدين اسماعيل.. لاينطبق على شاعرنا.. فهو منذ أن أصيب بهذا المرض لم يقل شعراً.. ولعله ينطبق على حالات نفسية أخرى..

لقد كان لوضع الشاعر.. المادى.. والاجتماعى.. والأسري.. والدراسي أيضاً أثر كبير فى وجود هذه العوامل النفسية التى آلت إلى مرض مزمن لازم الشاعر حتى الآن.. ولهذا طبعت معاناته الفكرية وتجاربه النفسية بطابع الألم والمرارة.. فلقد ولد لأبوين فقيرين.. وتوفيت أمه فى صغره.. فكفلته أختهُ لفقر أبيه مع أن والده ظل طويلاً بدون زوجة لعدم قدرته على الزواج بعد وفاة أمه هذه العوامل.. مع ماعند الشاعر من إحساس مرهف.. واستعداد لتجسيد الآلام وتعميقها.. جعلت من الشاعر ألعوبة للوساوس.. والآلام.. والمعاناة النفسية العاتية.

ولهذا نجد أن جميع قصائده تتسم بالتشاؤم.. والتبرم.. والضيق بالحياة.. وأهلها.. وماجبلوا عليه من صفات متناقضة..

ومن قصائده التى تجسد أبعاد معاناته النفسية قوله :

أبقى على مر الجديدين فى جوى ... ويسعدُ أقوامٌ وهم نظرائى
ألست اخاهم قد نظرنا سوية ... فكيف أتانى فى الحياة شقائى
أرى خلقهم مثلى.. وخلِقى مثلهم ... وماقصرت بى همتى وذكائى

---

(١) التفسير النفسى للأدب ٣٢.

يسيرون في درب الحياة ضواحكاً   على حين دمعي ابتل منه ردائي
أكان لساني إن نطقت ملعثما   وكانوا إذا ناجوا من الفصحاء
وهل كنت إما أُشكل الأمر عاجزاً   وكانوا لدى الجلى من العظماء
ولست فقيراً أحسِب المال مسعداً   وليسوا ـ إذا فتشتهم ـ بثراء
وهل لهمُ جود بما في أكفهم   وأني مدى عمري من البخلاء
وهل أصبحوا في حين أمسيت مانعاً   يجودون بالنعمى على الفقراء
وهل كلهم أصحاب فضل ومنة   وكنت أنا المفضول في الفضلاء
وهل ضربوا في الأرض شرقا ومغرباً   وكنت مللت اليوم طول ثوائي
وهل كلهم أوفوا بكل عهودهم   ومن بينهم قد غاض ماء وفائي

سيل جارف من التساؤلات تساقطت في أفق تأملاته بوحي من نظرته المتفلسفة لهذا الكون الصاخب وبعد هذا التساؤل الملح الذي سرد فيه كل خصائصه النفسية.. والاجتماعية عاد يحدد العوامل التي آلت به إلى هذا النكد من العَيش فقال :

بلى أخذوا يستبشرون بعيشهم   سواي وقد عانيت قرب بلائي
وهم نظروا في الكون نظرة عابر   يمر على الأشياء دون عناء
واصبحت من هذي الحياة مفكراً   فجانبت فيها لذتي وهنائي
ومَنْ يُطل التفكيرَ يوماً بمايرى   من الناس لم يرتح ونال جزائي
ومن يمشي فوق الأرض جذلان مظهراً   بشاشته يمرر بكل رداء
تغنى على الدوح الوريق حمامة   فيحِسبُه المحزون لحن بكاء
وتبكي على الغصن الرطيب يظنها   حليف الهنا تشجي الورى بغناء

وأخيراً يقرر.. ولكن للآخرين.. أما هو فيظل كما أراد الله له.

ألا إنما بشر الحياة تفاؤل   تفاءَلْ تعش في زمرة السعَّداء(١)

---

(١) جريدة اليمامة عدد ١٩/٨/١٣٧٧هـ.

لقد فسر لنا شروده.. ومعاناته.. والأسباب الداعية لكل ذلك.. أنه فى نظره.. إطالة التفكير بما يبدر من الناس.. ولا يطرد هذا الشرود إلا التفاؤل.. ومن يتفاءل يعش فى زمرة السعداء.. لكن شاعرنا يصدر هذه الأحكام.. ولا يقدر على تمثلها فى حياته..

لقد كان الحجى شاعراً موهوباً.. وقد كان قبل أن تلفه الوساوس.. وتطوح به آلامه بعيداً عن الحياة العاقلة.. كان قبل ذلك.. يؤمن بالواقعية.. ويتغنى بها.. ويغنى لها.. وكان يعرف وظيفة الشاعر وحق أمته عليه.. ولهذا فقد شارك كثيراً فيما يخدم وطنه.. وأمته.. وأراد لشعره أن يكون أغنية تحدو موكب البعث.

فحين شيدت جامعةُ الرياض انطلق يردد أهازِيجه. «الملك سعود حالياً»

فى موكب البعث غن الشعر تغريداً	**وارسل اللحن فى دنياك ترديداً**
وأسمع الكون أنغاماً مرتلة	**وامنح خيالك أفقاً ليس محدوداً**
فقد رأيت بأرض العرب جامعة	**قد شيدوها على الايمان تشييداً**

واذا استعرضنا الأغراض التى طرقها الشاعر تدرك أنه سليم الاتجاه.. مركز التفكير.. يتناول الفكرة بحاسة واعية.. فيلم شعثها بموضوعية.. وإيجابية دفاقه.. ولم يعتره قبل مرضه شلل فكرى يقعد به عن التفاعل مع واقع حياته.. وأمته.. وهو ماأصاب الكثير من شعرائنا فانطووا على أنفسهم يجترون مآسيها.. ويعزفون ألحانهم الحزينة على قيثارة التشاؤم.

وقد حصر أغراضه ابن حسين فى أربعة: الوصف، الغزل، الوطنية، التأمل.

وإذا ما استعرضنا شريط هذه الأغراض نجد أن ثلاثة منها تقع ضمن أغراض الاتجاه الرومانتيكى وتتجلى الوطنية فى الاتجاه الواقعى.. أو القومى.

على أن التأمل.. وتحليل التصورات.. والأوهام يكاد يدخل فى قصائده الأمر الذى يجعلنا نربط انطوائيته وتشاؤمه.. واحساساته المرهفة بكل هذه العطاءات.. كما أن تأمله لا يعنى التأمل المركز العميق القائم على أسس

فلسفية بعيدة الجذور.. بل هى خطرات.. واستعراض سطحى لمظاهر الكون ونظامه ثم هو حين يتأمل.. ويسترسل مع تأمله لايخرج بحقائق.. بل يذعن ويستسلم.. ويلتمس بدائل أخرى لا تنبثق من تأملاته.. ولكنها تعنى انتكاسته أمام أثقال هذه التأملات.

فمن قصائد الوصف البديعة التى تتجلى فيها روعة الأداء وحسن السبك.. ودقة التصوير والقدرة على التأثير القصيدة التى قالها حين زار لبنان :

لبنان يابلد الطبيعة والهوى والشعر فى أدناه أو أقصاه
اهوى الجداول والصخور اذا مشت عند الأصيل على الصخور مياه
جناته غرقى بضافى حسنه هرم الزمان وحسنه اعياه
أرض كماوُصِفَ الخلودُ لعابد يبست لطول صلاته قدماه

وله قصيدة أخرى حفلت بكثير من الأغراض التى تقوم بينها وشائج تحفظ لها وحدتها العضوية.. والموضوعية تلك هى القصيدة التى يناجى بها البدر.. عندما فكر الإنسان بغزوه.. لكن مناجاته للبدر تجمع إلى جانب الوصف تصوير آلامه.. وتجسيد احساساته.. وتصوراته.. لهذا الكون — النتن — على حد تعبيره.

يقول فيها :

أجمل بضوئك يُخْفِقُ الإظلامَ فى حلكات يأسى إن دجا ديجورى
يهتز فى الليل البهيم كأنما مرآةُ مرأى راعش مقرور
هل فيك نبع ضاحك مترقرق ينساب بين جداول وصخور
هل فيك جنات تُغَنّى طيرُها وتموجت بسائم وعطور

وغزله لا يخرج عن خصائص الغزل الكلاسيكى علوق بالحسيات.. وترديد لها.. ودوران حول الجسم ومافيه من إبداع فى الخلق.. وحسن فى القوام.. ورشاقة.. ونعومة.. وإشراق.. وعذوبة.. إلا أن قدرة الشاعر الفنية.. وموهبته البديعة كادت أن تضفيِ على تلك الخصائص رداءً يبعدها عن محيط التقليد.

يقول فى قصيدة «فتنة» :

تذكرت خديك عند الـــورود فهاج الفؤاد أسى واضطـــرب
ومال ببستاننـــا الـــغض غضا فجاء برياك لِي حين هب
ومانفحة من شذاك الحبـــيب كنفح الزهور وعطر العلب

وهنا أحس أن القافية بهذا البيت مكرهة مستثقلة.. لايطيب لها المقام.. وله فى غزله مبالغات طريفة.. تبدو فيها البساطة والسذاجة وعفوية الحوار يقول فى مطلع القصيدة :

أظنك لست من الأنس بل ملاك يسيـــر يشق الحـــجبْ
وأن كنت حورية فى الجنان فكيـف أتيت ومـــم الهـــرب

يقول الحسين عن غزله: «قصائده تنطق بالعواطف الصادقة المتأججة والحب الموغل فى أعماق نفس الشاعر إلا أنه حب تكدره مرارة عميقة ويظلله اكتئاب مظلم.. ويكتنفه الخوف المربك. والتشاؤم الموحش ــ شأنه فى جميع شعره ــ إلا أنه فيه أعطى حبيبه كل ماملكته عاطفته وما استطاع أن يتناوله خياله الخصب الجم العطاء»(١).

ويقول فى قصيدة ذكرى لبنان :

أهوى الحسان إذا مشين تدافعاً كالبان غضا قد علاه صباه
يضحكن أو يغمزن من لاقينه ياويح قلبى من لحاظ صباه

وفى قصيدة ذكرى لبنان تبدو تجربة الشاعر أكثر لصوقاً فى نفسه.. وأقدر على نقل المستمع إلى جو القصيدة وإن قارنا بين قصيدته بالطائف وهى بلده.. وقصيدة لبنان وهى بلده أيضاً لكنها لا تعد بقرب الطائف.. وجدنا أن قصيدة لبنان تتكامل فيها التجربة.. تكاملاً فنياً.. وموضوعياً.. وتحس بوضوح تفاعله مع التجربة.. وتدرك أثره فى نفسك.. مع أن القصيدتين ينبعان من إحساس واحد.. وتواكبها تجربة واحدة..

---

(١) الأدب الحديث فى نجد: ٢٦٤.

ففي قصيدة الطائف تبدو سذاجة المراهق.. المفتعل لتجربته.. وتحس بنزعات العاشق الشاب الغر.. وفيها لون من خصائص شعر ابن أبي ربيعة في قصصه الشعرى الغزلي.. ففيها يحاور صديقه الذى نهاه عن الحب وحذره منه:

قد عابنى عن صبوتى صاحبى وراح من حبى لها يسخر

إلى أن قال :

فقلت أن الحب ياصاحبي بالرغم مما قلته يأسر

ولعل عذره في إخفاق التجربة أنه نظم القصيدة تلك في سنى الشباب المبكر.. وفي قصيدة الطائف يقول :

الحسن في الطائف الوانه كثيرة في عين من ينظر
لكنما الحسن الذى شاقني وبات عقلى منه لا يصر
مجسم في غادة حلوة تمشى الهوينا طرفها يسحر
كالغصن تهتز إذا مامشت تكاد من ظرف الصبا تعثر
منديلها الأخضر في كفها ياحبذا منديلها الأخضر
الدر والجوهر في نحرها ياليتني الدر أو الجوهر
ماالخمر إلا أن أرى وجهها فنظرة من وجهها تسكر

ونسوق هنا طرفاً من قصيدة ذكرى لبنان ليتمكن القارىء من المقارنة.. والخروج بنتيجة توضح صدق التجربة.. وصدق المعاناه..

إيه أبا«مي» إليك تحيةٌ من شاعر قاسمته بلواه
لم انسى قرب البحر مجلسنا وقد نُشِر الظلام فكنت أنت سناه
لبنان يابلد الطبيعة والهوى والشعر في ادناه أو اقصاه
أهوى الجداول والصخور إذا مـ شت عند الأصيل على الصخور مياه

إلى أن قال :

إني اموت على مصيف في ربا لبنان لاراع الزمان رباه
لكنني خال الوفاض ومثلُه بلدٌ جديب للفقير متاه

ماحله إلا أميـر أو اخـو مال ومثلى قد يُعَـار رُداه
جناتـهُ غرقى بضافى حسنـه هرم الزمان وحسنـه أعيـاه
أرض كما وصف الخلود لعابد يبست لطول صلاته قدمـاه
إنى لأذكـر فيـه أياماً خلت فتكاد تدمى خافِقَى ذكـراه

أنت هنا لاتجد مقارنة بين القصيدتين فالأولى تخنقها الصنعة.. والأخرى يُشرِقُ في ثِناياها صدق التجربة.. والمعاناة الفعلية لما يقول الشاعر.. وفى كلا التجربتين نجد أن الشاعر نزاع إلى التصوير.. والى تضمين مآسيه وآلامه ضمن أغراضه الأخرى.

أما الاتجاه التأملى فقد تكثف أو تبلور تحت تأثير عاملين مهمين: احدهما. استعداده النفسي وقابليته للايحاء.. فقد عاش شبابه برماً متشائما..شاكاً.. يلتقى مع نكبات الحياة بعزيمة خائرة.. وقوة مضعضعة مهزوزة وينظر إلى مظاهر الكون.. ومعطيات الوجود من خلال تصورات مكبوتة معتمة ويحكم هذه الظواهر بشحنة من الوساوس التى تعصر قلبه.. وتدمى محاجره.. وتلهب النار فى أحشائه.. هذا العامل زجه بعنف وشراسة فى أتون العذاب.. وآل به إلى انهيار عصبى غاب فيه عقلاً وفكراً عن مسرح الحياة.

وثانيهما: لون ثقافته.. وأغلب الظن أن هذا العامل انبثاق من العامل الأول.. وامتداد له.. لقد أكب على كل العطاءات المعتمة.. فقرأ شعر الشعراء البرمين الشاكين.. والمتضايقين من الحياة قد أخلص لأبى العلاء وفرغ له ردحاً من الزمن يقرأ شعره.. ويتغنى به.. وقرأ لأبى ماضى الشاعر المهجرى المعروف الذى يجمع بين الشك.. والتشاؤم.. والتفاؤل فى آن واحد.. وقرأ للشابى الشاعر التونسى الثائر.. وتلمس أثر هذه التيارات واضحاً فى شعره وهنا أود أن أشير إلى أن الحجى لم يكن صدى لأحد من الشعراء.. ولا يعتبر مقلداً فى أى لون من ألوان شعره.. ولكن خصائصه النفسية وملابسات حياته.. وظروفه التى لونت حياته دفعت به إلى مثل هؤلاء الشاكين البرمين الثائرين لأنه يجد فى رحابهم

مايخفف آلامه ويأسو جراحه.. وإذا كانت القصائد التى نظمها الحجى فى مجال التأمل فى مواقف مختلفة وتحت تأثير ظروف اجتماعية متفاوتة تتسم بخصائص قصائد أبى العلاء المعرى.. فإن هذا يجعلنا نبحث عن العلاقات النفسية بين الشاعرين وهو مطلب جد عسير إذ يلزم معه الوقوف طويلاً مع الشاعرين.. لكن يحسن أن نعرض للقصائد التأملية التى طفح بها إنتاج الحجى.. والنظر فى الظل الذى أضفته نوازعه النفسية على هذا الجانب من شعره.. وعلى ضوء ذلك نخرج بنتيجة واضحة.. نجزم معها بتحديد اتجاه الشاعر الذى غيبته وساوسه عن الوجود العاقل المفكر فى سن النضارة.. والفتوة والشباب فانطفأت شمعة مشعة أنه يتأمل كثيراً.. وتأمله لا يشبه تأمل الرومانتيكيين.. وهو أيضاً لا يشبه التأمل القائم على خلفيات فلسفية أو عقائدية.. إنه لا يعدو يتأمل ظواهر الأشياء.. ويعتريه يتأمله تيار من الحرقة والألم.. وهو فى تأمله كثير التساؤل لماذا كان.. وكيف كان.. هل هذا محق بوجوده.. وتستدرجه التساؤلات كثيراً حتى يخرج منها وفى دماغه تتراقص الأسئلة الحائرة المترددة.

.. ومع كل هذا نعده رومانتيكياً.. لأنه يهرب من الحياة.. ولأنه قلق مضطرب.. ونعده متأملاً لأنه لايجتاز هذه الظواهر دون أن يقف عندها ملياً يثير من حولها عشرات من التساؤلات.

إنه رومانتيكى لأنه خلص من الحياة فى كثير من قصائده.. وهرب من صخب الواقع إلى مناجاة النفس ومعاناة آلامها. وهو رومانتيكى لأنه أوقع تجاربه تحت تأثير ذاتية مشردة ضائعة.

أنه يشك فى نفسه.. ويشك فى وجوده.. ويشك فى مظاهر الكون.. وحين ينهكه هذا الشك.. ويضعف احتماله.. تنفجر تبتلاته.. وصلاته.. ملتمساً فى ذلك الخلاص من ويلات الشك.

رب آمنت بالحقيقة فإجنبـــــ ـــني متاهات أوبتي للعذاب

رب انى ادركت حقك فلتـ شرق بنفسى نوراً يضىء جنابى
هاأنا قد مللت تجوال عقلى فى سحيق الأجواء ولب العباب
أنا يارب إن اداري جراحى من صنوف الآلام والألقاب
فاهدنى للصواب إنى منيب ذو تسام الى الهدى والصواب

يقول هذا بعد شوط طويل من مرارة الألم والشكوك.. والنظرة القاتمة المعتمة للحياة من خلال المنظار الأسود فى رحلة تأخذها الريبة من كل جانب استهلها بقوله :

ان نظرت الجمال غضا طرياً يتجلى فى المنظر الخلاب
لاح لى اسود المصير كسود الليالى مكشر الانياب
فرأيت الجمال يطوى بأكفان وبيلى ممزق الاسلاب

وخلال هذه الرحلة تتحد تصوراته الخائفة.. فهو مع الحياة.. زمرة الأحباب والكئوس واحتسائها وتغنى الحمائم.. وحمرة الورد.. يصور الفراق.. ويطرد السعادة.. ويدمى أنامله وخز الشوك ويرهف سمعه للغراب.

ومن قصائده التأملية قوله :

واشتياقى على الدوام إلى كل خفىٍّ مجنح منساب
فإذا ما استبان وجه لأمر رحت ارنو نحو المعانى الغراب
لو ترانى وقد طحا بى فكرى وأطارت منى الشؤون صوابى
لتوهمتنى بريئا من اللب ضعيفاً محطم الأعصاب
ثم لم تدر أننى فى سماء الفكر أحيا كعابد أواب
هكذا عيشتى رحيل مع الفكر بعيد أو نظرة فى كتاب
وإذا ماسألتنى لم هذا فسكوتى عن الجواب جواب

وهو كأى شاعر رومانتيكى هائم يحس بمذاق طعم من الهناء والراحة فى ساعة إغفاءة للنفس الشاكه فتنتشى احساساته.. ويلذ الحياة.. لكن صحوة هذه

النفس تقلب عليه الهناء شقاء والسعادة ضيقاً وبرماً.. فيرجو لوكان الفؤاد تربى على الحلم فلا هو يفرح ولا يتعذب.

كم ليال من حسنها بعثت فـ ـى الروح روحاً معينه لا ينضب
كنت من فرحتي اظن دجى الليـ ـل نهاراً واحسب الكأس اشنب
وليـال بالشوق قد احرقتنـي فعلـى حر جمرهـا اتقـلب
طوقتنى الأحـداث منهـا فبـاتت ليس منها منجى سوى قول يارب
ليت دهرى ربَّى الفـؤاد علـى الحلم فلا ينتشى ولا يتعذب

.. والحجى كأى شاعر ابداعى يضيق بالناس وبالواقع.. ويهرب منهم.. لأنهم فى نظره يفسدون الأرض ويسفكون الدماء.. فهو يكره فيهم الكذب.. والخداع.. وهو يتجه إلى البدر.. ليتحدث معه.. وقد حاول الإنسان أن ينقل فساده من الأرض إلى القمر.. ولهذا هرع إليه الشاعر يحذره من مكائد الإنسان.. وحيله.. وشروره :

ان اقبل الصاروخ نحوك فاتحاً فادفع اذاه بنفخة فى الصور
أو جاء انسان الـيك فرده نحو التراب بخيبة المقهور
هم أفسدوا هذا الثرى وتطايروا لك لكى تمور بفتنة وشرور
نظروا اليك فشمروا عن عزمة عُرفت بسوء القصد فى التدبير
ماعندهـم إلا الأذى ومكائـد لا يستقـل بعدهـا تعبيـرى
فاكبـح جماحهـم فأنهـم ابـوا إلا الـفساد بسائر المعمـور

وكرهه لهؤلاء الناس لايقوم على استيحاء مركز سليم لأن آثار الشكوك والوساوس قد سدت عليه الأفق وحجبت الرؤية.. فأصبح يصب غضبته على الناس لأنه يحسب أن هذه المصائب ناجمة عنهم فهو يتصرف كرد فعل لما يناله من ضغوط نفسية.

هذا وقد عقد ابن حسين.. مقارنة بين الحجى من جهة.. وبين المعرى.. وإيليا أبى ماضى والشابى من جهة أخرى.. ومقارنته بين الحجى.. والمعرى.. لم

تتخذ إلا جانباً شكلياً.. وقد أشرت إلى أن المقارنة بين الشاعرين تحتاج إلى مدرسة فرويد التى تقوم على التحليل النفسى.. ثم إلى دراسة الشاعرين.. وهى جد عسيرة مالم يفرغ لها الذين أوتوا بسطة فى القَلم .. وسعة فى الوقت.. وجلداً.. ومثابره. أما مقارنة الحسين بين الشاعرين فمؤداها أن المعرى يحترم الإنسان احتراماً دفعه إلى أن يحترم الأرض التى اختلط بترابها جسمه بعد البلى وأن قوله :

خفف الوطء ماأظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

ليس هذا اردت.. لكن جعل قول الحجى :

لا التقى بالحي فى ارجائها أبـــدا ولا أسيء للمقبــــور

يعنى احترامه للإنسان.. وهذا استنتاج معاكس.. فالحجى يكره الإنسان.. ولهذا يضفى حكمه النابع من كره الإنسان على كل البشر فهو يقول فى نفس القصيدة :

يابدر هل بك مثل ما بالارض من نتـن يشب كموقـد مسجـــور

ويقـول :

هم افسدوا هذا الثرى وتطايروا لك كى تمـور بفتنـة وشرور

ويقـول :

فاكبـح جماحهـم فإنهـم ابـــوا إلا الـفساد بسائـر المعمـــور

ثم أن بيت المعرى لا يقصد به احترام الإنسان بل هو يأتى متبوعاً بخلفيات فلسفية بعيدة المدى.. والمعري يكره الإنسان.. ولهذا بقى رهين المحبسين..وهذا مايمكن أن نجمع فيه بين الشاعرين.

نختم الحديث عن الحجى.. وفى النفس أشياء كثيرة لم تنته بعد.. وفى أعقاب الحديث.. نختار رائعة من روائعه تكون مسك الختام.. يقول من قصيدة ثورة نفس :

فى سكون الليل قدت الزورقا قاصداً شط رجائـــى الشيقـــا

مبحراً نحو الغد المجهول في حلكة لم أجل فيها أفقا
كم يثور البحر حولي مزبداً لاهب الغض مَغيظا محنقا
حملت أمواجه من قاعه زعقات الذعر ممن غرقا
رب ضل العقل في غيهبه فارحم اللهم عقلي المرهقا
زورقي فوق مياه عصفت بات مجنونا وباتت زئبقا

ويقول فيها : —

كان في كأسي بقايا صحوة أهرقت في الترب فيما اهرقا
يا إلهي اظلم الكون فلم تر عين في دجاه القا
أمل يخبو وقلب يرتمي فوق أشواق الضنى منسحقا
ظلمات اليأس مافيها سوى جمرة فيها فؤادي احترقا
كفني ياشمس مني هيكلاً كفنيه هيكلا محترقا
وادفنيه جانب النهر فقد يتلقى الصبح غضا مورقا
لا يريد العيش قلبي وهو في قيده نحو الضيا ماانطلقا
إيه يادنيا أعبُسي أو فابسمي إن كأساً بالأسى قد فهقا
ياحياتي ماالذي فيك يرى يبهج النفس ويغري بالبقا
سوف اطوي صفحة العمر فما استطيع العيش عبداً موثقا
لا تقولي كيف فارقت المنى كيف حطمت صباك الربقا
أنا ادري منك بالعقبَى فلـ ـلأفق السامي نصبت المرتقى
ودعوني يارفاقي واذهبوا وامضغوا الأحلام حتى الملتقى
سوف اغفو ياندامای فإن طلع الفجر فحيوا المشرقا
وانفخوا في جدثي من روحه واغرسوا فوق ثراي الزنبقا(١)

---

(١) نشرتها جريدة الورود اللبنانية — ونقلتها جريدة القصيم.. وهي في الأدب الحديث في نجد ١٣٩.

لعل هذه القصيدة آخر مانظم الشاعر.. هذا وللحجى.. قصائد قومية ووطنية.. واجتماعية سنعرض لها فى أماكنها من هذه الدراسة[١]

ومن الشعراء الرومانتيكين الذين أخذهم بريق الرومانتيكية.. وعصفت بهم رياح الرمزية.. وارتمى فى أحضان هذين المذهبين.. يجدد فى الشكل والمضمون.. الشاعر الشاب.. أحمد الصالح.. وكثيراً ماكان يرمز لنفسه «بمسافر».. وهذا الاسم يشف عن هذه النزعات النفسية التى استجدت فى عالمنا بعد أن ارتطمت التيارات الفكرية من مختلف المشارب والجهات.. وأغلب قصائده غزلية.. إلا أنها تحمل فى الغالب بعض الأفكار.

ويعتبر الشاعر.. من العاطفيين الذاتيين الذين أخلصوا شعرهم لأنفسهم.. ورمزوا إلى بعض المشاكل فى بعض القصائد.. والقصائد التى لم يجمعها بعد ديوان ولا زالت فى الصحف والمجلات.. توحى بأن الشاعر يتمتع بموهبة شابة لازال الطريق أمامها مفتوحاً.. وهى بعد محتاجة إلى مزيد من الصقل.. ولتمكن الشاعر من اتخاذ طريق وسط لا يفقد معه كل سماته كشاعر عربى.. وأنا لا أريد من شبابنا أن يعشيهم بريق الجديد فيصرفهم عن تراثهم الخالد.. ولا أريد من شيوخنا أن يجعلوا من القديم قدسية تحمى هفواته.. وتزهده عند الشباب المتطلع إلى ايجابيات الفكر وجديد الفن.

أن مدار الشكل عند الصالح على التفعيله.. وجديد الفن.. ونغماته الموسيقية متقاربة فى طولها.. وفى إيقاعاتها.. ولهذا نجد فى تجديده شيئاً من التعقل.. وله تجارب شعرية ملتزمة تدل على موهبة شعرية.

ايقاعه الشعرى يشبه إلى حد كبير قصائد نزار قبانى.. وهو شاعر عاطفى.. يعيش للحب.. لكنه لا يميل إلى الأدب المكشوف القائم على تمرد الغريزه..

---

(١) مراجع للحجى: شعراء نجد المعاصرون، الأدب الحديث فى نجد، وتاريخ الشعر الحديث: لأحمد قبش.

وهناك دراسات فى المجلات السعودية الدورية.

إنه أقرب إلى الصوفية.. والمذهب العذرى من حيث نقلاته الفكرية.. يقول فى إحدى قصائده :

وايقظ غربتى
همس حنون منك
يسألنى
عن الأفراح
فى امسى
بها ذكراك تغمرنى
ليالى حبنا طفْلا
بريئا طاهر البدن
نعمنا فى سذاجته
وقبل الحب لم نكن
وغردنا بألف هوى
برىء غير ممتهن
فصفق عمرنا عمراً
لحب راقص الفنن(١)

فى هذه القصيدة من الناحية الموضوعية.. وتدرج الفكر اشراق لكن تكامل الإيقاع الموسيقى لايتكافأ مع موضوعيتها.. وقصائد الصالح كما قلت تقوم على التفعيلة الواحدة لكن هذا لا يكفل تواجد النغمة الحلوة والإيقاع السليم.. الذى تنشده الأذن العربية ــ ذات الذوق الرفيع ويقول فى قصيدة أخرى بالأسلوب نفسه وفى الموضوع نفسه تحت عنوان: ميناء الغربة :

هذا اللقاء ياحبيبتى

---

(١) اليمامة عدد ١٥١ سنة ٩١.

وهذه الساعات
ازهرت بها جوانحى
كأنها الربيع
محاجرى
ذاب الضياء فى محاجرى
واشرقت كأنها الأمطار(١)

وعند الرومانتيكيين كثيراً ماتلمس ذلك التزاوج بين الحواس.. فقد تذوق الأذن.. وقد ينزعج اللسان من سماع الصراخ وهى استعارات فيها لطافه،

ومن قصائده الغزلية التى تقوم أيضاً على التفعيلة الواحدة.. وتحس فيها جرساً موسيقياً ذا إيقاع سريع متتابع.. وترتبط فى موضوعها بحسيات الشعر العربى: قـوله :

عيناك
يسبح فيهما طيف الجمال
والحسن
يغفو
فى وداعته ابتهال
يافتنتى الكبرى هواك الى قال
هى دون كيد العاشقين ولن تطال
فسألت قلبى
من تكون هى الخيال

وفى غزله تتجلى مناشدة الحبيب للعودة.. كما أنه يحتشم فى غزله فهو إلى حد كبير يشبه غزل الأمير الشاعر عبد الله الفيصل فى هذا الطريق.. إلا أنه فى شبوب العاطفة.. وفى تقايض الحواس.. وتبادلها.. وفى التجديد فى شكل

---
(١) اليمامة عدد ١٤٧ سنة ٩١.

القصيدة يلتقى مع شعراء التفعيلة فى العالم العربى.. الذين يعدون امتداداً لهذه النزعة الرومانتيكية الغربية.. أمثال نازك.. ونزار.. وعبد الصبور.. والسياب.. وغيرهم.

ومن قصائده التى يلتزم فيها نهج القصيدة العربية قصيدة «أحلامنا الراقصات».

يقـول :

ايهجرنـــى مشرق الذكريــــات وتكفـر بى قبـل أن نلتقى
وتمـلا كأس الهـوى بالخـداع وتلهــو بقلبــى ولا تتــق
رعيت لهـا الـود رغـم النـوى ورغـم جنون الهـوى الاحمــق
حفــرت بقلبـــى تماثيلهـــا وحدثتهـا عن مناهـا الشقــى
أنا فى عذاب التجنى اعيش وكـنت بنبـع اللقــا استقـــى(١)

وفى هذه القصيدة المحافظة فى شكلها يتكامل فيها الجرس الموسيقى.. ونحس بوضوح التجربة.. وبالتالى نجد أن الوحدة العضوية والموضوعية متكاملة فى كل قصائد الصالح..

والصالح يتفق كثيراً مع شعراء شباب حفل بهم المحيط الأدبى فى الآونة الأخيرة.. ولهم تجارب شعرية تلمس فيها أصالة.. وعمقاً.. لكنها مأخوذة بالتجديد الشكلى والموضوعى.. أمثال سعد الحمدين.. والفوزان.. والزيد.. والحامد.. وعدد كبير ممن لازالوا فى أول الطريق.. وقصائدهم المنشورة رغم قلتها تبشر بمستقبل باسم.

ومن الشعراء الرومانتيكيين الشاعر النجدى.. محمد سليمان الشبل.. وشعره كما أشار إليه عبد الله بن ادريس يجمع بين الرومانتيكية.. والرمزية.. ورمزيته

---

(١) اليمامة عدد ١٥٢ عام ٩١.

تميل إلى الفلسفة.. أو بمعنى آخر إلى النفاذ من خلال الظواهر إلى أعماق المعطيات ــ كقـوله :

هيهات كم بين النهار وبيـن حالكـة الليالـى
هذا به نور الحيـاة تفيضه شمس الجـلال
وذى بها شتى المخاوف بعثرت فى كل حال
فاهنأ بضوء الصبح إن الصبـح مرآة الجمـال

على أن مثل هذا لايجلى رمزيته.. لكنه يوضح لونها من النزعه التحليلية التأملية.. ومتى واكب فكره التأملى أضفى على معطياته لوناً من الرمزية التى إن صح لنا أن نسميها.. فهى رمزية علمية.

إلا أن خصائص الرومانتيكيين تتجلى فى كثير من قصائده.. ولهذا يمكن أن يعد شاعراً رومانتيكياً وتتجلى هذه النزعة.. فى قصيدة «القيثار المحطم».. وكأنه يرمز إلى من يملك الصورة فى مخيلته لكنه لا يجد المواد التحضيرية لتجسيدها أمام الرائى.. والشاعر تفيض لوعته من أعماقه.. لكن لحنه أحال فؤاده المخصب إلى واحة جرداء.. ويزيد الشاعر فى تجسيد الألم فهو نصف حي.. واليأس له زمجرة فى أعماقه.. ومع هذه الويلات فقد الإشراق.. والحسن.. والنغم العذب.. وبقى له ذلك القيثار الشجى الذى تخفق أنغامه الحارة :

ياحبيبـــى هذه اللوعــة فى قلبـــى المعنـــى
سكبت من ذوب أعماقى حديث الشوق لحنا
وأحــالت فى فؤادى ذلك الــروض الأغنـــا
واحـة جرداء لم ترقص بهـا الأنغـام أذنـــا

⋆ ⋆ ⋆

ياحبيبـــي هذه اللوعـــة فى روحـــى الشقى
حطمتنـي لم اعـد حيا ولكـــن نصف حي
حطمتنـــي نغمـــا يدوى به اليـــأس دوي
كلمـــا وقعـــه الكـــون خبـــا فى أذنـــى

تحس فى المقطع الأخير ارتباك الإيقاع الموسيقى بارتباك حركة القافية.. والشاعر من الذين يستهويهم أسلوب الإبداعيين.. فاللحن يتلوى فى قلبه.. وأنغامه حرى.

وهو ميال فى موسيقاه الشعرية.. إلى إيقاعات الأندلسيين ذات الإيقاع الحالم السريع المتتابع.. الذى أوحت به مباهج الطبيعة.. وله على هذا النسق قصيدة طويلة تتسم بذاتية الرومانتيكيين الرفافة بجناح من التهويمات الحالمة الباسمة.. وكثيراً مايلتمس الشاعر ماضيه ويذكر الأيام الخوالى التى عاشها طليقاً من عقله الفاحص.. ونظراته المرتابة من واقعه.. وكأنه يريد من هذه الذكريات طرد المعاناة.. وتخفيف حدتها كقوله :

لماذا التفرق والذكريات تغمغم فى سمعنا

وقـولـه :

صبرت عنك ومالى عنك مصطبر   لولا بقايا منى طافت بها الذكر

وقـولـه :

خطرات الشوق من ذكرى صبانا   لم تدع للأنس فى القلب مكانا
خطرات الشوق من عهد الصبا   جددوهـا وابعثوا ذاك الزمانـا
جددوا منهـا عهـوداً حلـوة   واعيدوهـا كمـا كانت وكانـا
نفحـات من ربيـع غابـر   أضرمت فينا لهيبا من هوانا

ويعدّه ابن ادريس من الطائفة المتأثرة بالأدب المهجرى.. ومدرسة جبران بالذات.. التى تميل كثيراً إلى التجديد ونبذ القديم على خلاف العصبة

الأندلسية التى تريد التجديد فى إطار من معطيات القديم..

ويصفه بالرمزية لكنه يبعده عن رمزية ألبير أديب.. وثريا ملحس التى تفقد فيها.. الخبر.. والحكاية والتعليم.. وإنما رمزية الشبل على حد تعبير ابن ادريس تعنى ذاتيته إلى حد كبير.. واكتفائه من اللفظة الشعرية بالإيحاء ومن الفكرة بالإبهام والغموض.. على أنه فى قصائد الغزل يعتبر من المجددين فى الشعر النجدى لأنه يرفض فى مناجاته المظاهر الحسية.. وكأنه يلتمس الرباط الروحى الرفيع الذى أخطأه كثير من شعراء نجد،

يوم الوداع وهل أبقيت فى خلدى ... إلا الأسى فِي حنايا القلب يستعر
سلبت من مهجتى ظلا تلوذ به ... فى راحق بهجير الشوق ينهمر
وهمت فى خافقى المكلوم تلدغه ... بالشوق كالنار لاتبقى ولا تذر
مازلت تنهشه حتى استقر به ... من حر نارك هذا الناب والظفر
ياساعة صعقت نفسى لرهبتها ... وطاف بى فى ربى أوهامها الكدر
كم ذا أهجت بهذا القلب من وله ... يذوب من حره ــ لوسامه ــ الحجر
مازلت رغم الأسى واليأس أرمقها ... بخافق من ظلال الشوق ينتظر

ومن الشعراء الذين يزاوجون بين مختلف الاتجاهات الشاعر النجدى سعد البواردى.. فهو واقعى.. ورمزى.. وررومانتيكى.. تحكمه الظروف.. وتوجهه التجربة.. وتخلق إبداعه الأجواء التى يتفاعل تحت تأثيرها.. وهو بحق شاعر مجيد.. إلى جانب كونه كاتباً اجتماعيا تغلغل فى أعماق المجتمع فأخذ من أصغر الظواهر مادة لعطائه.. ولعل تنويع اتجاهات البواردى مرده إلى : ــ

١ ــ الاستمرار فى نظم الشعر.. وهو من أكثر الشعراء إثراءً للشعر النجدى.. بل للأدب السعودى عامة.. فله عدد من الدواوين.. والكتب.

٢ ــ الموهبة الشعرية.. وهو من الشعراء الموهوبين.. فقصائده تتخذ اتجاهاً صاعداً.

والبواردى فى مجال الواقعية.. والوطنيه أكثر ابداعاً.. وأعمق عطاء.. لأنه على حد قوله.. يكفر بكل أدب ذاتى ولايرى أدباً إلا مايخدم الحياة فقط.. وهو لهذا ميال الى الواقعيات.. والاجتماعيات.. ومن قصائده :

أنا إن صرخت بملء صوتى الناعى
فلأن قلبى ذاب فى أوجاعى
ولأن آفاقى تئن ذليلة
جنت لهول كيانها المتداعى
ولأن أمسى راح يسخر من غدى
وخيوط ليلى لفعت اشعاعى
ولأن يومى هام فى ضوضائه
يهفو لها بمشيئة المرتاع
ولأن دارى وهى أصدق منزل
وطأته اقدام سعت لخداعى
ولأنها قيثارتى جنت معى
مبهورة الأنفاس والإيقاع.

على أن رومانتيكية البواردى لا تتسم بالسلبية كما هى الحال بالنسبة لعدد كبير من شعراء الشباب فى نجد.. هذا إلى أن تجديده فى شكل القصيدة يأخذ فى الاعتبار إشراق الإيقاع الموسيقى.. وإن كان فى هذا السبيل يهدر كمية كبيرة من هذا الإيقاع.. وقصائد البواردى المحافظة على شكل القصيدة أكثر وضوحاً.. وإشراقاً.. وأقدر على تجسيد التجربة وخلق الجو المناسب لظروف التجربة.. فى الوقت الذى لا تتكامل كل هذه المميزات فى قصائده الجديدة فى شكلها.

ومن الشعراء الذين يجمعون بين الوطنية.. والرومانتيكية.. الشاعر النجدى..

صالح أحمد العثيمين[1].. ورومانتيكية العثيمين تتسم بالنزعة التشاؤمية.

تقول الشاعرة جليلة رضا فى مقدمة ديوان شعاع الأمل: للشاعر. وإذا أردنا بعد ذلك أن نفهم الشاعر من ناحية نظرته إلى الحياة لسد علينا التشاؤم واليأس كل منفذ.

تقضّى فى دجى الأشجان عمري   وعشت على الأمانى والهموم

وقوله :

سئمت حياتى وأوجاعها   وعشت وحيداً بوادى الظنون

وتلك ظاهرة طبيعية من سن الشباب من التبرم والضيق والقلق.. وعدم الملاءمة بين واقع الحياة وأحلام الأرواح الفتية وآمالها الواسعة.. نظرة سوداء للحياة وتشاؤم مر وشحنة هائلة من اليأس التعس.. تلك نظرات شاعرنا إلى الحياة.. وقالت: «وانتشر هذا التشاؤم حتى لتجده قد تغشى تأملاته الوصفية للطبيعة ومناظرها الخلابة الفاتنة وإن كان صورها بريشة دقيقة التصوير»[2] ولأعرف مبرراً لهذا التشاؤم الذى سجى معطيات شعرائنا وتجاربهم.. وغشيها بضباب أطاح بها بعيداً عن الإيجابية.. والتفاعل المركز مع الحياة.. لا أستطيع أن أكتفى بسن الشباب كعامل متكامل لهذا الاتجاه.. وإن كان هذا الرأى الذى خرجت به جليلة رضا له ثقله إلا أنه لايغطى كل مطالب هذه الظاهرة.

والشاعر العثيمين مرهف الحس.. دقيق الرصد لدفقاته الفكرية.. ولهذا تلمس سلامة الموسيقا.. وانسيابها.. وعذوبتها.. كما أن كثيراً من تجاربه تتسم بالشكوى المتواضعة.. والمفاوضة الهادئة الوادعة.. والاستعطاف المدل..

أنا ياحبيبى مدنف   فارحم شقيا قد عثر

(١) من مواليد عنيزة. طبع ديوانه ١٣٧٨ من شعراء الشباب.. يعمل فى مجال التعليم.

(٢) مقدمة ديوان شعاع الأمل للشاعر.

وارحم أسيرك فى الهوى فالحب يفتك بالبشر
أنا من هواك بزورق يطفو.. ويسبح.. بالقدر

يقول الأدريس «تطغى على شعره سمة التشاؤم حتى لنكاد ننسى أن فى الحياة شيئاً اسمه الأمل»(١)

ولقد تلمس لذلك سبباً.. كما تلمسته من قبله جليلة رضا.. وكما تلمسه لغيره كالشاعر الحجى.. فقال :

«ولعل لحياة شاعرنا الخاصة أثرها البالغ فى منحاه هذا إذ من المحتمل جداً أن تكون النوازع النفسانية للشاعر وذهنيته المتأثرة بواقع حياته.. قد انعكست آثارها على إنتاجه الشعرى».. واتجاه الشاعر الرومانتيكى شكلاً ومضموناً يبدو واضحاً فى كثير من قصائده.. وخاصة التى يفرغ فيها لنفسه.. ففى قصيدة الأمل الأخير.. تحس بهذا الإتجاه الجديد شكلاً ومضموناً.

وتساقطت بيض الرؤى صرعى كأوراق الخريف
ومشى الأسى ظمآن فى قلبى كتيار عنيف
ولهان ينهل من دمى أملاً تصارعه الحنون
ورؤى الطيوف
أملا يسير إلى الحياة فغاله القدر العسوف
وأتت على اشراقه شتى المظالم والخطوب
وقضى وديجور المصائب حوله جدث رهيب
ياقلب لاتجزع ولو ظلت تؤرقك الندوب
وتحطمت فيك الأمانى بين أمواج الغروب
هى ان ذوت مثل الرياض فطيرها مرح طروب

وللشاعر قصائد غزليه لاتخرج فى جملتها من إطار التقليد الموضوعى.. ولاتعدو أن تكون ممارسة شكلية لهذا اللون من الشعر.. لكن الرومانتيكية لم

(١) شعراء نجد المعاصرون: ١٨٠ وراجع تاريخ الشعر العربى الحديث.لأحمد قبش.

تفرغ بعد من السيطرة عليه حتى فى غزلياته المضرجة بنزعات التقليد.. يقول فى قصيدة آهة محترقة :

سهـم من الطـرف الحـور أدمـى الفـؤاد فماصبـر
آه فقـد ثاب الهـوى من طلعـة تحكـى القمـر

وخاصية اخرى فى وصفياته.. وغزلياته.. ذلك هو التجسيد الدقيق للصورة.. فهو يعمل ريشته.. بدقة.. وابداع ويعطى صوره.. بوضوح.. وتكامل ففى قصيدته راقص.. يمزج الصورة الحسية.. مع التصور الفكرى.. والتفاعل العاطفى.. ويخرج لنا صورة بديعة رائعة :

أروح تهـوم فوق الخيـال وتهـزأ نشوانـة بالقـدر
تروح وتغدو كومض المنـى وتقـذف أرواحنـا بالشرر
تملمـل كالصب ولهانـة وتخطر كالغض إما خطـر
تثنى القوام فتبـدو النهـود كرمانتيـن بغصن سكـر
اذا ماتلوت كبـان الريـاض رايت الجمال بشتـى الصور
تجىء وتذهب كالحكم روحا وتعبث بالقلب حيث استقر
إذا انساب فيها القوام الرشيق تخـال الوجـود لهاقـد أسر
هو الفن من نسمات الحياة ومـن نفحـات إلـه البشر

على أن آهاته.. وآلامه.. كثيراً ماتنطلق من واقع قومه.. الذين يكيد لهم الغاشم الأحمق.. أنه لا يرى فى موكب العيد مايثلج صدره.. أو يزيح همه.

رؤى العيد فى محجرى دمعة بوشحهـا خاطـر أقتـم
رؤى العيد فى خاطرى حسرة يجسدهـا نغـم ملجـم
أطل فمـا رفـرفت بسمـة بنـفس ومـا رقصت أنعـم

ويقـول :

أأصعد فوق روابـى الخيـال وأمرح بين الأمانى العذاب
وأتلو نشيدي ولحنى الطروب وأبـعث فنـى بشدو مذاب

وقومـــى هنـــــاك بآلامهـــــم يكيـــد لهـــم غاشم أحمـــق
يريـــد ليسلبهـــــم أرضهـــــم بروحـــى أرض بهـــا طرقـــوا

وللشاعر فى الحياة نظرتان.. تنطلقان من فلسفة الرومانتيكيين..

فالنظرة الأولى يجسدها قوله :

أن الحياة وأن اعطت وإن سلبت لج من الشر فيه المرء يصطخب
الشر والغدر والإملاق ديدنها لاغير إن بها الآمال تضطرب

والنظره الثانيه تبدو فى قوله :

ان الحياة شعور جل ملهبها فيها الجمال وفيها العقل يلتهب
السحر والحسن فى أكنافها رتعا واليمن يخفق نشوانا وينسكب
الكون فيها حفيل فى مباهجه فكم تغنى به الالهام والطرب

وبعد هذا الملل.. وهذا النواح.. وهذا التشاؤم.. ارتمى على رصيف الحياة يئن.. وينتحب.

مللت النـواح ودنيـا الشجـون فحطـمت قيثارتـى فى الـغصون
وعشت رهين الأسى فى الوكون أولـول بيـن حنايـــا الشجـــون
سئـــمت حياتـــى واوجاعهــــا وعشت وحيـدا بوادى الظنـون
فلا الكـون يغمرنـــى بالهنـــاء ولا الفجر إن ذاب فوق الحزون

وكثيراً مانلمس من شبابنا الملل.. والضجر.. وكأنه فى نظرهم فن يطرقونه فيقيمون فيه إقامة صوفيه.. ثم يسوؤهم المقام.. فيرحلون عنه ويحطمون قيثارة هذا اللحن الحزين بحثاً عن بديل أمثل.

.. ويتناول القيثارة المحطمة.. ويصلح من شأنها الشاعر عبد الله العثيمين[1] ليعزف عليها فيحسن العزف.. فهو أبداً يشدو بلحن حزين مؤلم.. فيه رنة أسى.. ونغمة ملل.. وصرخة ضجر.. إلا أنه كثيراً مايتجه فى شعره اتجاها قومياً ووطنياً.

(١) من مواليد: ١٣٥٦ وأصل تعليمه الجامعى.. ويعمل فى مختلف الوظائف الحكومية.

له قصيدة «أى ذنب جنيت» وهو بهذا يلتقى مع تساؤلات حمد الحجى.. الذى يكثر التساؤلات عن سبب نكباته وويلاته..

آه قد عذب الزمان فؤادى وقضى الدهر أن أعيش شقيا
آه ما أتعس الحياة واقسى فتكات الزمان ضرباً وكيا
لم اجد فى الحياة الا هموماً.. تقتل الحر والهمام الأبيا
أنا من أصبح الزمان عدواً لأمانيه وخصما عتيا
لست أدرى لم الخطوب اعترتنى والآم القيود تدمى يديا
أى ذنب جنيت ماهو إثمى لم إجىء فى الحياة شيئاً فريا
ليتنى مت قبل هذا فإنِّى فى جحيم الشقاء مادمت حيا

فالحجى يقول :

لست أدرى لم الدنـــــا حملتنـــــــى
ما أرى الغيـــر منـــــه خلـــو الوطـــاب
ألانـــــــى قد نلت بعض نعيـــــم
تلـــــيت كأسه بأقـــــــداح صاب

ويتجلى فى قصيدة العثيمين تأثره بالقرآن الكريم.. ومناجاة مريم عليها السلام حين ألم بها المخاض.. ولامكان لضمير الفصل بعد ــ ماــ الاستفهاميه فى البيت قبل الأخير.

على أن التشابه بين العثيمين والحجى.. يجعلنا نحكم على تأوهات العثيمين بأنها لا تتسم بالطابع الفلسفى الذى تلمسه بشىء من الاهتزاز عند الحجى.. ولا تعنى هنا فلسفة الحجى فلسفة مركزة عميقة.. إنك تحس أن العثيمين يسرد عليك تصوراته.. وانفعالاته سرداً تنداح معه دائرة الألم والمرارة والشكاية.

ويعده الادريس من فرسان البؤس والحرمان المغاوير.. ويقول عن شعره «شاعر

تعتمل فى نفسه عواطف الثورة.. الثورة على كثير من أوجه الحياة المسلكية.. من تجبر وعجرفة تملأ إهاب الأثرياء» ويسرف الأدريس فى الحكم على شعره إسرافاً لامبرر له وإسرافه هذا من باب الثناء.. فيقول: «وبالجملة فهو من الشعراء الناقمين على المجتمع الذى تقدس فيه الماديات وتحتقر المثاليات الإنسانية والخلقية أو يكفر بها وهو إلى جانب هذه الميزة شاعر صادق الوجدان سلس التعبير فى قوة وعمق واتساق» هذه الشكاية.. وهذا الألم.. دفعه إلى تحسس أنات البائسين.. وملالة المنكوبين.. حتى أنك لتجده يحسن تصوير وضع البائسين.

للبـؤس للآلم المـروع للتعـاسة للشقـاء
لكآبـة المستضعفيـن المـر بؤس الأشقيـاء
خُلقت على هذى الحياة تذاق أنواع البلاء
الداء يلزمهـا الفراش وليس فى يدهـا دواء
ومصائب الأيام تدفنهـا ولـيس لهـا شفـاء
كانت ومابرحت تجالـد حسرة بيـن الضلـوع
ترنـو فيغمض مقلتيها منظـر العدل الصريـع
فئة تظللهـا السعـادة بيــن أزهـار الربيـع
شبْتَ وشابت فى النعيم وحولها تلك الجموع
ولهى تفتش عن فتات العيش بالدم والدموع

بهذه القصيدة يصور حالة بائسة.. وأنت تحس أنه يتخذ جانباً ناقداً سالباً.. وهو جنوح يترك الطريق السوى.. ذلك أنه عرض صورة دقيقة وواضحة عن حالتها.. وآلامها.. لكنه وجه نقده لطبقة الأثرياء.. وكان من الخير ــ فى نظرى ــ أن يتجه الشاعر الى استعطاف الأثرياء.. وتحريك مشاعرهم الإنسانية.. ودفعهم للتسابق فى دروب الاحسان.. لأن الشعر بهذه الثورة العاتية يفقده وظيفته الاجتماعية.

هذه الظاهرة السلبية نجدها واضحة ومتكررة فى كثير من تجارب الشعراء الشباب.. تتكون هذه السلبية.. بامتداد فترة المراهقة.. وبعامل حساسية الشاعر المرهف التى تجسد أصغر الحوادث بشكل مخيف مرعب.

وللشاعر صورة أخرى.. لشيخ فى الطريق يقاسى آلام الإرهاب ومرارة التعسف.

ولمحت دمعته.. تسيل فحشرجت فى الصدر زفرة
ولمست نفسى عند رؤيته تذوب أسى وحسرة
وتصاعدت فى صدرى المملوء بالآهات عبرة
شيخ امضته الجراح.. وقوس الإرهاب ظهره

وللشاعر أيضاً قصائد وطنية وقومية سنعرض لها فى أماكنها.. وفى قصائده الوطنية يبدوا الجانب الإيجابى أكثر إشراقاً.. ووضوحاً.

وللشاعر النجدى إبراهيم محمد الدامغ[1] تحويمات لاهبة.. وتهويمات شاردة.. فى فلك الضيق.. والألم.. والضجر والتصور السلبى لحياة حافلة بكل شيء.. وله إلى جانب ذلك اتجاه وطنى مشبوب.. تشم منه رائحة البارود.. وتستجلى فى ملامحه عبوس الثائر المتمرد وهو من شعراء الخطابة والصخب اللجوج.

واتجاهه الرومانتيكى المتململ لايتخذ نفس النهج الذى خطا على مدرجته العديد من الشعراء الشباب فهو لم يكن متشائماً فى كثير من المواقف .. بل ظل يبسم فى وجه العبوس حتى ينفلت من قبضتة.

فمن قصائده الواجمة «شاعر البؤس» «ومأتم السعد» «ويانفس ماذا ترتجين».

---

(١) من مواليد ١٣٥٧ هـ بمدينة عنيزة واصل تعليمه العالى بكلية اللغة العربية إنخرط قبل تخرجه بسلك الوظائف ولازال.

لم يطبع له ديوان حتى الأن رغم اثرائه الشعرى.

يقـول فيها :

ياصاحبى كيف الخلاص من الحياة وبأي لج نعتلى سفن النجاة
وإذا دفعناها وارست فى الفلاة ماذا أنلقى العيش أم نلقى الممات

ياحيرة الشاكى ويايأس الحزين
البـؤس والإمْـــلاق والآلام لى فإلى متى تلك التعاسة تنجلى
يامنقـذ الــمستصرخ المتذلـــل رحماك قلبي بالمصيبة قد بلى
ياعالم الأسرار انس البائسين
هدهدت جرحي فاستشاط ومابرىء وندبت حظى فاشتكانى متبـرى
فنزلت عنه وقد تغير منظـرى ونسجتَ من صلب الشدائد مغفرى
فسقتنى اللأواء بماطرها الهتون

هذا الشكل الذى شع نوره فى ربوع الأندلس الخضراء تهادى على أديم نجد الأغبر.. حافظاً روعته ولحمته.. ودفقة الموسيقا البديعة.. والقصيدة طويلة يتنقل فيها الشاعر من غصن إلى غصن.. ويشدو فيها على كل فنن.

ويقول فى قصيدة البؤس.. أو شاعر البؤس..

خانه الدهر فانطوى فى ظلام حالك الأفق بالمخاوف مكس
يرقب الفجر فى وجوم طويل سارح الطـرف لاينـم بنـــبس
خطـه الوهـم والشقـا والتمنـى عيشه الحـزن والأسى والتـأسى
يحتسى الصاب كى ينال شفاء ياله القلب قد اصيب بمس

ثم يلتفت إلى الليل ليحمله تبعات هذه المآسى.. ولست أعرف أى ليل.. ذلك.. أهو ليل العاشقين.. أم ليل الموتورين.. أم أنه ليل كثفت ظلامه حسرات النفس وآلامها.

**أيها الليل انت سر بلائي		أيها الليل انت رجع نحيبي**
**أيها الليل فيك تغزو فؤادي		وطأة اليأس والشقاء الغضوب**
**أنت ماأنت.. أنت سر رهيب		فيك للقلب قاسيات الكروب**
**أنت ما أنت أنت وجه غضوب		كاشر الناب مستديم القطوب**

وله نزعة تجديدية فى القافية.. فهو يفرغ التجربة ذات الوحدة الموضوعية داخل إطار متنوع القافية.. على أنه لا يلتمس من القافية مايتفق والحالة النفسية التى يمارس من خلالها تجربته الشعرية.. وموسيقاه متكاملة ذات رنة قوية.. قد تصل فى بعض الأحيان إلى مرحلة الدوى.. والصخب..ويكتمل صخب موسيقاه فى قصائده التى يكافح فيها الإستعمار.. ويشاطر فيها أبناء الأمة العربية.. التى تئن تحت نير الاستعمار.

وهو ألصق الشعراء النجدين بشعراء الديوان.. سواء تتلمذ عليهم أو وقع الحافر على الحافر والذين يقرؤون شعر العقاد يدركون أن كثيراً من الشعراء النجديين ــ الشباب منهم ــ قد إقتفوا أثره.. خاصة فى نظرته إلى الناس.. وشكه بهم.. ونفوره منهم.. ويمكن أن يتضح ذلك كثيراً فى شعر الحجى.. والعيسى.خذ مثلا قصيدة العقاد الخالدة :

**فشت الجهالة واستفاض المنكر		فالحق يهمس والضلالة تجهر**

وقوله :

**ماوجدنـــا من البريـــة الا		خلقاً زائفــا وجهــلاً مبينـــا**
**حشرات لاتعرف الخير والشر		وفيهـــا الهـــلاك للعارفينـــا**

والذى يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبرم.. والشكوى ويظهر ذلك فى جل الأغراض التى نظم فيها[1] ومن قصائد الدامغ التشاؤمية البرمة الضجرة.. قوله فى قصيدة «مأتم السُّعْدْ» :

**قالوا بكيت فقلت الحزن أبكاني		والبؤس أفضى إلى الاسماع كتماني**

---

(١) الأدب العربى الحديث ومدارسه ٢٤٤.

أستنزف الدمع من عينى فأجريه دماً سخياً أروى منه أشجانى
لا الأنس يحمى فؤادى من كوامنه ولا السرور على الأيام يلقانى[(١)]

من خلال دراستنا لأكثر شعراء نجد إخصاباً فى مجال الرومانتيكية اتضح لنا أن الغالب عليهم جانب نفسي.. هو الضيق.. والبرم والتشاؤم.. وتلك من أبرز سمات الرومانتيكيين.. على أن الحزن والتشاؤم منشؤه برم الإنسان من أى وضع سواء كان هذا الوضع يتعلق بشعور الشاعر بأحداث نفسه أو أحداث قومه.. فشعراء العربية الذين دنس أرضهم المستعمر.. وضيق عليهم الخناق.. يتخذون لحمة شعرهم من هذا الجو المكفهر الذى يحيط بهم.. وشعراء العربية الذين وقاهم الله شر ذلك المستعمر يحسون بآلام أخوانهم.. ويشاركونهم وجدانياً مآسيهم.

ومأساة فلسطين هيِ القاسم المشترك التى يلتقى حوله الشعراء جميعاً بإحساس متقارب وتكفى هذه المأساة لتحويل وجه الشعر العربى المعاصر من الإشراق.. والسرور إلى الثورة.. والعبوس والألم

إن التشاؤم.. واليأس.. والحزن من خصائص الشعر العربى الحديث البارزة.. يقول قبش وهو بصدد سرد تلك الخصائص: «ويكاد الحزن والتشاؤم واليأس أن يكون صفة سائدة فى الشعر العربى الحديث.. وذلك نتيجة للأحداث الخطيرة.. والخطوب الكثيرة التى انصبت على العالم العربى كأنه من أقصاه إلى اقصاه فمن الاحتلال التركى البغيض الذى أناخ بكلكله على معظم أقطار العالم العربى تقريباً إلى الاستعمار الأوربى من انجليزى.. وفرنسى.. وأسبانى.. وإيطالى.. ثم نكبة فلسطين الأخيرة بل الاستعمار الإسرائيلى وماتبع ذلك من ثورات وانتفاضات ومارافق ذلك من تخلف اقتصادى وعلمى واجتماعى»[(٢)]

---

(١) شعراء نجد: ٢١٠ وراجع تاريخ الشعر العربى الحديث ٤٧٥. والأدب الحديث فى نجد ١١٩.

(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث ٧٥٦.

الفصل الثالث

الاتجاه الرمزي

أتساءل هنا.. أكانت الرمزية نبتة غربية وفدت إلينا مع ماوفد من هذه المصطلحات.. وتلك المبادىء.. أم أنه عربى نبت فى ربوعنا فى غمرة مانبت فلم يلتفت إليه أحد حتى اكتسى هذا الجلباب المرقع الذى أجازه إلى نفوسنا كما أجاز غيره.. وكأننا لانقبل معطياتنا إلا بشفيع من هذا الغرب الذى غلبنا على أمرنا.. فغير وبدل فى تراثنا ثم دفع به إلينا فى بريق خادع.. ولون حائل.. وقوام مائل.. فحل من قلوبنا فى السويداء.. وحل فى أرباضنا فى الصدارة.. لا أريد أن أفضى إلى اكثر من هذا فالأمر من اليسر والسهولة بحيث لا يطلب المزيد.

للدكتور بدوى طيانة كتاب ألفه عن قدامه بن جعفر وتعرض فيما تعرض إليه.. إلى كتاب «نقد النثر» الذى ارتاب البعض من صحة نسبته إلى قدامه.. وفى هذا الكتاب الذى إن خرج من حيز قدامه.. فإنه لا يخرج من الحيز العربى.. وهو مانريد.. فى هذا الكتاب إشارة واضحة متكاملة للمذهب الرمزى فمن تعريفه بهذا اللون قوله «يستعمل المتكلم الرمز فى كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس.. والافضاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس.. أو حرفاً من حروف المعجم.. ويطلع على ذلك الوضع من يريد إفهامه فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما مرموزاً عن غيرهما[1].

(١) قدامه بن جعفر والنقد الأدبى: د. بدوى طبانه ١٠٦.. وراجع نقد النثر لقدامه ٦٠ وراجع الرمزية فى الأدب العربى. د/ درويش الجندى.

إن الرمزية نبتة عربية خالصة.. لكنها الآن وبعد أن طوف فى الآفاق وركبه من لا خلاق له فى حرم الشعر أصبح غريباً فى شكله.. ومضمونه.. وأنكره الغيورون على لغتهم وأدبهم (وحاربه الناقمون على هذه الثقافات التى حملها لنا هذا الوجود المتلاحم من أقصاه إلى أقصاه) ورغم كل ذلك فإن الرمزية مذهب له حيزه فى مدى الأدب والشعر سواء أكانت تلك الرمزية غربية أم عربية.. أم خليطاً من ذلك.

شيء أريد أن أقوله هنا.. ذلك أن معطياتنا الفكرية.. وأسس هذه المعطيات تتناثر فى كتبنا بشكل لا نجد أى خيط ينتظمها.. على هذا الوضع تمتد إليها أيدى المفكرين من الغرب فتنسقها.. وترتبها.. وتجمع شتاتها.. وتغير.. وتبدل فى أصباغها وأشكالها.. وألوانها ثم تدفع بها إلينا كبضاعة جديدة لاقبل لنا بحيازتها.. وعلينا أن نقلدها كوافدة جديدة هذه كانت حركاتنا مع أفكارنا السليبة.

وإذاً علينا أن نعرف.. ما الرمز.. وكيف.. ومتى وجد.. وأين وجد..

يقول الدكتور الجندى «الرمزية فى الأدب حركة أدبية تميزت فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر.. وكانت هذه الحركة فى أصلها ثورة على الطبيعة البالغة الغاية فى الجمود وعلى البرناسية المفرطة فى الوضوح[1] لأن الاتجاه الطبيعى يهتم بالتفصيل.. والبرناسية تهتم بالتجسيم أو النحت.. ولعل من أقوى دعامات الرمزية اتجاه الأدباء والعلماء إلى النواحى الغيبية والبحث فى الديانات.. وماوراء الطبيعة وعجز القلب عن الوصول إلى الحقائق.. ثم تقدم البحوث النفسية.. والوصول إلى حقائق تثبت أن الإنسان بحالتين:

١ ـــ وعـــى.

٢ ـــ واللاوعـــى.

---

(١) الرمزيه فى الأدب العربى: ٧٠.

ومن أشهر شعراء الرمزية بودلير ١٨٢١ ــ ١٨٦٧.. فراين ١٨٤٤ ــ ١٨٩٦.. ومالارميه ١٨١٢ ــ ١٨٩٨ وتبرز تلك السمات عند كثير من الشعراء.. فى بلجيكا.. وأمريكا.. وايرلندا.. وانجلترا..

ومن خصائص الرمزية.. أو مذهب الرمزيين فى الحياة.. أنهم لا يرون الموضوعات صالحة كمادة للشعر.. فالرمزية.. تعبر عن عالم مثالى.. وهذه الخاصية تلتقى مع مثالية أفلاطون التى ترى هذا العالم تشويها للعالم الحقيقى.

وأما الأسلوب الرمزى.. فإن الرمزين. ينكرون على اللغة قدرتها على نقل الحقائق ويعتبرونها رموزاً تثير الصور الذهنية.. ويميلون إلى الأسلوب الغامض المبهم. فهم يرون بذلك جمالاً لا يمكن أن يتحقق فى الوضوح والظهور.. يقول: فرلين «المعانى الخفية كالعينين الجميلتين تلمعان من وراء النقاب»

ويقول بودلير: «شيئان يتطلبهما الشعر.. مقدار من التنسيق والتأليف.. ومقدار من الروح الإيحاء أو الغموض يشبه مجرى خفياً لفكرة غير ظاهرة ولا محدودة»[١].

ويرى الرمزيون أن الشعر يكون زائفاً بقدر مايفرط فى التعبير عن المعنى بدلاً من عرضه بصورة خفية.. فالشعر عندهم تأمل للاشياء يقوم به الشاعر.. فيلتقط صوراً غير مجسمة من الأحلام تثور من هذه الأشياء التى تأملها ذلك الشاعر.. وتبعاً لهذا نجد أن الرمزيين يختارون الألفاظ ذات الإشعاع الروحى.. التى تكون أكثر لصوقاً بالنفس.. وأبعد عن الإدراك الحسى.. بالنظر المجرد فهم حين يريدون أن يتحدثوا عن الجدب مثلاً لا ينفذون إلى الموضوع إلا من خلال كلمات ذات إشعاع خافت لا يشع بالمعنى.. أو لا يعطيه بدون بحث عن خلفيات أو مستلزمات الكلمة.. كصرع الأزهار وانتحار الحياة.. وعلى غراره فى الأدب العربى ــ الكناية ــ فعندما نريد أن نصف إنساناً بالكرم تقول فلان

---

(١) الأدب المقارن: ٣٧٩.

كثير الرماد.. أو لا تهر كلابه.. والرمزيون يؤمنون بتداخل معطيات الحواس.. بمعنى قدرة أى حاسة إن تولد وفقاً نفسياً موحداً. هذه الرمزية بأصباغها.. وأشكالها.. وحدودها الجديدة امتدت إلى العالم العربى.. عبر مختلف الوسائل.. وكان أول انبثاق لها علي يد الأدباء اللبنانين سواء منهم من كان مقيماً فى لبنان أو فى المهاجر الأمريكية.

لكن.. قبل أن نعرض لهذا الجانب.. يجدر بنا أن نلم بالرمزية العربية.. حين كانت عربية خالصة..

يقول: درويش. وأما الرمزية بالمفهوم العربى فقد نبعت أول مانبعت فى الأدب الجاهلى واستعارت ألوانها من الطبيعة العقلية العربية الأصلية.. ومن مظاهر الحياة الجاهلية الخالصة.. ونحن نعلم أن الرمزية العربية تعتمد على هذين الركنين.. الإيجاز ــ وغير المباشرة فى التعبير(١).. وعدوا الايجاز من الرمز.. وقالوا أن الشعوب السامية مياله إليه.. كما عزاه بعضهم إلى طبيعة الشعر إذ أن البيت الواحد يمثل وحدة قائمة.

أما غير المباشرة فى التعبير فيتجلى فى الفنون البلاغية التى عرض لها البلاغيون وكذلك الأمثال العربية(٢) ولكن التشبيهات تكاد تخرج الرمزية الاسلوبية فى الأدب العربى إلى الرمزية الموضوعية.. وكذلك نستطيع أن نقول أن الأمثال رمز فى الأسلوب ورمز فى الموضوع وفى صدر الإسلام.. وفى العصور المتتابعة نجد أن مظاهر الرمزية بادية فى كثير من الموضوعات الشعرية(٣) سواء منها مايتصل بالحياة العامة.. أو الحياة السياسية.. وحتى الجانب الدينى تجلت فيه الرمزية.. يتضح ذلك للمتتبعين لآداب وشعر المتصوفين.. وقد عرف تبعاً

---

(١) الرمزية فى الأدب العربى: ١٦٢.

(٢) الأمثال فى النثر العربى القديم: د/ عبد المجيد عابدين.

(٣) ألمح الدكتورشوقى ضيف فى كتابه. الفن ومذاهبه فى الشعر العربى إلى رمزية أبى تمام ص ٢٤٧.

لذلك نقاد العرب القدامى فن الرمز.. وقد أشرت إلى كتاب قدامة.. فى صدر هذا الحديث.. ومعرفتهم لهذا الإتجاه جعلهم يلمون ببعض خصائصه.. إلماماً واضحاً.. فكان الصابى الكاتب المشهور يقول: «أفخر الشعر ماغمض عنك فلم يعطك إلا بعد مماطلة منه».

وللرمز دواعى كثيرة.. منها كتمان الحب.. فالشاعر قد يعيش فى وسط محافظ يأخذ عليه الهفوات الصغيرة.. ويحاسبه على اللمم.. فلا يجد متنفساً لهذا الكبت إلا فى رحاب الرمز يفرغ فيه شحناتة النفسية.. كما قال مارون عبود عن عبد الله الفيصل: أباح.. فاستراح أن البوح بمكنونات الضمائر مدعاة للراحة.. لكن قد يقف المجتمع.. تسانده عادات وتقاليد وأعراف فى وجه مثل هذه الزفرات الواضحة.. فيلوذ الشاعر وراء الرمز يناجى الذين يفهمون همهماته.. ويستر مناجاته عمن يضيقون بهذه الهمهمات.

ومن دواعيه الرمز العلمى.. ولا يقع ذلك فى مجال الحديث الذى نحن بصدده والرمز الدينى الباطنى.. والرمز الصوفى.. والفلسفى.. والرمز السياسى.. ونجد هذا مثلا عند ابن الرقيات.. الذى عرض بعبد الملك.. ونجده أيضاً فى قصيدة ليزيد بن حنيفه مع هشام بن عبد الملك كل هذه المذاهب.. والإتجاهات أوجدت هذا اللون من الشعر القائم على الرمز والإشارة فى الأدب العربى.

هذا الأسلوب من الرمز وأعنى به الرمز الذى عرفه الأدب والشعر العربى القديم لم يكن هو الرمز الذى نشهده الآن ونعايشه فى آدابنا العربية.. ذلك أن الرمز لدينا يعد فى شكله القائم نزعة تقليدية أملتها ظروف ترتبط بالشاعر ودفعته إلى الرمز دون وعى منه. أو أنه إتجاه نحو التقليد وأكاد أجزم بأن هذه هى السمة الغالبة على هذا اللون من الأدب.

قلت إن هذه النزعة نفذت إلى العالم العربى عبر مختلف الوسائل.. وكلها مكنت من اتصالنا بكل الثقافات الأجنبية.. فالاستعمار مثلاً كان عاملاً مهماً..

(من عوامل تفشى مثل هذا المذهب خاصة الاستعمار الذى يركز على الناحية الثقافية)كالإستعمار الفرنسى مثلا وإذا كان قلب الجزيرة العربية قد سلم من هذا السبب بحكم الخصائص الطبيعية لهذا الإقليم فإن السلامة من غزو هذه المذاهب وتفشيها لم تدم لعوامل أخرى.. ومن العوامل التى أدت إلى انتقال مثل هذا المذهب.. وهو سبب يمتد.. أو يخصب تحت العامل الأول.. هذا العامل يمكن أن نعتبره عمليات التبشير.. كذلك يعد الإستشراق سبباً ثالثاً ــ دفع بهذه الأنماط إلى عالمنا.. ويعد الإستشراق من أخطر «العوامل» إلا أن الأستعمار يفضله بفرض رغباته عن طريق القوة.. أو الإحتيال.. والإستشراق. يتم نتيجة رغبة الغربيين فى دراسة معارف ولغات الشرق لقصد الوصول إلى كل خصائص.. وسمات هذا العالم العظيم.. والإستشراق إلى جانب مهمته الأولى.. وهو العلم.. يفضى بما لديه من معارف.. واتجاهات.. ومن العوامل التى ساعدت على تفشى تلك المذاهب فى شرقنا العربى ــ الهجرة.. والهجرة تتخذ عدة أشكال منها الانتقال لطلب الرزق.. وتدخل هجرة الأدمغة ضمنها.. والهجرة لطلب العلم.. وهى المتعارف عليها بالبعثات العلمية.. وهذه خطرة أيضاً.. إذا لمحنا آثارها فى الدراسات الأكاديمية العربية.. وآثارها فى الثقافات العربية.. كحملة الدكتور طه حسين.. وماتبعها من معارك فكرية.. وأدبية.. وتاريخية.. والهجرة للارتزاق مثله اللبنانيون.. والسوريون.. ولم يكن للمصرين النصيب الأوفر منه وقد كان للمهجرين مدارس.. واتجاهات.. وكان لهم أثرهم الواضح فى الأدب والشعر العربى.

ولاتنسى أسباباً عدة.. كالترجمة.. وسرعة وتعدد وسائل الاتصال.. هذه التسهيلات أذابت الحواجز.. وقربت المتباعدين.. وأحدثت الألفة وأكثرت الإحتكاك.. ومزجت الثقافات.. فكان أن نزع كثير من الشباب إلى هذه المعارف الجديدة.. والفنون الحديثة.. يدرس.. ويناصر.. ويقلد..

هذه العوامل متفرقة.. أو مجتمعة غيرت الكثير من المفاهيم سواء فى مجال

الإنتاج أو فى مجال نقد ذلك الإنتاج وتقويمه.. وجعلت الأدباء ينشقون على أنفسهم فمنهم من يدعو إلى التجديد ونبذ القديم.. ومنهم من ينادى بسحق هذه المظاهر البراقة.. والتمسك بالقديم.. وهناك دعوات.. أخذت من كل لون أحسنه وأيسره وأقربه إلى الذوق العربى.. وبالتالى مايحتاج إليه العربى له شخصيته المتميزة.. المتكاملة.. يقول المرحوم عباس محمود العقاد «أن الولع بكل جديد كالولع بكل قديم دليل على نقص فى التمييز.. وعلى اتباع يخلو من الإبتداع. وقد عشنا زمناً فى الشرق.. ومقياس الحرية عندنا أن نقبل كل جديد. وأن نثور على كل قديم لأنه قديم»(١).

لقد تخلخلت الرمزية فى أدبنا.. فكانت واضحة فى الأسلوب.. من حيث الصور الرمزية ومن حيث الموسيقى الشعرية.. وذلك باختيار ما يلائم الموضوع من إيقاع موسيقى حتى أنك لتجد البعض أسرف فى ممارسة تجاربه عبر الشعر الحر الذى لا يلتزم الوزن.. ولا القافية.. فلا تحس بجرس موسيقى.. ويدعون أنه يكفى الاعتماد على ذبذبات الشعر فى الأعماق.. وهذا المبلغ حط الشعر العربى.. وقعد به.. وزعيم هذه الحركة ألبير أديب ومن سخافات هذا الاتجاه أكثر قصائده فى ديوان «لمن» واستمع إليه فى واحدة من عيون قصائده :

لا وجود للحياة أو للقبح
كل شىء فى هذه الحياة
وليد العادة
ويشتق منها
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الأدبية ١٢٩.

فليس للقبح والجمال بعد الألفة
مقياس أو فارق

يريد أن يقول أن العادة هى التى تقرر الجمال والقبح.. أو يريد أن يشير إلى نسبية الجمال والقبح كما ذهب علماء الجمال.. بمعنى أن المجتمع هو الذى يقرر المعايير. هذه وجهة نظر لكن هل يعتبر هذا الكلام شعراً.. أن الجدال يجب أن يقوم حول ما إذا كان هذا الكلام نثراً فنيا متكاملاً..أو لا. وإذا تواطأنا على أنه نثر فضعه إلى جانب قطعة من كلمات الزيات.. أو المنفلوطى أو طه حسين..

والبير أديب.. قمة الإتجاه الرمزى بل هو فى نظر التائهين عميد الأدب فى الشعر.. ورسول الحرية.. بعثه الله على فتره من المحررين فحطم الأغلال وفك القيود.. وخلص الشعر العربى من كابوس الرجعيين.. هو فعلا حطم القيود.. وهد السدود وخلع النوافذ..

أن الفنان يستمد قوته الفنية الآسره من الفن باغلاله وقيوده.. ومتى أراد أن يخلد فنه لابد له من قوة جماليه تنبثق من العمل الفنى.. ليأسر الناس.. ولن يكون ذلك حتى يظل الناس فى كل زمان.. ومكان أسرى لهذا الجمال.. فرضاء الفنان عن نفسه أو تفاعله داخل إطار مذهبه لا يكفل له رضا الناس.. وبالتالى لا يكفل له الخلود.. وإذا انعدم الرضا وتعذر الخلود فما المقصد الذى يسعى إليه أو يريده.. أيريد الفنان أن يبدع لذاته.. ويعطى ليقبل هو.. ويمثل فى سوق الشعر صاحب العرض.. وصاحب الطلب.. أم يريد أن يقدس ذاته داخل إطار النرجسية فى ظل المذهب الرمزى.. كلا المطلبين لا يحققان التكامل الفنى وهنا ينقرض الفنان ويمحى أثره من الوجود فى أعقاب صرخة الوضع.. هذا ما لمسته من الرمزيين الذين يخلصون للرمز لا لشىء أكثر من أنه فن غربى جديد.

أن الشعر العربى حافل بالعمالقة.. الذين لا يعرفون الرمز.. ولا الشعر الحر..

ورغم أن أمواجاً عاتية ومغرضة من النقد تصدت لهم فتلاشت تحت صمودهم.. هذا النقد الذى عرض لهم.. أشبه ما يكون بالموج المنكسر تحت سفح الجبل الأشم يُذْهب من أقدامه غبار السنين ليبدأ مع الحياة رحلة العمر بفتوة وشباب.. وحيوية.. أقرب مثل على ذلك الحملة القوية المركزة التى قام بها المرحوم عباس محمود العقاد على شوقى.. ومع أن العقاد يعتبر أمة وحده فى مجال الأدب والشعر.. ومع ماله من القوة والعنف والشدة.. ورغم أنصاره.. وتلامذته.. رغم كل ذلك لا زال شوقى علماً فى رأسه نار.. السبب الوحيد الذى ضمن له الصمود والخلود.. فنه. فشوقى رحمه الله لم يكتب سطراً فى الرد على العقاد(١).. ومع ذلك حفظ مركزه الذى ثبت فيه قدميه.. ولو تصدى العقاد لدولة من الشعر لأخملها.. وسحقها.. لكنه عجز عن إخمال ذكر شوقى. ومثل أبعد.. المتنبى.. لقد أقام الدنيا وأقعدها.. وتوجهت إليه الأقلام والألسن من كل جانب..وتحزب عليه الصاحب.. ومن لف لفة.. ومع كل ذلك بقى المتنبى كما هو عملاقاً من عمالقة الشعر العربى الخالدين.

أن الرمز من حيث هو.. إذا تكامل داخل إطار فنى رفيع.. وكان الغرض منه الرغبة فى عدم الإفصاح لأى سبب.. لا يعد مرفوضاً.. وهناك بعض قصائد توحى برمزية شفافة.. دفع إليها ظرف ألم بالشاعر.. ومن شعراء الرمز فى العالم العربى.. القبانى.. وعقل.. وصلاح.. والصيرفى.. وأبى ماضى.. وألبير أديب.. وعدد كبير من شعراء الشباب فى العالم العربى ولهؤلاء الرواد قصائد فيها إبداع.. وحيوية.. وإشراق.. كما أنها تتمتع بموضوعية متجددة مع الزمن لعالميتها.. وانسانيتها.. وهى بمقايس المذهب الرمزى المتطرف تعتبر متمردة عليه.

والرمز يكون فى الأسلوب.. ويكون فى الموضوع.. والرمز فى الأداء يتضح عند حسن كامل الصيرفى من شعراء مدرسة أبولو «وقد يسرف الشاعر فى الرمز

(١) هذا إذا صرفنا النظر عن دفع شوقى لبعض الكتاب كصاحب جريدة عكاظ للنقد والرد على العقاد.

فيتجلى فى الأداء.. وفى الموضوع كما يتضح عند الدكتور بشير فارس».

والرمز فى الموضوع يغتفر أو يقبل على الأقل إذا كان الشاعر غير قادر على الافضاء بما لديه من مشاعر.. كأن يكون الشاعر يعيش تحت ضغوط نفسية أملتها الوساوس والأوهام.. وقد وجدنا أن كثيراً من الشعراء يخضعون لهذه الظروف كالحجى مثلاً.. لكن الذى لا يقبل نزوع الشاعر إلى الإغراب لقصد الظهور بمظهر الأصالة فى الرمز.. ليستحوذ على قلوب السذج الذين يعدون الإغراق فى الرمز من خصائص العبقرية.

الشيء الذى يُطَمْئن الإنسان.. أن هذا الإتجاه تعثر فى بداية الطريق.. ولم يحقق من النجاح مايوقع الخوف فى نفوس الغيورين على آدابهم ومعارفهم. فعن الرمزية فى مصر يقول الجندى: «فهذا الفن غريب على المزاج المصرى الذى تحيط به الواقعية من كل جانب.. ويطالعه الوضوح.. والصفاء فى الأرض والسماء.. وتلفه الطبيعة الهادئة الوديعة الثابتة فى شملة من السكينة والطمأنينة[١]

وفى لبنان يقول إلياس أبو شبكة «على أن حيزنا الأدبى أنقى من أن يتفاقم فيه مثل هذاالداء» ونجد أنصار هذا المذهب يولون الأدبار فصلاح الأمير تراجع عن رمزيته.. وصلاح لبكى كذلك يندد بهذا الاتجاه. ويذهب جورج صيدح الى الإزراء بالرمزية.. ويتابعه فى ذلك الأديب.. وديع فلسطين..[٢] كما أن عبد الرحمن شكرى.. الشاعر المصرى وأحد أعضاء جماعة الديوان ينكر الرمزية.. ويعدها الزيات نوعاً من الحذلقه والإغراب[٣]

هذه النكسات التى منى فيها الرمز فى فترة تكامله جعلت أهميته تتضاءل.. وقيمته تخف بعد هذا.. نخلص إلى نجد.. وننظر إلى أى مدى بلغ الرمز فيها.. والشيء الغريب أن أحداً من الدارسين للأدب النجدى لم يفرد دراسة للرمزيه فيه

(١) فن التشبيه ٢/١٢٥.

(٢) قضايا الفكر فى الأدب المعاصر. لوديع فلسطين. وراجع: دراسات فى النقد للخفاجى ١٤٧.

(٣) دفاع عن البلاغة ١٥٧.

بل ألمح له من خلال دراسته المفردة لكل شاعر.. فعن ناصر أبو احيمد يقول ابن ادريس بعد أن قسم مراحل شعره إلى مرحلتين.. أما المرحلة الثانية فى شعره فنقلة إلى شوط بعيد.. إلى استلهام الفكرة.. والمضمون.. من منطقة اللاشعور.. أو انعدام الذهنية العقلانية نموها فى أعماق العقل الباطن وإلى استعماله ألفاظاً لا تحس موسيقيتها خارجياً فى حين أن قيمتها المعنوية لا بد وأن تغيب فى تلافيف الشعور وهذا هو الاتجاه الرمزى الذى اختصه شاعرنا لنفسه(١).

ونصيب الشعراء النجديين من الرمز كنصيب أى وطن عربى.. من حيث الكيف لا من حيث الكم.. وخاصة عند الشباب الذين يأخذهم البريق دون تمحص معطياته.. وقد يكون مرد ذلك الى جمود الشعر إبان النهضة الحديثة فى نجد والتزامه بالأغراض القديمة لا يتجاوزها.. ثم فشوا التقليد.. هذه الأشياء قعدت بالشعر وبطأت فى عملية التفاعل مع ظواهر الكون.. ومعطيات الفكر.. ومنعته من التحليق والإنتشار..وصرفت الناس عنه.. وأدارت وجه المتطلعين إلى التجديد.

كما إن الإتجاه التعليمى.. ونوعيه الثقافة حفلا بهذا التيار الجديد الذى حملته لنا الكتب والصحف... والمجلات لقد فتح الشباب عيونهم على صراع المدارس الشعرية.. مدرسة الاحياء ومدرسة الديوان.. التى تجدد أو تريد التجديد بتعقل.. ومدرسة أبولو التى حمل لوائها أبوشادى.. ثم هذه الجماعات المهجرية.. كرابطة القلم.. والعصبة.. وهؤلاء الشعراء الذين حاربوا القديم فطارت شهرتهم فى الآفاق.. وحمل ذكرهم كل كاتب سواء الناقد أو المؤيد.. كل هذا الصخب جذب الشعراء النجديين من محيطهم والاشراف على هذا الصراع ثم التساقط فى أتونه واحداً تلو الآخر.. ليفرضوا وجودهم.. ولو على

---

(١) شعراء نجد المعاصرون: ١٠٠.

مبدأ خالف تذكر.. لا أريد لهذا الحكم آن يكون على كل الشعراء النجديين.. فمنهم من جدد فى تجاربه مع الاحتفاظ بكل الخصائص الشعرية العامة.. فأخذوا من تلك النزعات التجديدية مايناسب أذواقهم.. وصهروها فى بوتقة المعرفة.. فتحولت إلى شكل عربى مقبول.. أزاح عن الشعر جموده.. وأبقى له منهجه العربى القديم.. لكن الذين جنحوا إلى الرمزية لا يحظون بهذه الخاصية.. ذلك أن الرمز بخصائصه وشكله القائم لا يمكن أن يوفر هذه المميزات التى تدع للشاعر العربى سماته كعربى له مميزاته بين أمم الأرض.. وهذا ما يجعلنا نطوى بساط الأمل فى وجود شاعر رمزى يقف على قدميه.. ليلتف من حوله من يحدث فى ركاب الشعر هزة وتصدعاً.

شعراء رمزيون

زعيم هذا الاتجاه فى نجد.. الشاعر.. محمد عامر الرميح.. والرميح من مواليد عام ١٣٤٨هـ درس فى دار العلوم الشرعية بالمدينة.. وتخرج فيها عام ١٣٦٧هـ وكان نبته من نبتات ألبير أديب ولهذا نجد مجلة الأديب تحفل بانتاجه وتجله.. وتنشره فى الآفاق.. فهو شاعر رمزى.. تتسم رمزيته بالعمق الضارب فى مجاهيل التعمية والغموض وهو بحق الشاعر الرمزى الذى تتضح رؤية أسس.. وخصائص الرمزية فى عطائه وضوحاً لا لين فيه ولا أستبعد أن يكون نزوعه إلى الرمزية عن إحساس نفسى.. وعن أصالة ميالة إلى هذا الاتجاه.. يقول عنه الأدريس: «شاعر رمزى عميق يحتفل كثيراً بتجارب العقل الباطن والمواءمة بين المادة المحسوسة.. والفكرة المتخيلة .. وكما أشرت فالرمز بشكله القائم لا يمثل الشعور العربى.. ولا يوائم الذوق السليم.. ومهما أوتى الشاعر من قدرة على الإبهام والغموض.. واللعب بالكلمات وطمس المعانى.. فإن هذا لا يفسح له المجال ليكون شاعراً عربياً محتفاً به.. وهذا بالضبط مامنى به الرميح.. فلم يكن له فى أوساط الشباب.. ولا بين الشيوخ أى صدى.. وهو أشبه بالعينه تنظر إليها لتعرف أصلها.. رغم أنه يتمع بموهبة قوية.. وقدرة لا بأس بها.. ورغم مالديه من ثقافة واسعة واطلاع شامل.

والقصيدة الرمزية التى يفرغ فيها الشاعر كل طاقته.. وتتكامل فى أرجائها كل تجاربه لا تعطى القدر الذى يريده الشاعر.. ولا تعكس آلامه وآماله.. ولهذا تتسم بالعطل الفكرى والشلل التأثيرى.. ومادامت كذلك فإن الشاعر يظل بعيداً عن المحيط الفكرى الذى يختلف إليه الموهوبون يفجرون فيه طاقاتهم ويبثون فى أرجائه تجاربهم.. وماعندهم من آمال.. وآلام ومشاعر.. وإحساسات..

أن الرمزية بشكلها القائم تسللت إلى الكثير من الشعراء الشباب فى نجد..وإن ألم بها البعض إلمام الخائف الذى يترقب. فأنها لم تأخذ المكان الذى قدر على تملكه ذلك الفن الرفيع من الشعر الواقعى الإيجابى.. أو الرومانسى الذى يبث من خلاله الشاعر آماله.. وآلامه.. بإشراق ووضوح فيجد فيه القارىء شبها بواقعه.. أو تشابها مع آماله.. وآلامه فيلتحم معه فى نسب فكرى تعمق معه المحبة وتتقوى الصلة.. وتنداح دائرة القبول والرضى. وبالتالى يكفل هذا التلاحم للشاعر البقاء مع الأيام فى سجل الخالدين.

أن الاتجاه الذى ارتمى على مدرجته الرميح عطل إيجابيته.. وأذاب معطياته بعيداً عن محيط التفاعل المنتج.. ومن ثم خفت صوت النغمة الموسيقية.. حين حكم بهذه النعمة مايسمى بالحالة النفسية أو الشعورية التى يصدر عنها الشاعر.. يقول القبش عن موسيقى الرمز نقلا عن بعض زعماء هذا المذهب «وأحسن الشعر ما كان تابعاً للنفس وخلجاتها معبراً عن اهتزازاتها وتأثراتها.. وهذا اقتضى إدخال تعديل جوهرى على الوزن والقافية بما يتلاءم وذبذبات الشاعر فى حين أن التشكيل الموسيقى القديم لم يكن يعنى بهذا الغرض لأن القصيدة فيه بنية جامدة أو صورة موسيقية واحدة.. ووحدة موسيقية متكررة.. وفى حين أصبحت القصيدة الجديدة صورة ايقاعية للحالة الشعورية فحطمت بذلك الوحدة الموسيقية للبيت وأصبح الوزن بذلك توقيعات نفسية تنفذ إلى صميم الملتقى لتهز أعماقه فى هدوء ورفق»(١).

لا أريد أن أناقش مؤدى هذا القول.. وبالتالى لا أستطيع أن أعرف الفرق بين فهم النفس للموسيقى وسماع الأذن وكيف يفترقان فيكون للأذن فهم وللنفس فهم.

خفوت الصوت الموسيقى عند الرمزيين.. وعند الرميح كواحد منهم أحال

---

(١) تاريخ الشعر الحديث ٦٥١.

العطاء إلى شكل مملول تمجه الأذواق.. وترفضه الأفكار.. وتعافه الأنفس.

تطالعك تجارب الرميح.. على النحو الأتى :

«فى متحف موريس.. اوتربللو» يصدرها بكلمة السفادور.. تقول هذه الكلمة «الشيء الأكيد الذى أكرهه على كافة أشكاله هو البساطة» ثم يبدأ الرميح تجربته قائلا.

آلاف اللوحات
على الحائط الأزرق الطويل
عيونها المنفتحات
تحدق بى
تسمرت أحداتها
فى معطفى
وآلاف الأيدى
تلوح لـى
نحن هنا .. فى يوتوبيا
نحن هنا أسرة واحدة
فلا تشـترى
لا تأخذ الى بيتك
مناشـيا
وهنـاك
فى آخر الحائط الطويل
على حافة الجدار
طفله صـغيرة
طفلة صغيرة معلقه
تسلقت عيناى إليها الجدار

وجدتها تضحك .. تضحك فى مرح
كأنما اعينها قوس قزح
وضحكها الصامت .. فى ذلك النهار
خشيت أن يحطم الأطار
خشيت أن يهدم الجدار
ورحت أسأل

.. وأترك الرميح فى رواحه.. وبدلا من تلمس موسيقى.. أو موضوعية أو أسلوب.. أو فكرة القصيدة.. اجتذب لوناً مما يدعى بالشعر الكلاسيكى لشاعر ادمنته مخالب القطط.. وأرادت أن ترديه الألسن الحداد لتقارن بين هذا الذى يدوى الجو بالتصفيق له.. وبين ذلك الذى يأز الصفير والنعى من حوله أزا:ـــ

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ... ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا ... سابحـــات به وابديـــن بضا
مشرفات على الزوال وكانت ... مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت ... وشبـــاب الفنـــون مازال غضا
رب نقش كأنما نفض الصا ... نع منه اليدين بالأمس نفضا
ودهان كلامع الـــزيت مرت ... اعصر بالسراج والزيت وضنا
وخطوط كأنهـــا هدب ريـــم ... حسنت صنعة طولا وعـــرضا
صنعه تدهش العقـــول ومـــن ... كان اتقانه على القوم فرضا

كل من الشاعرين يقف أمام مظاهر.. متحف أو أثر من الآثار فى متحف الحياة.. ذاك فى متحف موريس.. وهذا فى متحف الزمان.. وكل منهم مارس تجربته بحرية وطلاقة.. ولكن شتان بين تجربة شوقى المتكاملة فنياً..

وموسيقياً.. وموضوعياً.. وتأثيرياً.. وبين تجربة الرميح المهزوزة الغامضة الخالية من كل هذه المميزات.

ونجتار عصرنا الحاضر.. لنجد تجربة أخرى أمام أثر آخر لشاعر ملتزم.. وقفة هذا الشاعر تشبه من حيث فكرتها إلى حد كبير وقفة الرميح فى متحف موريس.. لكن شتان بين الوقفتين أنها وقفة البحترى الشاعر العربى العظيم الذى تنكر له شعراؤنا الشباب فجاؤا بغثاء كغثاء السيل.

يقول البحـترى:

وإذا مارأيت صورة انطاكـــــــيـة ارتـعت بيـن روم وفـرس
والمنايا مواثـل وانـــو شروان يزجى الصفوف تحت الدرفس
فى اخضرار من اللباس على اصـ ـغـر يختـال فى سبغـة ورس
وعـراك الرجـال بيـن يديـه فى خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوى يعامل رمـح ومليـح من السنـان بتـرس
تصف العين انهم جد احياء لهـم بينهـم اشارة خرس
يغتلى فيهم ارتيابـى حتـى تتقراهـم يداى بلـــمس

ولك أن تقارن بين التجارب الثلاث المتقاربة فى الموضوع المتباعدة فى كل شيء.. نعود إلى قصيدة «الطوفان» للرميح.. لنرى فى هذه التجربة الرمزية لونا من معطيات الشاعر.. نجده يتنكر على رمزيته من حيث لا يشعر.. ويتنكر لفنه.. وأصالته من حيث يدرى ويشعر.

أنها قطعة تفقد موسيقاها.. سواء كانت حسيه أم معنويه.. وتفقد تلاحمها الذى نادى به الشعر الحديث.. واراد أن يتحرر ليوفر هذا التلاحم الذى اخذ به الشعر القديم أخذ عزة وقدره.

يقـول الرميـح :

وعصفت الرياح
وانطفأ المصباح

وتعالى النواح
أماه .. أبى .. أختى
فيرجع الإعصار .. ألف صوت
أختى .. ابنى .. بنتى
ويسمع من بعد دوى اعصار
تعقبه ضجة الأمطار
وجندى يمر تحت الجدار
الى ايـن
بيوت تنهار .. بيوت تنهار
جنائز فى كل دار
خذنى معاك
أيــن
الى الموت أيها الملك
أحب أن أموت أن أحترق
هات يــدك
الحياة لمن هلك
خوض معى فى الطريق
اقتحم الأمــواج
قدماى غاصـا فى الطين
تكاد تجرفنى الأمواج
أف .. البرد .. البرد كالمسمار
أف .. البرد .. البرد كالسكين
وفى الغــد
مرت الشمس مغسولة الجبين

وحدقت فى «اللاشىء» فى المئين
عبره للآخرين إلى الأبـد

على هذه الشاكلة.. وبهذا اللون.. تتساقط الكلمات العقيمة المتناثرة.. كما تتساقط حكايات الجدة المصابة بضيق التنفس.. والأجهاد.. أو كما تتساقط الأوراق فى الخريف.

لنفترق الآن .. كل إلى غايته ينطلق
لنفترق الآن قبل أن يضمحل الظلام
ويصحـو الانـام
وتكشف أسرارنا المبهمة
ونختار من أى درب نعود

وأقول لشاعرنا عُدْ من حيث أتيت.. فأنت سراب.. تسف التراب.. أنه الشاعر الذى أحالته الرمزية إلى شحوب واجم..

وشاعر آخر.. يميل إلى الرمزية.. ويفرخ فى أوكارها أفكاره.. لكنه كما قال ابن ادريس «يختار من الأوزان مايناسب الشحنة العاطفية التى تتلبس بالشعور.. لتأتى موسيقاه مليئة بطاقات الإيحاء والتعبير التصويرى».

ويعقب على الرمزيين بما يضعضع كبريائهم.. ويقعد بهم عن المشاركة الفعلية لآمال.. وآلام مجتمعهم فيقول: «ويجمل بنا ــ للمناسبة ــ أن نذكر أن الشعر عند أولئك الرمزيين ليس وسيلة لإصلاح خلقى.. أو اجتماعى.. أو دينى.. وهو ليس للتعليم أو التهذيب أو لما يماثل هذه الغايات.. بل الشعر عندهم غاية. إذا فهو مقصود لذاته لا لما يحدثه من آثار.. أنه حسب نظريتهم لذة جمالية.. ومتعة فكرية ولذا نجدهم يبالغون فى الإبهام والغموض.. حتى أنهم أنفسهم ربما لا يدركون معانى الألفاظ والتعابير التى يستعملونها لترجمة خلجات عقولهم الباطنة لأنها تعابير واسعة الإحتمال وأكثر بكثير من الألغاز تعقيداً

وإذا كان وفاض الرمزيين خال من الموضوعية بعيداً عن المشاركة

الوجدانية.. ثم إذا كان شعرهم مرسلاً لا يلتزم بقيود الفن.. ولايحترم أصوله ومبادئه.. وإذا كانوا يقولون عن التشكيل الموسيقى أنه خاضع خضوعاً مباشراً للحالة النفسية أو الشعورية التى يصدر عنها الشاعر لكي يتلاءم وذبذبات المشاعر. ويقول عن الأفكار أنه يجب أن تأخذ شكلا دائرياً مغلقاً بحيث يعود الشاعر فى قصيدته من حيث بدأ إذا كانوا يؤمنون بكل ذلك.. ويدعون إلى كل ذلك فأى حَيِّز فى سوق الأدب والشعر يمكن أن يتسع لهم وأى جو فكرى عربى يمكن أن يوائمهم ويوافق خصائصهم.

نعود إلى شاعرنا الرمزى الآخر.. ناصر أبو أحيمد[1] الذى أنجبته «منفوحة» المدينة التى لم تبخل بصناجة العرب.

والشاعر يتسم فكرياً بخاصتين.. أحدهما: إيجابية موضوعية.. والأخرى: رمزية ذاتية وربما كان لاجادته اللغة الألمانية دور كبير فى تلك النقلة الجديدة.. والشاعر يدفع تجاربه عبر شكلين متمايزين.. شكل يلتزم فيه الوزن والقافية.. ويحرص فيه على الإشراق والوضوح وعلى الموسيقى.. ويتخذ من هذا الإيقاع ما يلائم تجربته النفسية وشكل لا يلتزم فيه بشىء من ذلك وإنما يمارس تجاربه تحت تأثير رمزى فى شكله ومضمونه.. مع أن إشراقه الشكلى إشراق الموسيقى يضع فى سراديب اللاشعور.. فيتضاءل الإشراقان.. وتضمحل الجدوى ويتميز الشاعر عن زميله بالقدرة على العبث بالألفاظ.. وبالصور.. مع الالمام بالاتجاهات الرومانتيكية الغارقة فى أحلام اليقظة.. إن رمزيه أبواحيمد تختلف كثيراً عن رمزية الرميح.. لكنهما جميعاً ينزعان من محيط الرمزية.

يقول تحت عنوان « آفاق» :

---

(١) من مواليد ١٣٥٠ هـ درس فى البحرين.. وأجاد اللغة الألمانية لأغراض تجارية.. لم يكمل دراسته العالية. يزاول أعمال التجارة بمدينة الرياض. له ديوان «قلق».

ضاقت بنا الآفاق يأيها العملاق
في عالم ليس به حب ولا أشواق
الناس فيه صور ميته الأحداق
ليس على وجوههم بشر ولا اشراق
مات الوجود فيهم وجفت الأعماق

ويمضى مصوراً هذا العالم الذى جمد.. ومات لانعدام الحب.. والأشواق فى رحابه.

يا أيها العملاق قد ضحك الرمس
الناس حولى جثث لونها عدس
اعبر بنا الآفاق قد صافت النفس
اخاف أن يفلت منى الغد والأمس
دونك هذا معبرا تضيئه الشمس
فنطلق على دربه ولا نقسوا
فالناس فيه عالم يرعشه الهمس

تلك قطعة تعد من الشعر الرمزى ولا أعرف كيف عدت منه ولكنها على أى حال محاولة فى عالم الرمز.

ونخلص إلى قصيدة أخرى تختلف عن سابقتها فهى ذات اتجاه موضوعى وجدانى.. وذات إيقاع وجرس موسيقى مشرق.. تحكّى لقاء عاطفيا.. يتسم بمذهب نزارى.. ففى غسق الليل تبدو المحبوبة نشوى.. تضمه ضم الرضيع.. وهو بهذا لا يخرج عن اطار أى تجربة غزلية تحمل طابعاً مزيجاً بين القديم والحديث.

يقول الشاعر :

الليل مبسوط الجناح وهذه العذراء نشوى
ماج الربيع بصدرها وترنح النهدان شجوى

وتنهدت حولى تذوب ضراعة وتفيض شكوى
وتضمنى ضم الرضيع يريد فوق الصدر مأوى
حتى براعمها تنوح صبابة وتسيل نجوى
ياويحها عند العناق تكاد من شغف تلوى

ويتابع هذه الرحلة التى قضاها على سفح رابية بدمر.. وعلى مخدع من ورق الكرم يشد محبوبته بالساعدين.. وشوقه المجنون ثائر.. لا أستطيع أن أفسر معطيات القصيدة.. مادام أن الرمز يلف مشاعرنا بطيلسانه..إلا أنها واضحة مشرقة لا تحمل رمزاً.. لا فى شكلها.. ولا فى مضمونها.. ولا فى جرسها الموسيقى.. إنها حكاية حب صارخة الوضوح.. مدنسة الإزار مهدمة الحياض.. مضرجة العفة.

ومن القصائد المنثورة.. قصيدة «قلق» :

من ذا الذى يطرق نافذة بيتى
الظلام الرهيب
يلفنى بجلبابه
منزلى على قارعة الطريق
يرصد العابرين فى قلق
والمدلجين فى ذعر

. . .

مسرجتى
قد اطفأتها العاصفة
وحطمت اغصان
دوحتى الرياح
من ذا الذى يطرق نافذة بيتى
أيها الآتى

من وراء الأبعاد
اذهــب
لن تجد أحدا هنا
لن تجد إلا القلق
إلا اليـأس

يريد أن يقول فى كل ذلك.. أيها الظلام.. أو أيتها العاصفة ليس عندى إلا القلق واليأس.. وهو يرمز إلى شيء لا يعرفه إلا الشاعر.. وربما لايعرفه على حد مذهب الرمزيين لأن من حقهم ألا يسألوا عما فعلوا.. قلت أنه أراد أن يقول ذلك.. فراح ينثر الكلمات كيفما اتفق.

والشاعر يشترك مع الرومانتيكيين فى ألمهم ومرارتهم.. وعذابهم.. وهو يريد أن يكون إنساناً لا يحس لأنه لا يطيق الألم وإذا كان الشاعر الحجى قال: «ليت دهرى ربَّى الفؤاد على الحلم فلا ينتشى ولا يتعذب» فأن أبا أحيمد.. يقول هو الآخر:

رباه ابتهل اليك
ان تميت هذا الإحساس
فى قلبى
حجر عواطفى
يارب السماء
احبس هذا الروح
الذى يريد أن يطير
اليــك
احبسه فى كهوف الجسد
اخلق منى انسانا
لايحس بالألم

وتلك أمنية كل شاعر وهبه الله إحساساً رقيقاً.. وعاطفة جياشة.. كثير من الشعراء طلب من ربه تبلد الإحساس.. وجمود العاطفة.. وخور الشعور.. لكى يخلص من هذا العذاب.. والعناء الذى خص الشعراء وأناخ فى ساحتهم.

وللشاعر ابتهالات تتسم بالموضوعية.. وبالمشاركة الوجدانية.. لهذه الفئات من الناس وهى لا تأخذ هذه الظواهر بشكل علاجى يملى ايجابياته.. وإنما تطرحها لانها تشكل عبئاً ثقيلاً على نفس الشاعر.

لم جعلتنى
لا أفرح مع من يفرحون
ولا اسرق مع من يسرقون
هؤلاء المنعمون
المترفون
ويحهم انهم
من كل مستنقع يشربون
وعلى صوت كل ثاكل يرقصون
ولكل ابله يطلبون
ويـزمرون
رَب
من هؤلاء
واى صنم يعبدوك
أى صنم يعبدوك

إن الشاعر وإن كان يميل كثيراً إلى الاتجاه الرمزى لا يخلص له كما يخلص الرميح.. ولا يدين له الطاعة.. ولهذا نجد له قطعاً شعرية ملتزمة زاخرة بالموضوعية.. وبالواقعية إلا أنها فى كثير من الأحيان تتجه اتجاهاً يسلبها شيئاً من ذاتيتها فتفقد الشاعر جانباً كبيراً من ملامحه.

للشاعر قصائد كثيرة فى ديوانه «قلق» كما أن مجلة الأديب نشرت له عدداً كبيراً من القصائد الرمزية فمن قصائد الرمز «غد» «الصبى الجائع» ويجريها على لسان.. طيف.. وصبى جائع.. وتتخذ شكلاً حوارياً. وقصيدة «رثا» نشرها ابن ادريس فى شعراء نجد تحت عنوان «قلق» نقلاًعن مجلة الأديب.. البيروتية..

والشاعر يحدد مهمة شعره فى قصيدة «غد» فهو حلم.. وفتنة.. وفرقد وهو على قلوب الثاكلات.. توجد.. وتنهد.. وعلى شفاة الغانيات قصيدة تتردد.. ويمضى فيها يحدد مركزه فى هذا الغد.. لكنه لا يريد منه إلا نشوة العشاق حين يعربدوا.

وعدَّه الكاتب قبش من شعراء الرمز والتفعيلة ونقل ماكتبه الأدريس بدون زيادة.. وإلى جانب شاعريته.. فهو كاتب «وناقد» نشر دراسة وافية عن نازك الملائكة الشاعرة العراقية التى تدعى ريادتها للشعر المرسل فى العالم العربى.. ودراسته لها تنم عن نزعة تأثريه بها(١).

وأنت لا تستطيع أن تحدد الشاعر الذى تأثر به أبو أحيمد.. إلا فى جانب غزله.. فهو إلى حد كبير يلتقى مع نزار قبانى.. وإن كان يختلف معه فى صدق العاطفة.. وأنا هنا لا أنكر أن يكون غزله صادراً عن تجربة.. لكنه رغم تجربته لا يصل فى صدق العاطفة إلى الحد الذى بلغه نزار قبانى.. ومن لف لفه.. من أصحاب الأدب المكشوف.

وخلاصة القول.. أن الشاعر طرق كل الاتجاهات.. وكان فيها شاعراً كأى شاعر من أولئك الذين يطوفون الأرجاء.. ويصدحون فى كل واد.. ووقوفه فى ساحة الرمز أكثر.

---

(١) المقال المشار إليه: فى مجلة صوت البحرين العدد الخامس جماد الأول ١٣٧٢.. وهى دراسة وافية تحت عنوان الشاعرة نازك الملائكة.

وراجع شعراء نجد المعاصرون: ١٠٠ وتاريخ الشعر العربى الحديث وديوان «قلق».

ومن الشعراء الذين يجمعون بين مختلف الإتجاهات.. ويطيلون الوقوف فى ساحة الاتجاهين الرمزى والرومانتيكى.. الشاعر محمد سليمان الشبل.. يقول عنه الأستاذ: قبش[1].

«يتصف شعره بالمرومانتيكية أولا..وبالرمزية ثانياً».. ومن قبله قال الأستاذ عبد الله بن ادريس «على الرغم من إحاطة الرومانتيكية بمعظم جوانب شعره فإن جوانب أخرى يحس القارىء فيها ميل الشاعر الى شيء من الرمزيه.. ولا اعنى رمزية «ألبير أديب» أو نثريا ملحس مثلاً.. وهى الرمزية التى تكفر بالخبر.. وبالحكاية.. وبالتعليمية.. وإنما أعنى أن شاعرنا ذاتى إلى حد كبير.. وأنه يكتفى من اللفظة الشعرية بالايحاء ومن الفكرة بالابهام والغموض[2]».

كما يرى أنه متأثر إلى حد كبير بلون الثقافة التى أغرم بمطالعتها منذ الصغر كالأدب المهجرى ومدرسة جبران خليل جبران بالذات.

والشبل شاعر تحمل قصائده رنة الحزن.. والضجر.. ويعالج كثيراً من الموضوعات داخل أطر من الشكل المتكامل فى وزنه وقافيته.. وله قصائد لا تلتزم هذا الشكل.. لكنها تحتفظ بإيقاع باهت.

ورمزية الشبل ليست عقيمة كما هى عند الرمزيين الذين يريدون للفكرة أن تتخذ شكلاً دائرياً فهى خليط من الرمزية المذهبية.. والرمزية الواقعية.. أو الرمزية العربية كما فهمها الأوائل.

فرمزيته إذاً.. واقعية مبهمة.. تكشف عن تفاعل ايجابى مع المجتمع.. أو واقع الشاعر الممتزج مع الواقع الأعم. وكثيراً ما يتخذ من مناجاة الحبيب نفوذاً إلى رمزيته.

---

(١) تاريخ الشعر الحديث فى نجد ٦٩١.

(٢) شعراء نجد المعاصرون ١٢٦.

هل تسرف
فى الظلم ياطيف المنى
وتصد عنى بعد ماضى امرنا
وتصد عنى يامناى وانت تعرف من أنا[1]

ومن قصائده الرمزية.. الذاتية.. قصيدة.. «أنه»

ألقى غصاصات الحياة على مهل كأنى فيها فاقد القوم والأهل
يطاردنى فيها الأسى غير وادع وليس وان طال الزمان بمنجل
أبقى برمضاء الهواجر بائسا وغيرى مسروراً بوارفة الظل
وتنتابنى فى كل يوم هواجس تهدد قلبا لم يجد قط ما يسلى

وهى قصيدة تتذبذب بين الرومانتيكية والرمزية. وهى بالرومانتيكية ألصق. على أن الشاعر بدأ يعدل إلى الواقعية وله عدة قصائد موضوعية وذات تشكيل عروضية يمكن أن تجعله من التقليديين.

وبدوافع تلك القصيدة لا فى شكلها يلتقى مع الشاعر حمد الحجى.. الذى ملأ شعره بالتساؤلات الشاردة المثقلة بالشكوك والضجر والتفجر.

وقصيدة البابل الأخرس تحمل لوعة الشاعر.. وآلامه يعبر فيها عن معاناة ذاتية صيرته بعد الغناء.. والتغريد فوق الأغصان.. إلى بلبل يحملق بعينيه يمنة ويسرة.. ولايستطيع أن يقول شيئاً.. أنه يتلون.. رغم أن بين جنبيه أغانى الحياة التى أذابتها المعاناة.. إن لديه أمانى كبيرة وكثيرة.. لكن هذه الأمانى العريضة تحولت مع الآلام إلى دموع تتساقط من مآقيه.. أن تجربة الشاعر فى هذه القصيدة أصدق ماتكون.. لأنه يصور فيها ذاته.. ومعاناته ويجسد فيها مراحل الألم.. وكيف أن هذه الآلام.. وهذا اللهيب بخر كل تطلعاته.

---

(١) المنهل العدد سنة ١٣٦٨.

يتلوى والأغاني بين جنبيه تذوب
والأماني في مآقيه دموع ولهيب
يتلوى والهوى في قلبه الدامي نحيب
والنشيد الحلو آلام ويأس ووجيب

★ ★ ★

يتلوى والأغاني بين جنبيه تنوح
نغم في قلبه الخفاق يغدو .. ويروح
كل ما فيه من الشدو دموع .. وجروح
وعويل من أسى الماضي به اللحن فحيح

★ ★ ★

يتلوى بين أزهار الربيع الناضر
شارد النظرة يشدو بأنين حائر
خفق الياس أغانيه بصمت قاهر
وطوى البؤس أمانيه بيأس ساخر
أزهر الوادي فماذا شاقه من زهرة
وهو نضو يتلوى لحنه في صدره
وهو نضو يتهادى قلبه في قبره
غاله اليأس فناحت روحه في نحره

لقد كشفت نظرته إلى الحياة هذه الآلام.. أو الواقع نفسه أخرس لسانه وأضاع رشده وبالجملة فإن الشبل لا يتمثل الرمز بمفهومه الغربي إلا في القليل النادر.. وهوشاعر يصدر من معاناة ذاتية.. فهو يستطع في كثير من تجاربه أن يضفي على القارىء الجو النفسي وتلك ميزة الشاعر الموهوب.

هذا وفي السبعينات من هذا القرن برز في ساحة الرمز عدد كبير من الشباب الذين رفضوا الشكل.. والمضمون.. وتمردوا على كل مقومات الشعر

الصحيح.. ونظموا شعرهم على الشكل الذى يريدون.. من الأوزان.. فهم تارة يرمزون.. وتارة يصرحون وأخرى يبكون وينتحبون.. ورابعة يملأون الأفق بقهقة ساخرة.. أو شاردة.. ومع هذا لاتعرف لهم مذهب ولا تحدد لهم اتجاه.. كل همهم أن يقولوا.. أن يدسوا أنوفهم فى كل زاوية.. يريدون أن يقدموا بين يدى نجواهم شيئاً.. أى شيء.. همهم أن يقال: قالوا.. وما بعد ذلك لايهمهم من الأمر شيء لقد حاولت أن أحدد اتجاههم وحاولت أن أضعهم فيما يتفق وخصائصهم.. فلم أقدر على شيء من ذلك..

وتركتهم يزرعون غثاءهم فى كل منعطف.. ويعزفون صخبهم فوق كل ربوة.. وفى هجعة كل ليل ومع هذا فهم أشبه شيء بالفقاقيع تقوم واحدة.. وتنطفى أخرى.. فلا الأولى ولا الثانية تترك أثراً.. ولا يحس بها أحد.. ولهذا وجدت من الخير لى.. ولهم.. ولوجه الحق. أن أدعهم فى مسيرتهم يعمهون.. والزمان كفيل بأن ينبذ الزبد فيذهب جفاء.. ويبقى ما ينفع الناس.

الفصل الرابع

الاتجاه الواقعي

حينما يهيم الشاعر بمثاليته.. أو حين يتلعه رواء الطبيعة.. ويضنيه تصور المرارة والألم تأخذه إغفاءة حالمة.. يحاسب فيها ذلك العطاء.. ماذا ترك.. وماذا قدم لبنى الإنسان.. لأهله.. ولذويه؟

هل قدم الضريبة.. وهل حقق لهذه الفئة من بنى جنسه شيئاً من العطاءات الإيجابية ساعتها يفيق على صرخة الوحشة.. الوحشة من هذه الإنعزالية التى طوقت عنقه.. وخنقت أنفاسه.. عبر رحلة هائمة فى التلال.. والسفوح.. وتحت أفياء الأشجار.. وعند جداول الماء ينافى خريره ويحاكى أهازيج الطيور.. وترانيم الورق.. يعزف لحنه الباسم حيناً.. والمؤلم حيناً آخر.. فلا يجد من يرد له الصدى.. أو يأسو له الجرح.. إنها رحلة الضياع فى متاهات الحياة.

تحت تأثير هذه الشحنة من التساؤلات نكص الراكضون على أدبارهم يتحيزوا الى فئه لا ليولوا الأدبار.. تلك كانت سنة الكون.. شرود.. وهروب.. ثم تعقل.. وتفاعل فى كل بلد وفى كل أمة.

وفى كل عصر.. نرى من الشعراء.. تقلباً بين المذاهب يحسبه البعض خداعاً وتمويهاً وهو فى الحقيقة لا يعدوا أن يكون نتيجة لصحوة الضمير.

والإتجاه الواقعى الذى فرغنا للحديث عنه.. يمثل صحوة الضمير فى الشعر النجدى بعد طواف.. فيه إجهاد.. وفيه عناء.. وليس من وراءه محصول.

هذا المذهب.. الذى اكتنفه الغموض.. وانشق من حوله الأدباء والنقاد ما مدلوله.

ومامؤداه.. ثم ما المدى الحيوى الذى يتفاعل داخل أبعاده.

وماخصائصه.. وكيف يمكن أن تحدد نوعيته وعلى أى شكل نصوغه كل

هذه الستاؤلات تتقاطر فى عصب الفكر.. لتزحم تصوراته.. وهذا مايجد الباحث فيه الصعوبة.

قيل عن الواقعيين.. الشيء الكثير.. وضربت الأقلام فيه بسهم وافر.. فاختلفت الطرق وتشعبت المنافذ إلى الحد الذى لا يجد معها الإنسان قدرة على تحديد مسيرته.

فمن التعاريف.. أنه يعنى ملازمة الطبيعة.. ومطابقتها.. والتعبير عن الأشياء كما تبدو فى الواقع.. وبقدر ماتعطيه عند الفاعل معها.. بدون تهويل.. أو تلفيق.. أوتزوير وهذا التعريف يضع الواقعية فى مقابل المثالية.. التى تعتنى بالتأكيد على الناحية التصويرية.

هذا لا يكفى كتحديد منطقى متكامل للواقعية بمفهومها الغربى الذى ساقها إلينا فى ركاب العديد من المذاهب الأخرى.

ولابد هنا من أن ننفذ إلى مصطلحات الغرب للاستعانه بها على توضيح الرؤية لأبعاد هذا الإتجاه.. ومن ثم نعود إلى الشعر النجدى فى ظل هذا المذهب القديم الجديد.. العربى... والغربى فى آن واحد.. والتعريفات الكثيرة لا تخرج عن المدلول اللغوى للواقعية.. لكنها لا تعطى مفاهيم فنيه ذات حدود واضحة.

فكوربيه: يقول «كنهُ الواقعية وأساسها هو إنكار للخيال التصويرى» وهذا التعريف يتفق مع تعريف «جوزيف تشيرى» الذى يفرض تعامله مع الحقائق.. والوقائع الحقيقية.. لكن الواقعية عند الناقد الأمريكى «الدريش».. نفس فاسد يصعد من الأحياء الوضيعة.. تلك تعريفات لمضمون الواقعية.. ومن الأدباء من تناول طريقة المعالجة.. فالناقد «كلاى» يرى أن أساس الواقعية.. أو الطبيعة.. هو أن يكون الفن ترجمة أتوماتيكية للانفعالات والإنطباعات فى علمية صافية.. وأصول.. وقواعد محدودة.. ويرى غيره أنها محاولة لوصف الحياة بطريقة أمينة وموضوعية.

هذا الاتجاه.. تكامل كحركة أدبية.. فى أوربا فى أعقاب الثورة الفرنسية وهو كما أشرت يخالف المثالية.. أو الفن للفن.. وصار يدعو إلى دراسة الطبقات الدنيا والوسطى كما يهتم بدراسة أفراد هاتين الطبقتين.. واستيحاء حياتهم.. وبيان فضائلهم.. والكشف عن مساوئهم.. والعناية بكل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية[1]

وبهذا التعريف تخرج الواقعية من حدودها الضيقة الملتزمة بتصوير الواقع.. كما أن الواقعية لا تعنى المحاكاة فقط.. ولا ترفض المثالية.. وكل ماترفض من ذلك الإنقطاع لها.. وصرف الوجه عن قضايا البشر.. وينحصر أسس الواقعية الفرنسية باستمداد الحوادث من واقع الحياة بصرف النظر عن التاريخ.. أو الخيال.. وبتصوير الحقيقة الواقعية.. وذلك يتطلب استبعاد العاطفة أياً كان لونها.. وطرد المبالغة فى التصوير والصدق.. والصراحة التامة.. مع التخلص من كل الإلتزامات التى تحد من هذه الصراحة ثم لابد من الحياة:. على أن الفرنسيين يوجبون ألا يكون الأدب ذا هدف اجتماعى..

وكل هم الواقعية الغربية تصوير الواقع دون أن يهدف إلى شىء آخر [2] وهذا يختلف تماماً مع مفهوم «الواقعية النجدية» التى تعارف عليها الشعراء النجديون.. داخل إطار الواقعية العربية التى عرفها الأدباء العرب.. ذلك أن الواقعية الغربية فرضتها ظروف قاسية كالحروب و الثورات.. وتحول الإنسان إلى آلة فى خضم التطور الصناعى.. ويمكن أن نحكم على هذه الواقعية بموجب هذه المفاهيم بالسلبية لأنها لا تدعو إلى شىء.. ولا تدافع عن شىء.. ولا تهدف إلى شىء.. وكل مايهمها أو كل غايتها تصوير ماتراه من نقائص مكتفيه بذلك التصوير.. يقول الدكتور الحانى فى نقد هذه الظرية: «ومن المؤسف حقاً

---

(١) الأدب المقارن ٣١٠.

(٢) الأدب المقارن : ٣١٣.

أن المذهب الواقعى الجديد فى أوربا الغربية قد أصبح انهزاميا.. ومال إلى النقد المتطرف عند تحليل المجتمع وكشف عيوبه[1].

وفى مقابل ذلك.. الواقعية الاشتراكية التى تصور واقعاً جديداً مختلفاً كل الاختلاف عن الواقع القديم فهى تعبر عن مجتمع تخلص من عهد الإستبداد.. والإستغلال وراح يبنى حياة جديدة قائمة على دعائم العدل الاجتماعى وعلى شعار « الخير والسعادة للجميع»[2].

والواقعية الاشتراكيه تلتقى مع الواقعية الغربية بدقة التصوير للواقع وما فيه من آلام.. ومشاكل الاشتراكيون لكى يوضحوا واقعيتهم يصفونها فى مقابل الواقعية البرجوازية.. وقد عرفت الواقعية الاشتراكية تعريفات كثيرة.. منها.. «أنها النضال فى سبيل القضاء على نظام الملكية.. وتحقيق النصر للنظام الاشتراكى..» ومنها.. أن من بين أهدافها إبداع النماذج والشخصيات النموذجية التى تظهر فى العصر الثورى».. ومنها.. أنها لاتقتصر على شرح الحقائق الواقعية فى العالم الجديد.. وإنما عليها فوق ذلك أن تصلح الناس وتثقفهم تثقيفاً اشتراكياً[3].

إن الواقعية تنبع من أهداف الأمة.. وتخضع للعوامل القائمة.. وخير مايمكن أن نقول فى ذلك أن النظام السياسى يعطى الواقعية لونا.. وطاقة بحيث تتفاعل داخل الإطار العام للسياسة العليا.. هذا إذا كان الأدباء يواكبون مسيرة القيادة.. وبقدر ماتتسع هوة الخلاف بين قادة السياسة.. وقادة الفكر.. هناك تتخذ الواقعيه الشكل الذى يناسبها وتبلور الجانب الأقوى فيستوعب الجانب الأضعف وهنا تخرج الواقعية من مجالها العام إلى مجالات أخرى ألصق بالحزبية.

كما أن هناك مرادفات للواقعية.. وهو ماتعارف عليه بعض الأدباء فى العالم:

---

(١) من اصطلاحات الأدب الغربى ١٢٥.

(٢) هكذا يقولون والبينة على المدعى.

(٣) تاريخ الشعر العربى الحديث ٤٩٦.

بالاتجاه الاجتماعى. والاستاذ أينس المقدس حين تناول الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى اتخذ الاتجاه الاجتماعى عوضاً عن الاتجاه الواقعى.. ودرس على ضوء هذا الاتجاه الأبواب التالية:

١ ـ إهتمام الأدب بالدعوة إلى الحياة الجديدة حياة العلم والحضارة.
٢ ـ الحملة على المفاسد الناشئة عن التطرف فى الحياة الحضرية.
٣ ـ العطف على الطبقة البائسة فى المجتمع.
٤ ـ المطالبة بالحقوق الإنسانية والعدالة الإجتماعية.
٥ ـ مناصرة القضية النسأئية ورفع المستوى العائلى.

أن الاتجاه الواقعى.. والاتجاه الاجتماعى فى الشعر العربى يشكلان قوة متظاهرة.. يهدفان إلى الإصلاح.. وتتبع المفاسد لغرض التوعية.. وحمل الناس على الإقلاع عنها.

فى ظل ذلك يجب أن نعرف الواقعية النجدية كلبنة حية فى هذا البناء الشامخ أن من مفاهيم الواقعية العربية أنها الأدب الذى يتحدث عن عامة الناس بما فيها من آمال وآلام.. ومشاكل.. وبهذا يأخذ هذا الاتجاه مكانه فى مقابل الأدب فى فكره وخياله «الأدب الأرستقراطى.. الأدب الواقعى» يرفض الأبراج العاجية.. ويربط الواقعيون أقلامهم.. وأفكارهم بمشكلات العامه ومافيها من أحداث وتجارب فوظيفة الأدب على هذا المفهوم أن يتناول مشاكل المجتمع ومظاهر البؤس والفاقة التى تثقل كاهل الطبقات الفقيرة كما أشار إليها الأستاذ المقدسى حين عالجها فى ضوء الاتجاه الاجتماعى.

هذا المفهوم للواقعية يراه بعض الأدباء قديماً.. ويراه الوظيفة الفعلية للأدب.. والشعر.. فالدكتور طه حسين يقول: «الواقعية رجوع إلى الأدب الصحيح كما عرفناه فى حياة القدماء من العرب وغير العرب ومن المحدثين الأوربيين.. والانحراف عن الواقعية فى الأدب العربى لم يأتى إلا فى عصر متأخر حين أجدبت القلوب والعقول. إن أبرز مايمثل واقعية الدكتور طه حسين كتابه «المعذبون فى الأرض» ففى هذا الكتاب يتناول الدكتور الطبقات الإجتماعية فى

مصر تناولاً مباشراً يريك فيها حرمان هذه الفئات من حقها فى الحياة والحرية.. والاستمتاع.. فالدكتور بكتابه العظيم يجسد مشكلات الفلاحين.. فهو يعطى التعريف الحقيقى للواقعية العربية التى أرادها الشعراء والأدباء، وضاع عنها الغرب.

إن مفهوم الواقعية قد يتطور من عصر إلى عصر.. ومن قطر إلى قطر.. فواقعية الأمس تختلف عن واقعية اليوم.. والواقعية التى ينادى بها الأوربيون غير الواقعية الاشتراكية وغير الواقعية العربية.. والغريب فى الأمر أن بعض الأدباء ربط بين الواقعية الأوربية بمفهومها السلبى والواقعية فى الشعر العربى القديم.. فشعر الصعاليك يمثل هذا اللون من الواقعية السلبية إذ أنهم يتخذون الحياة بما فيها من خير وشر.. مادة لموضوعاتهم ويبعدون عن الإمعان فى الخيال ويصدقون فى النقل عن الحياة فلا نحس فى شعرهم اختلافاً بين الصور الشعرية وأصلها فى الحياة. ويجعل.. الدكتور ثابت بدراوى.. وهو صاحب هذه الفكرة.. يجعل من مظاهر الواقعية عندهم. «استكمال الصورة.. والحرص على التفاصيل.. والصراحة». ويختم وجهة نظره بقوله: «وبوجه عام فإن الشاعر الجاهلى لم يحاول أن يسمو بمجتمعه»[1] وهذا المفهوم الذى خرج به يجعلنا نتلمس جذور الواقعية على أى شكل.. وبأى اتجاه فى معطيات الشعر العربى فى مختلف العصور.. على أننا لا نتفق مع هذا الاستنتاج عن واقعية الشعر الجاهلى.. والإسلامى مالم نفرغ لدراستهما دراسة موضوعية شاملة.. وهذا مايتعذر الآن.. وتبعاً لذلك يتعذر البت فى القبول أو الرفض لهذه الاستنتاجات.

والواقعية النجدية.. لها بداية.. ولها كيان.. وهذا مانريد أن نعرض له.. الأستاذ/ عبد الله بن ادريس ناقش الواقعية كمذهب.. وبالتالى عرض لمدلولات الواقعية فى الشعر النجدى.. وأغلب الظن أن الأمر قد اختلط عليه فأدخل فى

(١) مجلة قافلة الزيت لعام ١٩٧٣.

الواقعية كل تجربة شعرية تتناول موضوعاً اجتماعياً.. سواء فى ذلك عنده مجال السياسة أو الحرب أو القوميات أو الاجتماعيات.. وهذه الظواهر لا تتسع لها مقاييس الواقعية سواء كانت غربية أو عربية قديمة.. أو حديثة.. اشتراكية.. أو رأسمالية.. خالصة أو خليطا من هذه الاتجاهات.. وأتصور هنا أنه أراد للشعر مسلكين.. أحدهما مسلك الفن للفن.. والآخرمسلك الفن للحياة.. وأقام دراسته على هذا النحو.. وهذا يضع حدوداً واضحة قادرة على التمييز.. وأننى وأنا أخالف ابن ادريس على هذا الاصطلاح إلا أننى أجد فيه قوة الاشراق واكتمال والوضوح.. والقدرة على دراسة اتجاهات الشعراء النجديين..

لقد ألمح إلى السبب.. أو الأسباب الرئيسية التى تكامل على ضوئها الأتجاه الواقعى فقال: «أما الآن وبعد أن أخذ العلم يسرى فى دنيا الناس سريان الضوء فى الليل البهيم.. وصار المجتمع يعى ويفهم ما له وما عليه.. وأصبح شعراؤنا يدركون التجارب الشخصية فى ضوء الواقع العام فقد خرجوا من عزلتهم الفكرية.. ونزلو من بروجهم العاجية إلى حيث يعيش الناس.. وأخذوا يشاركون بنتاجهم الفكرى فى بناء المجتمع ـــ الجديد تصويراً حياً للواقع وتعبيراً عن مناهج الحياة بما هى عليه اليوم ومايجب أن تكون عليه فى غدنا المشرق .

وهو بهذا يتناول مفهوم الواقعيين عند العرب مع قطع صلتها بالواقعية عند أى من المعسكرين.. فيقول «أن مفهوم الواقعية الحديثة فى الأدب تعنى نقل الواقع وتصويره كما هو واقع حرفياً بل لابد للأديب ـــ فى سبيل التأثير على الواقع ـــ من صبغ الأثر الأدبى بالأصباغ الملائمة.. وحددها بقوله: المشاركة فى معركة التطور الإجتماعى.. واشاعة الروح العصريه التى تخدم الإنسان وتؤمن بحريته وكرامته.. وحقه فى الحياة الحرة الكريمة والتى تكره وتمقت الأثرة والمحسوبية.. والاستهتار.. والتحكم.. والظلم.. والاستغلال والاحتقار.. والتعسف الفكرى وكل مامن شأنه ارجاع عجلة الحياة إلى الوراء وحددها أيضاً بقوله هى التى تتبنى

الدعوة إلى الاخوة العربية الإسلامية المتراحمة المتعاطفة وتحث على الخير.. والفضيله.. وتنهى عن الشر والطغيان.

وجعل من أهم أهدافها احلال المساواة بين أفراد المجتمع وإزالة الفوراق التى لم يرد لها أساس من الدين.. ولا مستند من العقل السليم.

وهذه العمومية فى مفهوم الأدريس للواقعية.. جعله يدخل الاتجاه الواقعى.. بالاتجاه القومى.. مع الاتجاه الإسلامى.. والسياسى.. وإذا كان بن ادريس ألم بهذا المذهب.. وعرض لشيء من خصائصه.. واتجاهاته.. فإن ابن حسين فى كتابه(١) لم يتحدث عن شيء من ذلك.. واكتفى بتناول الأغراض التى طرقها بعض الشعراء النجديين تمشياً مع الأساليب القديمة.. فى توزيع الشعر حسب الأغراض وتتناول هذه الأغراض خلال العشرين سنة الماضية.. وهى الفترة التى يراها أكثر تفتحاً لتمكن الوسائل التعليمية من إعطاء ثمارها وبعد ماتم الإتصال بالعالم الخارجى بشتى الوسائل.. وانتشرت المطبوعات قديمها وحديثها فى البلاد.. فقرأ فيها الشباب ماأنتجته قرائح إخوانهم العرب فى مجالى الشعر والنثر بجانب اطلاعهم على تراث الآباء.. والأجداد.. هذه العوامل فى نظر المؤلف أفسحت لهم طرقاً كانت قبل مغلقة.. وجددت لهم عوالم كانت مجهولة لهم.. فوجدوا بونا شاسعاً بين ماهم فيه ومايقرؤون.. وقال أنهم قرأوا كل ماوقع بأيديهم مما كان سبباً فى اختلاط المذاهب الحديثة فى الشعر بالمذهب الكلاسيكى.. ثم قصر بحثه على الأغراض الآتية. الحنين إلى الوطن.. والشعر الوجدانى.. والقضايا الوطنية.. والقضايا العربية.. قضية فلسطين.. ثورة الجزائر.. الاعتداء الثلاثى على مصر.. قضية عمان(٢).

لقد أدرك الشاعر النجدى وظيفته الايجابية فى الحياة.. فواكب مسيرة الأمة

---

(١) الأدب الحديث فى نجد.

(٢) الأدب الحديث فى نجد ٤٨.

يشع النور فى دربها.. ويحدوها بوعى.. وتفتح.. مجرداً من الثورة العارمة..والحقد الدفين.. وهذا ما وفر الكثير من الإيجابيات فى هذا الاتجاه.. فى الوقت الذى تضاءلت فيه تلك الإيجابيات فى كثير من القصائد الواقعية فى بعض البلاد العربية.

يقسم ابن ادريس أغراض الاتجاه الواقعى إلى ناحيتن هامتين : ـــ

١ ـــ الاتجاه الاجتماعى: وهو ارتباط الشاعر بالمجتمع.. وهذا ما أفرد له الأستاذ أنيس المقدس فصلاً جعله حسبما أتوقع فى مقابل الاتجاه الواقعى.[١]

٢ ـــ الاتجاه السياسى: ويعنى بذلك معايشة الكفاح الوطنى فى جميع أنحاء العالم العربى وقال أن الشعراء النجديين تجاوزا ذلك لتأييد النضال الإنسانى فى سبيل الخلاص من سيطرة الأقوياء.

وعرض كذلك إلى الشكل.. وتحرر بعض الشعراء الواقعيين من نهج القصيدة العربية التى يتسم عطاؤها بالعمود الشعرى.. ويلتزم الوزن والقافية.

أما الأستاذ أحمد قبش.. فقد وزع الشعراء النجديين توزيعاً لايقوم على فهم لسبب واضح وهو أنه أفرغهم من كتب سابقة فى مذاهب وضعها مسبقا ـــ دون أن يكون هذا الافراغ قائماً على دراسة وفهم.

فجعل مثلا الشاعر الدكتور إبراهيم العواجى.. وعبد الله القرعاوى.. وعبد الرحمن العبيد وإبراهيم الدامغ.. وسعد أبومعطى.. وعثمان بن سيار.. وعبد الله الجلهم.. ومحمد المسيطر.. وحمد الحجى.. وعبد الله العثيمين.. من الشعراء الواقعيين الذين يميلون بواقعهم صوب الخصائص الغربية بمعنى أن واقعيتهم ذات اتجاه سلبى.. بينما جعل الشاعر النجدى سعد البواردى من شعراء الواقعية الاشتراكية.. وهذا دليل على عدم وضوح الرؤية.. ذلك أن تأليفه لا يقوم على

(١) شعراء نجد.

دراسة دقيقة وموضوعية.. وكل ماعنده من جهد يقتصر على تفريغ ما وقع فى يده من كتب فى أبواب أعدها دون أى أثر شخصى له.

أرجو أن أكون قد وفقت لايضاح أبعاد هذا الاتجاه.. سواء على المستوى العالمي.. أو المحلى.. على أن ما سأقيم عليه دراستى فى هذا الاتجاه لا يعدو أن يكون تناول بعض الشعراء الذين استخلصوا تجاربهم من واقعهم.. وواقع المجتمع يقوم على أسس كثيرة.. منها محاربة.. الجهل.. والفقر.. والمرض.. ومايتبع ذلك من عوامل تساعد على الإسراع فى عملية إذابة تلك الأمراض الاجتماعية. فهذه الأمراض الاجتماعية هى التى تمثل الواقع بمعناه الحقيقى.. وهى التى تخدم الواقع فى أهم مشكلاته..والشاعر الذى يتناولها.. أو يتناول المجتمع على ضوئها.. يعتبر شاعراً إيجابياً مكتمل الإحساس.

أما الصدق فى التصوير.. والتقيد بالمظاهر المحسوسة.. ونقل الصورة دون إحداث أثر لها أو فيها.. فليس هذا فى نظرى داخل فى الإتجاه الواقعى وإن أدخله البعض.

إن مفهوم الواقعية هو أن يكون الشاعر لسان مجتمعه ونبراسه.. ورائده يحارب الفقر الذى يهد القوى.. والجهل الذى يضعف الكيان.. والمرض الذى يفنى الطاقة.. ويقتل الإبداع وما سوى ذلك.. فليس من الواقعية فى شيء.

أما عن الحنين إلى الوطن.. والإتجاه القومى.. ومحاربة الاستعمار والاتجاه الإسلامى.. والإنسانى فهذه أغراض أخرى سنعرض لها فى أماكنها.

إن الواقعية نبع ثر يفيض من وسط المجتمع لا نفس فاسد يصعد من الأحياء الوضيعة كما يقول الناقد الأمريكى «لَدْرِيش»

الواقعية نزعة إصلاحية.. وشعور متكامل بواجب الشاعر نحو وطنه وأمته وبدون هذا لا يكون العطاء شيئاً.. والمنصفون لا يطالبون الشاعر بالإنقطاع لأمته ونسيان ذاته فى خضم نزعاته الإصلاحية.. أنه لابد أن تتكافأ المشاعر نحو الذات.. ونحو الجماعة.. فالجماعة أفراد وذوات.. والذات جزء من المجتمع..

لابد من الإحساس بالقيم.. ولابد من تفحص خصائص المجتمع لطرد كل عنصر فاسد.. وإبقاء المصالح القائمة. أن على الشاعر أن يحس بمجتمعه.. وما يعتمل فى نفوس المواطنين.. وهذا الإحساس يفرض احترام الشاعر.. ويجعل له خيراً فى هذا المحيط من الحياة.. ثم هو بعد ذلك فى حل من أمره يفرغ لنفسه ووجدانه.. وإحساسه.. وتجاربه الذاتية.. يعزف على قيثارته ويتغنى لليلاه.

لقد أحس الشاعر النجدى بهذه الضريبه إحساساً متكاملا بدون حقد ولا ضغينة إحساس المواطن العاقل الراشد.. الذى يعيش فى واقعية بعيدة عن الخيال وعن العاطفة الطائشة. لقد أدرك أبعاد مسئوليته ودفع بنفسه فى هذا الخضم يتفاعل مع مجتمعه بإحساس إيجابى.. فنجد أن أغلب الشعراء النجديين عالجوا كثيراً من الأوضاع الاجتماعية معالجة موضوعية متكاملة.. قد نلمس فى بعض القصائد أنماطاً من لهيب العاطفة الذى يقلل من إيجابية العطاء لكن هذا الاتجاه بدأ ينحسر.. وأصبحت التجارب الشعرية تتسم بالموضوعية والتعقل.

تجلى هذا الإتجاه فى مطلع النصف الأخير من هذا القرن الميلادى.. أما قبل ذلك فلم يكن هناك اتجاه واقعى بمعناه الذى نريد.. فالشاعر محمد بن عثيمين.. وابن اسحاق.. وابن بليهد لا يمثلون هذا الإتجاه.. بل لا يلمون بشىء من أغراضه.. رغم أنهم شاركوا المجتمع سياسياً.. ودينياً.. ورغم أنهم تغنوا بالأمجاد..وخلدوا البطولات.. ومجدوا الإنتصارات إلا أن الإلتفات إلى الطبقات الفقيرة.. وإلى حاجات المجتمع لم يكن ذا بال عندهم ولعل مرد ذلك إلى العزلة الفكرية التى عاشتها نجد قبل النهضة الحديثة.. ثم إلى عدم الإحساس بوظائف الدولة الحديثة..فوظيفة الدولة الآن تفرض على الشاعر أن يتجه إلى المجتمع ليرى مدى قيام هذه الوظائف بأعبائها.. لم تكن وظيفة الدولة من الاتساع والشمول الذى أصبح لها الآن.. ثم أن المجتمع نفسه لم يتطور بالقدر

الذى تتواجد فيه بعض الفوارق.. هذه العوامل جمدت هذا الاتجاه إلى آخر النصف الأول من هذا القرن.

وبعد أن تطورت الحياة.. وقامت الدولة بوظائفها الحديثة.. وانفتحت نجد لكل الروافد.. وأدركت مركزها.. وعرفت مايجب أن تكون عليه.. وبعد هذا التقدم فى كل المجالات.. أحس الشعراء بمكانهم.. وأدركوا وظائفهم الإجتماعية.. لقد طرقوا كثيراً من الأغراض.. وأدوا جانباً كبيراً من مهمات الشعر.. ووظائفه الإيجابية.

وللاتجاه الإجتماعى فى نجد.. كما لغيره سمات إقليمية ينفرد فيها داخل الإطار العام للمذهب.. وقد أشار الأستاذ المقدسى إلى ذلك بالنسبة لبعض الدول والمجتمعات العربية فأشار إلى أن لكل إقليم صبغة خاصة.. فهو عند العراقيين غيره عند المصريين فالشعر الواقعى عند الزهاوى.. والرصافى.. والنجفى.. والجواهرى من شعراء العراق يتسم بروح النقمة على الأوضاع القائمة آنذاك.. وحملاتهم على الأغنياء تبدو شديدة هذه الخصائص أو تلك السمات لا تبدو فى الشعر النجدى.. فى اتجاهه الواقعى.. ومثل هذه الحملات الناقمة لا تتكامل ايجابياتها لأن ردود الفعل تعوق الإستجابة الكاملة.. وتحجب عوامل التأثير.. ثم أن الإصلاح الإجتماعى من دعاماته اليسر واللين.. ومعالجة الأوضاع بالتى هى أحسن تمشياً مع الروح الإسلامى الذى يجب أن يشع فى كل عطاء فكرى وهذا الفارق بين شعر نجد.. والعراق جعل التأثير العراقى على شعر نجد ضئيلاً لا يكاد يذكر اللهم إلا فى بعض اجتماعيات الرصافى القائمة على الوصف وتجسيد الموقف أو المشهد.. ولعل بُعْدَ نجدٍ عن ويلات الاستعمار خفف من حدة الشعور.

واذا رجعنا إلى الشعر المصرى الذى فرغ للقضايا الاجتماعيه عند شوقى وحافظ ومحرم.. ونسيم.. والرافعى.. والكاشف.. وعلي طه.. والعقاد.. وشكرى.. وأبى شادى وغيرهم.. نجد أن من سمات هذا الاتجاه.. عدم

النقمة.. أو الشدة.. بل هوحَضٌ على الاصلاح ومناصرة الجمعيات الخيرية.. وملاجىء البائسين.. وهى على شدتها أحياناً تؤمن بواقع الحال فلا تطالب بثورة أو انقلاب.. وغاية ماترجوه أن تلين قلوب الأغنياء فيمدوا يد الإحسان كقول الجارم :

أيها الأغنياء أين نداكم بلغ السيل عاليات التلال

أو يصف حال المحروم وما يلحقه من حيف.. ويصف منزله.. هذه السمات تجلت فى الشعر المصرى وقد تركت بصمات واضحة فى الشعر النجدى الحديث.. خاصة لدى شعراء الشباب مع اختلاف بسيط مرده إلى عوامل نفسية.. ولا يعنى ذلك أنهم بهذا الاتجاه يقلدون.. وإنما يعنى كون شكليات ومقادير المعالجة فى شعر مصر الإجتماعى قد أثر فى نفوسهم فتمثلت أمامهم حين أخذوا ينظمون فى هذا الاتجاه.. على أن هناك شىء من الشدة التى تجنح إلى السلبية.. فقصيدة ناصر أبوأحيمد عن البادية تتخذ لوناً يبعد عن هذه الخصائص.

بم تحلمون
ياأيها المتسكعون
الجائعون المتعبون
اجفانكم فيها ابتهال
وعلى شفاهكم سؤال
وعلى الجباه الصفر
شىء لا يقال
بم تحلمون

والقصيدة تتلاحق أبياتها.. أو كلماتها لتصور شكلا من أوضاع لا تقوم فى كل وقت.. دون أن يتعرض الشاعر للحلول.. أو مناشدة المسئول.

لقد ساهم الشعراء النجديون فى هذا الإتجاه.. ولا زالت قصائدهم تتقاطر باحتشام.. وإحساس بالمسئولية داخل إطار الامكانيات..

شعـراء واقعيـون

من الشعراء النجديين الذين طرقوا كل الأبواب.. وسلكوا كل الاتجاهات فأجادوا الشاعر: سعد البواردى.. واتجاهه الواقعى فى مجال النثر أكثر منه فى مجال الشعر وهو بهذا يلتقى مع الشاعر عبد الكريم الجهيمان الذى يتزعم الواقعيه فى الكلمة الصحفية لقد عالج هذا الاتجاه فى القصة القصيرة.. والطويلة.. وعالجه فى الكلمة.. وعالجه على قلة فى الشعر.. والبواردى يزاوج بين الرومانتيكية.. والواقعية.. وقد ألحقه الأستاذ عبد الله عبد الجبار بالرمزيين اعتماداً على قصيدته «سجين فى عدن»[1].. وقال عنه ابن حسين «وعندى أن الرجل صاحب فكرة ولا شيء بعدها».. تنحصر أغراض شعره كما أشار إليها ابن ادريس[2] وابن حسين[3] وكما نقل عنهما أحمد قبش[4]. بالقومية والاجتماع.. وتطرقه إلى الأغراض الأخرى قليل.. وهو الذى يقول عن نفسه «إننى أكفر بكل أدب ذاتى ولا أرى أدباً إلا مايخدم الحياة فقط».

وباستعراض دواوين البواردى التى نزلت إلى المكتبات يتضح أن ديوانه أغنية العودة يتجه إلى الوطنية.. ويمعن فى محاربة الإستعمار.. ويعتبر الثورات ضد الإستعمار محاولة لبعث الأمة من الركود.. وطابع القصائد فى هذه المرحلة.. ثورة فيها عناد وإصرار وصخب.. مع عدم إلتزام الوزن والقافية.. وإدخال الحوار الشعرى كما فى «أغنية العودة» واستخدام بعض الرموز الطبيعية ولابعاده فى تعميق الجرح العربى.. وتهويله.. وبالتالى تراسل الحواس.. كقوله: نهر الحروف

---

(١) التيارات الأدبية فى قلب الجزيرة العربية ٢٤١.. والأدب الحديث فى نجد ٧٩.

(٢) شعراء نجد المعاصرون ١٥٣.

(٣) الأدب الحديث فى نجد ٨٠.

عوت الجراح.. وزجر اليقين.. وحير الرؤى.. ويتسم إلى جانب ذلك بالنزعة الإنسانية.. فهو يتحدث عن زنوج أمريكا.. وما يلاقون من الويلات.. كما أنه يتحدث عن مآسى عمان.. وعدن.. وفلسطين.. والجزائر.. ويخلط بين القومية والإسلامية والإنسانية.

أما ديوان «صفارة الإنذار».. فهو قصائد على هامش النكسة.. التى أدمت كل قلب وعمقت كل جرح.. وأذهبت الرشد.. ومن سمات هذا الديوان معايشة الأحداث العربية بروح ثائرة أبية.. وكلمات ملتهبة تتدافع بإيقاعات رتيبة ذات دفق موسيقى صاخب..

وفهم النكسة العربية على أنها مرحلة انتقالية تستتبع نهضة أشبه بالبعث من الموت.. يكون بعده الإنتصار.. وبالفعل فقد حقق الجيش المصرى أروع الإنتصارات وأرسى قواعد معجزة العبور الخالدة.. التى غيرت المفاهيم.. وحطمت الأساطير.. وأعادت الكرامة العربية المظفرة.

و«ديوان لقطات ملونة» يتسم بطابع فلسفى تأملى.. وتلمس فيه نزعات إيمانية وصلوات وابتهالات.. وتتجلى فيه الروح الإسلامية.. وفى مقدمته يحدد أن الألم.. والجوع.. والحرمان والأمل كلها جزء من الاحساس الإنسانى.. وجعل الديوان يعبر عن ألوان توحى بإحساس نفسى معين فلقطة لها لون الألم.. وأخرى لها لون الترقب.. وثالثة لها لون الإيمان ورابعة لها لون الطفولة.. وخامسة لها لون السماء..

والبواردى يتمتع بقدرة فنية وبموهبة شعرية مكنته من تلوين إنتاجه وتطعيمه بكل الاتجاهات فهو يسير معها حسب مقتضيات الأحوال.. كما أنه كثيراً مايتجه فى واقعيته إلى الرمز.. هذا الاتجاه أوحى إلى عبد الله عبد الجبار بحكمه عليه.. حيث جعله شاعراً رمزياً.. ويعد البواردى من أنشط الكتاب والشعراء النجديين.

ومن أروع قصائده الواقعية قصيدة «صور» :

نفس تعاف غذاءها لا تسمن ... وارادة تخش الردى لاتسمن
والناس بين مدافع عن حقه ... أودى بلقمته ظلوم أرعن
وذليل قوم ذاب فى ضوضائه ... من حول مزمار الهوان يدندن
ومغامر غر يعب من الدما ... من حول اقداح الجريمة مدمن
لا العيش أن نبكى فيحرقنا البكا ... أو نستجيب الي النعاس ونذعن
العيش أن تبنى الخطى امجادنا ... وترف بسمة عزنا وتهيمن
العيش آمال يثبت غرسها ... كف عنيد لا يهاب فيجبن

ومع أن البواردى شاعر وكاتب واقعى.. فإنه فى وطنياته أكثر تفاعلا وأكثر وضوحاً فهو الشاعر الذى أشرب حب العروبة.. والإسلام.. ووقف نفسه فى ميدان النضال يعزف فيه لحن الرفض.. ولحن التمجيد.. قافيته العودة.. وصفارة الإنذار.. من أبرز دواوينه التى تصور النزعة النضالية.. وتصور إيمانه بأن العربى شهم لا يمكن أن يعفر أنفه فى التراب.. وإن حصل له نكسة كما حصل عام ٦٧م.. فإن هذه النكسة عارض تزيله الإرادة العربية.. كما أن الشاعر إلى جانب حبه الشديد للعرب وإحساسه الأكيد بقضاياهم يتخذ جانباً إنسانياً يشارك فيه كافة شعوب العالم بآمالهم.. وآلامهم.. ويشارك الفئات التى تضطهد بعامل النزعة العنصرية.

وباستعراض قصائد البواردى نجد أنها فى واقعيتها تختلف عن كلماته الإجتماعية.. فحين يسلك فى كلماته سلك الواقعية الاقليمية.. نجده فى قصائده يخالف هذا المبدأ فتتسم قصائدة الواقعيه من حيث الوحدة الموضوعية بالاتساع.. والشمول.. والتنوع.. والمزج بين الوطنية والقومية.. والواقعية.

والواقعية عند البواردى فى أغلب الأحيان تعنى الرفض أو بمعنى أوسع تفجر المعارضة فى إطار من التمرد الشريف على المأساة.. وتحس وأنت تقرأ أحد قصائده الواقعية إبداعه فى تهويل المأساة بطريقة أعمق مما هى عليه.

ياعيد جئت وظل دارى مزقته يد الجريمة
وتكالبت حولى تقوض ما بنيت خطى أثيمة

ويمضى الشاعر فى تجميع أشتات هذه المأساة.. بحروف ملتهبة.. فالعيد.. وهو رمز الفرحة لا يمسح الأسى.. بل ينفر الأمانى العذاب ويرسى خطى المأساة.. يأتى والدمع يحكى الجراح.. والخواطر المظلمة تدمدم كالرياح وهو يناجيه بشىء من الموضوعية.

ياعيد صافيت الكبير وصادقتك صغار داره
وأبيت أن تهب السرور إلى اليتيمة فى جواره

وكم من شاعر وقف يخاطب العيد بصوت مشبوب.. وكلمات متأججة.. وهذا المتنبى حين عركته الآلام.. واعتورته المصائب وتحطمت آماله على صخرة السخرية الأخشيدية وخابت تطلعاته.. صرخ فى وجه العيد :

عيد بأية حال عدت ياعيد لما مضى أم لامر فيك تجديد
اما الأحبة فالبيداء دونهمو فليت دونك بيد دونها بيد

وعند شعراء نجد نسمع صوت الحجى المبحوح:

ياعيد وافيت والأشجان مرخية سدولها ونعيم الروح مفقود
لا الأهل عندى ولا الأحباب جيرتهم حولى فقلبى رهن الشوق مفئود

إن العيد مظهر من مظاهر السرور يحرك الأشجان.. ويبعث كوامن الألم.. ويدفع بالشاعر إلى تجسيد آلامه وتطلعاته.

ومن شعر البواردى.. الواقعى الرمزى.. قصيدة: «شريط الصخرة» ورغم أنها تخالف العمود الشعرى إلا أن إيقاعها.. ووضوح الرؤية فيها يعوض هذه الخسارة.. يقول فى مطلعها :

صخر كبير
وحمامة جرحى تئن وتستجير

وغراب بين لا يطير

وخراف أثقلها الظمأ من أن تسير

وهدير عاصفة لها معنى النذير

ومقيد فى خطوة يزهو به المنفى الكبير

وبعد هذا المطلع.. الذى سرد فيه ألواناً من الرمز..حمامة.. وغراب.. وخروف.. وعاصفة.. ومقيد يبدأ فى تفصيل هذه الرموز.. بصور مؤلمة.. فيها عمق المبالغة.. ودقة التصوير.. لتجعل الألم يحز إلى العضم.

فعن الغراب.. يقول :

اعمى

يجند له العذاب

فقأت نواظره الذئاب

اعمى

يعيش.. ولا يعيش

على سراب

وهذه الصورة هى أقصى مايمكن أن يتصورها إنسان.. وعن الخراف.. يقول :

عطشى

بلا ماء تصدبه الأوار

بلا رعاء

وبلا رعاة

ويمضى فى هذه الصورة يجسد آلامها.. فعن الأرملة :

يطل من بين الصخور

نشيج أرملة حزينة

مات الوليد.. وماتزال من حوله ترعى انينه

وعن الطفل الرضيع يقول:

يبـكى
يناشـد أمـه
أيـن الرضـاع
وأمه عنه بعيده.. ليست أمه
بـل للضيــاع

وللبواردى نشاطات نثرية تجلى اتجاهه الواقعى(١).

وشاعر آخر.. هو عبد الرحمن محمد المنصور(٢).. يميل فى قصائده إلى التجديد فى شكل القصيدة متأسياً بالشاعرة العراقية: نازك الملائكة.. يقول عنه الادريس شاعر واقعى مجيد.. عميق فى التشخيص الأسطورى وفى شعره ملامح من شعر نازك الملائكة الشاعرة العراقية من حيث الاتجاه التصويرى.. والتراثب العاطفى المتزن والميل إلى الرمزية البسيطة(٣) ووضعه قبش ضمن شعراء الفصل السادس الذين يمتاز شعرهم شكلاً بالتفعيلة.. أو الشعر الحر.. ومضموناً بالرمزية.. أو شعراء النزعة الإشتراكية الشعبية فهو يراه ممن صنعوا لأنفسهم جماليات خاصة وابتكروها ابتكاراً ثم اتجهوا إلى القضايا القومية للمعايشة الفعلية بعد أن نضجو داخل إطار هذا المجتمع دينياً وفلسفياً وعلميا.. والقبش

(١) من مواليد ١٣٤٩ هـ قطع الدراسة لكسب العيش ولم يواصل دراسة ــ أصدر مجلة الاشعاع ١٣٧٥ هـ واحتجبت ١٣٧٦ هـ عمل فى وزارة المعارف وأشرف على مجلتها «المعرفة» كتب فى مختلف الصحف اليومية ــ يعمل ملحقاً ثقافياً فى بيروت.

(٢) من مواليد ١٣٤٥هـ درس فى الأزهر.. كلية اللغة.. وتخصص فى التربية من جامعة عين شمس.. من موظفى وزارة العمل والشئون الاجتماعية ــ وهو من الشعراء المقلين.
مراجعة: شعراء نجد المعاصرون. تاريخ الشعر العربى الحديث ــ الأدب فى الخليج العربى ليس له الآن أى نشاط.

(٣) شعراء نجد المعاصرون.

يتعسف فى هذا الرأى.. فالواقعية عند المنصور لا تنتمى إلى هذا الاتجاه الذى أشار إليه.. كما أن الإدريس نفسه بالغ فى فهمه لبعد التشخيص عند المنصور.. أن مابين أيدينا من شعره.. يضعه فى مصاف الشعراء الواقعين.. بدون أى سمات ذات أبعاد واضحة.

وأوضح صوره فى شعره قوله :

وأفاع تفح فى دربنا
غمست نابها بنقيع الردى
ثم مجت لعاب الفناء
فكوت زهر الربى
فترنح ذا الزهر ثم انحنى
ولواه الردى فارتمى(١)

والتشخيص فى هذه يبدو واضحاً لكنه لايحملنا على أن نضعه فى عمق هذه الخاصية.. لأن من خصائص التشخيص.. أن تقف أمام القطعة الشعرية.. وكأنك أمام لوحة بديعة الرسم متكاملة الأبعاد. وهذا مالا نراه فى شعر المنصور.. مع أن تجاربه المتحرره من قيود القصيدة يقلل من هذه السمة.

وقصائد المنصور تتسم بالحرارة.. ويتيح للقصيدة أن تعمق الأثر بما يختاره من كلمات ذات معانى عميقة.. ومشعة من كل الجوانب.. فبدلا من النظر.. يستعمل الحملقة.. ويزيد الضياع فى وصف الأمس بالبيت.. وهكذا تحس ثورة النفس.. وغليان المشاعر.. ولهيب التجربة.. إلا أنه رغم كل ذلك لا يتيح للايجابية التكامل الذى يتفق مع هذا العطاء اللغوى.. يقول فى قصيدة «ميلاد إنسان» :

العيش والمحراث والفأس الثليم
والأرض تزرعها ويحصدها الغريم

---

(١) المصدر السابق.

وكآبة خرساء.. تقضمنا على مر السنين
لا فرحـة
لا بهجـة
غير الكآبة والأنين
والأرض تزرعها ويحصدها الغريم[1]
رباه: هل نبقى كهذى الساقيه
أبدا تـئن.
فتضحك الأقدار منها هازئة
أبدا تئن
فصباحها كمسائها
مكلومة تشكو على مر القرون
والناس تحسب شجوها الباكى لحون
مرمى أبى المحراث وانثالت شجون
لاتجـزعـى
فلقد تباركناالحياة.. فتفرحين
فتهاملت منها الدموع
وتلاعبت فيها ظنون
ويشب فى أعماقها لهب حنون
رباه فاجعل بكرنا.. هذا الجنين
عونا.. على دهر تهضمنا خئون

---

(١) فى السابق.. كان محصول الفلاح للغريم.. أما الآن فقد حلت المشكلة.. وقامت البنوك الزراعية بالتسليف بدون أرباح.. وقامت وزارة الزراعة بدفع خمسين بالمائه لكل آلة زراعية يشتريها الفلاح.. كما تدفع مساعدة على الانتاج.

وتمـر أعـوام
وحملق فى القطيع
شـىء صـغير
شـىء فضيع
شـى تضيق به الطريق
طـفل
ملامحــه
رضـــيع

هذه القصيدة كما يتضح من عنوانها تحكى قصة وليد لأبوين مزارعين كل مالديهم أنهم يزرعون ليحصد الغريم.. وليس لديهم إلا الحزن والألم والكآبة.. تأكلهم مر السنين فليست لديهم فرحة.. ولا بهجة.. وهم يشبهون الساقية التى تئن.. ويزيد فى ألمهم.. أن الأقدار تقهقه بالضحك الساخر.. ويعمق الألم عدم إحساس الناس.. بل هناك إحساس عكسى.. أو خاطىء فى تصوره.. فهم يحسبون هذا الأنين لحناً.. فيه طرب.. ثم يبدأ الحوار بين الأبوين.. وتمضى القصيدة على هذا المنوال.. إنها صورة تجسد وضع الفلاح فى أيام طفولة الشاعر.. يوم كان يزرع للغريم.. ويوم كانت أنات الساقية تكشف الآلام.. فى القرية المظلمة.. إنك تحس بالشعور الصادق لدى الشاعر.. لكن هذا الشعور تفسده القوالب الشعرية التى أثقلها تدفق هذه التجربة.. ولهيب ذلك الإحساس.

وله قصيدة تحت عنوان «الأصدقاء» يقول فيها :

دربنا مظـلم
وشـحته الأمانى بثوب الرياء
فبدى مشرقا وهو ليل دجى
وبدى داجيا وهو شمى الضحى
دربنا مظـلم

وكل قصائد الشاعر التى بين أيدينا لا تلتزم عمودية الشعر.. كما أنه من المبالغين فى التهويل.. الأمر الذى جعل أغلب قصائده تفقد ايجابيتها لأنها شكاية سلبية

★ ★ ★

سبق أن تحدثنا عن الشاعر النجدى عبد الكريم الجهيمان.. ووضعناه فى قائمة الشعراء الكلاسيكيين المقلين.. وقلنا أنه كلاسيكى فى الشكل والمضمون.. إلا أن كلاسيكيته لاتتخذ طابع كلاسيكية ابن عثيمين.. وابن سحمان وابن بليهد.. ذلك أن الكلاسيكية النجدية اتخذت.. مسلكين.. أحدهما.. محافظ فى كل شيء بينما يمزج الآخر بين القديم والجديد.. حتى أن عبد الله عبد الجبار ـــ تحدث عن الكلاسيكية الميته.. وهى التى لاتحمل من هذا العصر إلا ضعفه.. وضحالة معارفه. وهى نظرة صائبه وتبعه فى ذلك ابن إدريس الذى أشار لها فى بعض دراساته.. وخاصة حين درس الشاعر الجهيمان.. وبنظرة إلى كلاسيكية أحمد شوقى.. نجدها تتسم بالروح العربية النابضة الحية.. فهو مجدد فى إطار من الكلاسيكية.. فى الوقت الذى نجد فيه شاعراً غير مجدد.

على أن واقعية الجهيمان فى نثره أكثر منها فى شعره.. مثله فى ذلك مثل البواردى ونشاطات الجهيمان تتمركز فى مجال التراث الشعبى.. فى كتبه التى يتجلى فيها الاتجاه الاجتماعى.. رأى فرد من الشعب « أين الطريق» «لهيب الصراحة» وهى كتب تمثل الانتقال من الأوضاع القديمة إلى الأوضاع الجديدة التى وجدت فعلا بعامل التطور الاقتصادى.. والزراعى.. والحضارى.. والعلمى فى المملكة.

والقصائد التى نظمها تتخذ نفس الإتجاه.. وتخطو فوق هذه المدرجة التى عبرها فى مقالاته القصيرة المجموعة فى كتبه.

ويعد ابن ادريس وشعره انتقالاً من العهد الكلاسيكى الميت إلى الطور

الرومانتيكى.. ولو جعله إنتقالاً من الكلاسيكية الجامدة.. إلى الكلاسيكية المتفاعلة لكان توفيقه أكثر.. ولعل حكمهُ هذا صادر عن بعض القصائد التى تتجلى فيها العاطفة الذاتية وعاطفة الجهيمان ـــ لا يمكن أن توصف بالذاتية.. فهو شاعر إجتماعى.. أكثر من أى شيء آخر.. وهو صاحب إحساس مرهف.. وشعور جماعى ونزعة إنسانية.. هذه الخصائص تجعلنا نعده بدون تحفظ من الشعراء الذين يتخذون الاتجاه الواقعى ميداناً لتجاربهم.. وجواً يخصبون فيه سواء فى مجال الشعر أو النثر فحين يشتبه الاتجاه بالنسبة لشعر الشاعر.. يمكن جلاء هذا الاشتباه بفهم اتجاهه فى نثره لأن الشعر والنثر ينبعان من فكر واحد.

ومن قصائد الجهيمان التى تجمع بين الواقعية وتحتفظ بعمود الشعر القديم.. قصيدته التى نظمها فى مناجاة نخلة.. وإن كنا قد عرضنا لها فى الاتجاه الكلاسيكى.. فعرضنا لها هناك فى الجانب الذى يتخذ منهج القدامى.. ذلك إنها تحمل جملة أفكار.. وأحد مقاطعها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاتجاه الواقعى.. فهو هنا يخاطب الأغنياء المتعالين المتطاولين.. وهو نزوع إلى الاصلاح الاجتماعى

قولى له فى اعتزار منك نعرفه أن الاله الذى أغناك يغنينا
أولى له ثم اولى فى تصرفه ونحن ماكان بالاكرام آولانا
وعيه أن قضاء الله مانحه درساً مريراً وآلاما واحزانا

بهذا الأسلوب يتضح نوع المعالجة الاجتماعية.. وهو كما قلت يتفق مع الأسلوب المهادن والمتعقل وإن كان بالنعرة العربية والإباء والشمم ألصق.. ولا تخلوا معالجاته من الهدوء والموضوعية مع الإيجابية.. ووضوح الرؤية.

وتشع الروح الإسلامية بوضوح وإشراق فى هذا الإتجاه عند الجهيمان إلى الحد الذى قد تعده من زهاد العصر العباسى.. أو مرشديه..

ويمضى العمر أشبه ماناراه بغفوة نائم لما غفاها
وليس يعاد للإنسان دهر إذا صفحاته يوما طواها
ولايغني إذا الآجال حلت خرافات العجائز أو رقاها

بهذا التخويف.. والتحذير.. يريد من الإنسان أن يكون إيجابياً.. فى مجتمعه.. متشحاً بوشاح العدالة والإستقامة.. والسلوك الحسن..

فيانفس الشريف البر مرحى لك الأنوار فى ظلمى صواها
وياتعس المسف هوى وجهلا ستلقيك المرارة فى سهاها
فعند الله تجتمع البرايا وتنكشف السرائر عن طلاها
ويلقى الصالحون علا وأجرا وأما الظالمون ففى لظاها

ويتجه إلى النفاق الإجتماعى.. ولكن دون أن يفهم الناس شيئاً منها ويضرب لذلك مثلاً يتجدد مع الحياة فى غدوها ورواحها.. أنه يتخذ لذلك رجلاً أعطاه الله من كنوز الدنيا الشيء الكثير فالناس من حوله يهللون.. ويكبرون.. ثم تزور الحياة.. ويخلو الوفاض.. فيزور الناس عنه وتخلو ساحته من الوافدين.. أن الناس مع المادة يتواجدون بتواجدها.. ويقلون بفقدها.

تلك مفاهيم عرفها الناس.. وعايشها الكثير منهم.. لكنهم لايفهمون منها مايجب أن يفهم ولا يتعضون بها.

حاز فى هذه الحياة حطاما فاق عند الحساب عدَّ الحساب
فاقتفاه الصحاب فى كل فج وبوة فى المدح المستطاب
ثم جاءت حوادث الدهر يوما ذاهبات بالقشر اثر اللباب
وتجافى عنه الصحاب جميعا فرأى الرزية كله بالصحاب

وللشاعر صالح أحمد العثيمين نزعة واقعية ووطنية تمثلت فى بعض قصائده التى حفل بها ديوانه «شعاع الأمل».

وواقعيات العثيمين خليط من الرفض.. والإصرار.. والرومانتيكية.. ولهذا نجد

بينه وبين البواردى شيئاً من التشابه.. حتى فى القوميات تكاد تتحد مشاعرهم إلا أن الجانب المتشائم والملل والضجر عند العثيمين أكثر منه عند البواردى.. بينما الواقعية أكثر عند البواردى.

ويأتى كذلك الشاعر عبد الرحمن عبد الكريم العبيد[1] الذى يقول عنه ابن ادريس.. أنه يقع من حيث اتجاهه الأدبى فى مرحلة بين الرومانتيكية والواقعية وهو إلى مشارف الواقعية غير المتعمقة أقرب.

وقال عن شعره.. أنه يمتاز بطلاوة الأسلوب.. وبساطة التعبير.. وشفافية الحس وحرارة التجربة النفسية أحياناً.

والعبيد إلى جانب شاعريته من الكتاب الذين دعموا النهضة الصحفية بالعديد من المقالات.. وقصيدة « الشاعر» يفرغ فيها تجربته مع الحياة.. وتطلعه لهذه الفئات وتتسم هذه التجربة بالنزعة التشاؤمية التى تسحق براعم الإيجابية.. وتذيب الرؤى.. وتخنق الإبتسام.

من ذاك الشادى يؤرقـه ربيـع مقفـر
حيـران تلهبـه الظنـون وتستبيـه الأعصر
حيـران جللـه السراب خديعـة تتـزور
أبـداً تساوره الظنـون كثافـة يتعثـر
ويهيب بالقوم العجاف تجمهـروا وتحـرروا
كم راح يعزف فى الدجى أنغامـه ويصور
يشدوا وأجنحـة الطيـوف تقله اذ يعبـر
وعلـى بساط خيالـه أنشودة تتخطـر
بصر الحقيقة فماستحث ورائها يستـفسر

---

(١) من مواليد ١٣٥١ لم يكمل تعليمه الجامعى.. له كتاب «الأدب فى الخليج العربى ١٣٧٧ وديوان فى موكب الفجر وشارك فى النشاط الصحفى.

ياشاعرى مهــلا فانت تريــد دنيــا النظــر
ستظــل والأشواق تلتــهب فى ربــاك وتؤثــر

وقصائده الموجودة فى كتاب الإدريس لا تمثل الواقعية تمثيلاً واضحاً.. إلا أن كتاباته الصحفية تلم بكل مايهم الجماعة وقصائده التى فى ديوانه « فى موكب الفخر» تجسد هذا الاتجاه الإيجابى مع شيء من البرم والضيق.

وللشاعر الأستاذ عبد الله بن ادريس.. مؤلف كتاب شعراء نجد المعاصرون «شعر قليل» وهو على قلته لا يخلو من اتجاه اجتماعى.. يتراوح بين الواقعية الهادئة الموضوعية.. ذات المنهج التعليمى التقريرى.. والواقعية العنيفة التى ترفض الإستسلام للأمر الواقع.. وهذا التراوح مرده إلى تفاعل الشاعر مع الواقعه.. فبقدر الأثر الذى تفجره الحادثة فى نفس الشاعر يكون مقدار العطاء قوة وضعفاً.. وكثيراً ما نجد كلمات الشاعر متوائمة مع التجربة النفسية فهو لا يختار كلماته بقدر ماتحمل من إيحاء.. وإشعاع.. ولكنه يلتمسها لتحمل مقدار الانتفاضة النفسية..

يقول فى أحد قصائده :

لا تقل ذاك اصيل أو هجين فكلا النوعين من ماء وطيـن
انمـا المجــد لشهــم نابــه ابدا يطمع فى سبق السنيـن

وفى هذا يواكب تجربات سابقة.. تنهى عن أن يقول الإنسان أصلى.. وفصلى.. فأصل الفتى ماقد حصل.

ويتجه الشاعر فى واقعياته إلى المال ليضع فلسفته أمام هذا المال الذى غالى فيه البعض وجعله منتهى تطلعاتهم.

أنا لا احفل من دنيا الغناء بمنــال ليس رفاف السنــاء
أو بجاه ليس يبقـى خالـدا فى سجل المصلحين.. الأقوياء
واكبو الــعصر وشادوا نبضة تنشر الميت وتغنــى للبقــاء

ألا يرون المال.. الا..آلة   تصهر الشعب بروح الافتداء
لفقير معوز أو عاجز   مسه الدهر.. بأنياب العياء
أن قوما قدسوا دنيا الجـ   يوب لعمى عن نواميس السماء
همهم جمع حطام زائل   ذاك هم الجاهلين الأغبياء

والشاعر فى قومياته يختلف كثيراً عنه فى اجتماعياته.. فهو فى القوميات إلى جانب الموضوعية والتدرج مع جزئيات الحادثة.. يكاد يتحول إلى بركان هائج مائج فيه ثورة.. وفيه تفاعل وفيه مشاركة الشاعر الحساس الذى كوته آلام أمته.. وآلمته مكايد الاستعمار.. وغدر الغادرين الذين ينظرون بعين مجردة عن كل عاطفة.. وعن كل إنسانية.

الفصـل الخـامس

الاتجـاه الوطني.. والقومي
ومناصرة القضـايا العربيـة والإسـلامية

بعد أن تقلص ظل الدولة العثمانية.. وبدأ العالم العربى يتساقط من عقد هذه الدولة.. تلفت كل وطن إلى ذويه.. ليبحث عن إمكانية قيام حكم ذاتى.. يتسم بطابع قومى.. أو طابع إسلامى.. أو يجمع بين الطابعين.

من هنا انبثق دعاة القومية فى أفق العالم العربى.. وذر نجم دعاة الإسلام أيضا وقامت بعض الخلافات بين الدعوتين.. تشتد حيناً.. وتهدأ حيناً آخر.. منشؤه.. تخوف الإسلاميين من الاتجاه العلمانى.. والدعوة القومية تنبعث أساساً من الدول ذات الأقليات التى تريد أقلياتها أن تعرف مكانها داخل الصراع العالمى.. ثم من المفهوم العالمى الذى جعل اللغة من أقوى الروابط القومية.. فعن الأقليات.. نجد أن فى مصر.. وسوريا.. والعراق.. ولبنان أقليات عقائدية وعنصرية.. حتى أن فى لبنان عدد كبير من الأقليات الأمر الذى أثر على الدستور القائم حاليا.

وفى نجد.. كجزء من المملكة العربية السعودية.. وفى السعودية ككل لانجد لهذه الأقليات العنصرية.. والعقائدية أى أثر لأسباب منها:

١ ــ أنهما تضم مقدسات المسلمين المكانية.. وهذا مايضع العقبات فى وجه الديانات الأخرى.

٢ ــ طبيعة نجد الجغرافية قديماً أحاطها بسياج شائك.. عزلها عن الغزو الفكرى والعسكرى.

٣ ـــ سلامة نجد من مخططات الاستعمار القائمة على سياسة «فرق تسد» وهذا ماهيأ سرعة التلاحم بين مختلف مناطق المملكة حين نادى الملك عبد العزيز بذلك.

٤ ـــ ارتباط الدين مع السياسة.. منذ أن قام الإمام محمد بن سعود.. والشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وحتى الآن.

.. هذه العوامل مكنت الحكومة السعودية فى مختلف أدوارها من صد أى فكرة لإقامة ديانات أخرى.. أو عنصريات.

وإذا ضربنا فى أعماق التاريخ لمتابعة نشوء.. وتطور القوميات لاحت لنا بوادر من هذه الجذور.. مؤداها أن القومية العربية.. قامت أثر الحركات الشعوبية.. فالدولة الأموية تعتبر إمتداداً لعهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.. فهى عربية خالصة.. لا تفرق بين القوميات.. وقوام.. التقويم عندها «التقوى» وباتساع الفتوح.. ودخول قوميات كثيرة فى الإسلام.. وهذه القوميات على قدر كبير من الثقافة والبصر بأمور السياسة والإدارة.. والتجارة والصناعة..

واستمرار الحكم العربى.. أوغر صدور هذه القوميات الأعجمية.. وكان نتيجة ذلك أن قاد أبو مسلم الخرسانى أول ثورة قومية أطاحت بالأمويين وحكومتهم العربية.. وأقامت على أنقاضها دولة بنى العباس فى أثر ذلك بدأ العنصر الفارسى يتنفس الصعداء.. وبدت بوادر الخلفيات لهذه الثورة.. وكانت الضربة الأولى لهذا العنصر بقتل أبى مسلم الخراسانى على يد المنصور.. لكن جذور هذه الخلفيات ظلت نامية الأمر الذى دفع الرشيد لأن يضرب الضربة الثانية الدامية.. وينكب البرامكة.. واستغرب الشك القائم حول دواعى هذه النكبة بين أساطين المؤرخين.. وتسير الأمور.. ثم تنشق القوة العباسية بين الأمين وعربيته والمأمون وفارسيته.. فى خلال ذلك وقبل ذلك.. وبعد ذلك.. تنفس الشعراء.. ودخلت الشعوبية والقومية فى رحاب الأدب.. فشعر بشار مثلاً تشم فيه شعوبية عميقة مركزة.. وشعوبية أبى نواس تلمس فيها عبثاً ماجناً.. بينما

نجد شعراء يمجدون العرب وأفضالهم.. وهذا واضح.. ومنتشر فى كتب التاريخ والأدب ــ ولا حاجة لنا باستعراض شيء من ذلك.. ومن هذه التحولات فى السلطات القيادية يتضح لنا أن العرب فقدوا شيئاً كثيراً من مركزهم السياسى وتجربة العنصر الفارسى فى صدر الدولة العباسية أتاح لسائر العناصر الأخرى كالعنصر التركى محاولة التدخل.. والسلطة العثمانية آخر تلك العناصر التى غرست مفهوم القومية.. وقد امتد حكم الدولة العثمانية من القرن السادس عشر حتى أوائل القرن العشرين.. وبقى الحال إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر.. وكانت مصر قد استقلت بشؤونها الداخلية عن الدولة العثمانية كما أن النهضات العلمية تفشت فى سوريا.. ولبنان.. والعراق وتبعاً لذلك توسع نطاق الشعر العربى فى سبيل خدمة القضايا الوطنية.

وزاد من هذا الاتساع دخول الاستعمار الغربى كخلف للرجل المريض.. وكانت مقاومة العرب تسبق دخول الغرب.. فكان أقدم منشور ينادى بتسوية العنصر العربى بالتركى ويطالب بحقوق العرب النداء الموجه باسم «جمعية حفظ حقوق الملة العربية» فى آخر القرن التاسع عشر.. ويعتبر هذا المنشور نواة القومية العربية.. التى لا تفرق بين الديانات.. إذ أن من بنود هذه الجمعية.. الدفاع عن حقوق العرب جميعاً مهما تباينت مذاهبهم.. وحفظ الأمة العربية تحت ظل الراية.. وتسوية العرب بالأتراك[1]

بعد هذا التاريخ تقلبت الأوضاع.. وتبدلت الأحوال.. وتحورت المفاهيم.. وفى أعقاب الحرب الكبرى أوصت هيئة الأمم بوضع بعض الدول تحت الوصاية.. أو الانتداب.. وتجلت الحركات بعد ذلك.. فى القومية المصرية.. والثورات العربية المتتالية.. ومشكلة فلسطين..

.. ولكون الأدب المصرى من أهم العوامل المؤثرة فى كثير من الاتجاهات

---

(١) ابن المقدسى ــ اتجاهات الأدب الحديث.

الأدبية فى العالم العربى المعاصر يمكن أن نلخص خطوات الاتجاه الوطنى فى مصر.. لقد كان الاتجاه أول الأمر فى مصر.. إسلامى.. يوم كانت الروح الإسلاميه مسيطرة عى قلوب وأفهام المصريين وكان مدح الشعراء المصريين للخليفة التركى مرده إلى تمسكهم بخليفة المسلمين.. ومناصرتهم للخلافة الإسلامية.. ثم بدأت فكرة الجامعة المصرية.. الناجمة من الثورة العرابية.. فكانت تتسم بروح إسلاميه، وخلاصة هذه الثورة الربط العاطفى بين المصرى.. ووطنه.. ثم تطورت الفكرة على يد المثقفين المصريين ممن كانت ثقافتهم غربية.. فبدأ الهجوم على الرابطة الدينية.. وبعد فشل الثورة العرابية.. خفت صوت القومية.. ثم تحركت من جديد عبر تيارين.. عاطفى.. وعقلى.

.. هذا بالنسبة لمصر.. ونجد مثل هذا أو قريباً من هذا فى كل بلد عربى عاش تحت نير الاستعمار.. وحكمة الوافدون من بعيد.. ولا نحد شيئاً من ذلك ولا قريباً منه فى نجد للأسباب التى أشرت إليها فى مستهل هذا الاتجاه.

فى هذا الجو المعتم المتأجج بدأت الحركات.. القومية.. والحزبية.. حركات لها خلفيات فلسفية.. واجتماعية حركات تكافح الإستعمار.. بكل أشكاله.. اقتصاديا وعسكرياً.. وثقافياً.. وسار الشعر العربى تحت هذه الألوية والحركة القومية الآن تنزع من مشربين :

١ـــ أحدهما الاتجاه الذى يريد من القومية التحول إلى العلمانية.

٢ـــ والثانى الاتجاه الذى يريد من القومية الالتفاف حول لغة القرآن والوحدة العربية.

كما أن الشعوبية منذ أن كانت وحتى الآن، تنزع من قاعدتين.

١ـــ القاعدة الحاقدة التى تريد تفكيك التلاحم القائم حول لغة القرآن

٢ـــ والقاعدة التى تريد التكافؤ بين العناصر الإنسانية فى ظل العقيدة الواحدة.

.. والإسلام يؤيد الثانى من كلا الاتجاهين.. وهو الذى نراه واضحاً الآن بين الأدباء والشعراء النجديين.. وكل شعراء العالم الإسلامى.. كشوقى.. وحافظ..

والجارم.. والرافعي.. والعقاد.. وغيرهم كثير فى سوريا.. والعراق.. والدول العربية المغربية ودول الخليج.

على ضوء ماأشرت إليه قامت دعوتان.. دعوة تنادى بالوحدة.. تحت إطار القومية العربية.. ودعوة تنادى بالتضامن الإسلامى.. ومرت هاتان الدعوتان بمراحل مختلفة منشؤها العرب من غير المسلمين.. والمسلمين من غير العرب.. وأخيراً التحمت الدعوات الخيرة وأصبح الكل يسعى للخير والاصلاح.. وأصبح العالم العربى.. والإسلامى قوة واعية مدركة لكل مايأخذ.. ويدع.

والشعراء النجديون تَشَكَّل اتجاههم من حبهم للعرب المشبع بروح الإسلام.. ومن حقدهم الدفين على الاستعمار بأى شكل.. وعلى أى أرض.. والقصائد الوطنية والعربية لاتحمل أى طابع عقائدى أو فلسفى.. ولا تلتقى مع أى نزعة حزبية.. كل ماهنالك أن الشاعر يحس بالألم العربى.. وتدمى أعماقه وخزات الاستعمار المغروسة فى جسم أخيه العربى وتسوؤه النوايا الاستعمارية الدفينة.. فينطلق فى ثورة عارمة.. يفجر آلامه.. وينادى بالحرية.. والكفاح.. ويأسو الجراح.. ويشعر المضطهدين أن من ورائهم.. السيف .. والقلم.. والمال.

وقضيه فلسطين.. وقضايا المقاومة.. فى عدن.. والجزائر.. وعمان.. وقضايا الاعتداء الثلاثى.. والنكسة.. كل هذه الأحداث.. والقضايا.. أطال الشعراء فيها الحديث.. وجاءوا بما لا يطلب المزيد فكانت بمثابة الغذاء الروحى المتدفق الذى حرك الأشجان.. وفجر المواهب.

والشعر النجدى المعاصر.. شارك فى كل ذلك وأطال.. وكان دوره لا يقل عن دور المنكوبين أنفسهم.. حتى أن بعض الشعراء كالبواردى مثلا أفردوا دواوين لهذه القضايا وكانت قصائدهم تتسم بصدق العاطفة.. ومعايشة الأحداث بإحساس واع.. وشعور نبيل.

والقارىء للشعر النجدى.. فى مطلع هذا القرن.. وفى مطلع النصف الأخير

منه يدرك فوارق كبيرة فى مجال الوطنيات.. مرجعه إلى أن الشعراء فى مطلع هذا القرن شغلتهم احداثهم.. وفتنهم عن كل شيء.. والذى يتابع مراحل حياة الملك عبد العزيز.. وخطواته السياسية.. والعسكرية يدرك أنه لقى عناءاً كبيراً فى سبيل استرجاع ملك آبائه وبالتالى يدرك أن الشعر النجدى فى شغل شاغل عن أن يفرغ لأى مشاركة.. ففى شعر هذه الفترة لا نجد مشاركات وطنية.. ولا مناصرة للقضايا العربية للسبب الذى أشرت إليه.

ولأسباب أخرى.. منها أن الشعور الوطنى كان خامداً عند بعض الدول العربية.. ولأن قضية فلسطين لم تبرز للوجود.. وبالتالى لم تتكشف نوايا الاستعمار.. ولم تكن وسائل الأعلام موجودة لتطرح القضايا أولاً بأول على مسامع الشعراء وتسمعهم صيحات إخوانهم.. وفق كل ذلك فإن الشعوب المستعمرة لم تع واقعها ولم تتحرك للإستقلال تحركاً جدياً.. بالإضافة إلى أن الشاعر النجدى لم يخضع للمستعمر ولهذا لم يذق الطعم المر الذى تجرعه بعض الشعراء العرب فى البلدان التى دنسها الإستعمار.

وما أن انتفض الأحرار.. وتحرك المارد العربى.. وبدأت الشعوب العربية تتجه نحو الحكم الذاتى.. أز الشعراء النار أزاً.. وألهبو الحماس.. وفجروا الثورات فى كل زاوية ومنعطف.

ومع التحام المشاعر.. والتحام المصالح.. والإحساس بضرورة الوحدة السياسية والعسكرية والاقتصادية.. والفكرية.. لمواجهة تحديات الشرق والغرب.. أخذ الشعراء العرب مهمة التوعية.. والايقاظ .. وكان لشعراء نجد نصيب من ذلك.

إلا أن هناك بعض الفوراق يجب أن نعرض لها أملاً فى إيضاح الرؤية لخصائص القوميات والوطنيات النجدية.

فمن ذلك أن الوطنيات والقوميات تتسم بروح إسلامية.. بمعنى أن المشاركة مهما بلغ حماسها لاتخرج عن ذلك الإطار.

كما أن الوطنيات.. والقوميات لا تتخذ أى منهج حزبى.. ولا تخدم أى قضية حزبية والمشاركة تتجه أساساً إلى خدمة الوطن كوحدة متماسكة.

كما أن الوطنيات والقوميات النجدية تتسم بالموضوعية والإحساس المتعقل.. فى ضوء القدرة.. وهذا لا ينطبق على محاربة الاستعمار.. وايضاح فظائعه.

كل هذه السمات.. والخصائص جعلت الشعر النجدى يشارك. وجدانياً يقوم على التحريض والاثارة وإشعار العربى بأن وراءه جبهة داخلية.. تفديه بالمال.. والنفس.. وتسعى لايقاظ الضمائر الإنسانية فى مختلف المنظمات لمناصرة القضايا العادلة ومواساة المنكوبين.. وتذكيرهم بما أعد الله للمجاهدين وتصوير حياة المنكوبين لاستدرار العطف والمساعدة.

وبعض القصائد تنظم.. وتلقى فى الاجتماعات التى تقيمها الدولة لجمع التبرعات أو أى عملية وطنية.. أو إثر ضربة شرسه يقوم بها المستعمر.. كل هذه العوامل ساعدت على تكامل الاتجاه الوطنى.. والقومى.

على أن الوطنيات التى تتعلق بوطن الشاعر لاتخرج عن الحنين حين تبعده ظروف العمل أو الدراسة.. أو الإشادة بالمشاريع الانمائية.. أو التلميح إلى مشاريع مهمة أو مشاريع قائمة لا تؤدى الدور المطلوب منها.. أو الاحتفاء بدفعة من الطيارين.. أو المؤهلين علمياً.. أو مهاجمة خصوم الدولة ممن تحركهم أصابع استعمارية.. ولعل من أبرز مانظم ضد الاستعمار ما دار حول قضية البريمى.

بعد هذا العرض السريع.. يمكن أن نستعرض جانباً من القصائد الوطنية والقومية لتوضح خصائص هذا اللون من الاتجاه.

وشيء واحد أريد أن أشير إليه.. وهو أن كثرة القصائد الوطنية وإلمام جميع شعراء نجد فى النصف الأخير من هذا القرن بهذا اللون يجعلنى أقتصر على أشهر الشعراء المعروفين بميولهم لمناصرة القضايا العربية.. والوطنية..

والإنسانية.. لأن فى دراستهم أو عرض جانب من شعرهم ما يحدد كل خصائص وسمات هذا الاتجاه.

وظل الشعراء الذين نظموا الشعر فى مستهل النصف الأخير من هذا القرن تعرضوا للمشاكل الوطنية والقومية.. إلا أنهم يختلفون من الناحية الفنية والعاطفية.

فلهيب العاطفة يتضح فى شعر.. الدامغ والعثيمين.. والبواردى.. فى الوقت الذى نجد فيه شعراء شاركوا فى قصائد وطنية وقومية.. لكن الحماس.. والتفاعل لم يتضح بالقدر الذى يتكافأ ومطلب الحادثة.. وهذا نجده مثلا فى شعر ثانى المنصور وغيره من الشعراء النظاميين ومرد ذلك فى نظرى.. إلى فارق السن.. ولون الثقافة.. أما الشعور الوطنى فلا أستطيع أن أجعله من الفوراق فى هذا.. مع أن الشباب أكثر ميولاً لمتابعة الأحداث.. وهم أزهد بالاناة والتريث وانصاف الحلول.. وعلى خلافهم الشعراء الشيوخ.. الذين عركتهم الحياة وصرفتهم مشاغلها عن المتابعة.

ومن الشعراء الذين ناصروا القضايا الوطنية الشاعر/ سعد البواردى وقد أطلنا الحديث عنه فى كثير من الإتجاهات.. وأوضحنا دوافع هذه الإطالة.. فمرده إلى خصوبة شاعريته.. وشموله لكثير من الأغراض فى عدد كبير من تجاربه الشعرية.. ولسنا بحاجة هنا إلى أن نضع شيئاً من المقدمات.

له قصائد كثيرة.. وطنية.. يناصر بها القضايا العربية.. ويشارك بلسانه.. وقلبه فى مكافحة الاستعمار.

فديوان «أغنية العودة».. «صفارة الإنذار» من أبرز قصائدهما الوطنيات.. والقوميات فعن ثورة «عمان» يقول :

بأرض عمان ترامت جنود

وأثقلها غاصب وحقود

بأرض عمان لهيب عنيد
يواكبه فى الرزايا عنيد
بأرض عمان ثلاثون الفا
وعاهم اليها عميل بليد
كأنهم بين سيل الجبال
وبين الصخور الرواس قرود

وهى قصيدة التحمت معطياتها من واقع البلد الذى أحس بعذابه الشاعر.. هذا الواقع أمْلَى على الشاعر أسلوبا هجائياً.. ويمثل نمطاً من الأنماط التى يتخذها الشعراء فى مناصرة القضايا العربية.

وعن ثورة الجزائر.. له قصائد كثيرة.. منها قوله :

من الجبل الأشم
من أوراس المملوء حنقا وثورة
من الجزائر الحبيب
من ساح المعركة والكفاح
من هناك.. انطلقت هذه الصرخة
اليوم يدفعنى حنينى
لأذيب فى جسدى أنينى
وأقضى بالثأر العنيد
صروح من قد كبلونى

قصيدة فيها نزعة التمرد.. والشمم.. والعزة العربية.. لكن فى ثنايا هذه الثورة النفسية العارمة يتصدع النغم الموسيقى.. الأمر الذى لا نجده فى كثير من قصائد البواردى.. ذلك أنه شاعر موهوب.. قبل أن يكون من أصحاب الصنعة والتكلف.. وهذا من نتائج التعويل على الشعر المرسل الذى وطأ أكنافه لشبابنا فأخذوا منه مركباً ذلولاً يطوف بهم الآفاق.. ويحمل معهم تجاربهم.. كما حمل

الشعر العامى آبائهم من قبل.. فخشينا على شعرنا العربى الأصيل أن يضيع تحت سنابك العامى.. والمنثور..

ويقول البواردى على لسان سجين فى عدن:

يارب لم ننشد محالا
كل بغيتنا الحياة
فلأى جرم كبلتنا
بالقيود يد الطغاة

وهى مناشدة.. وجدانية مشبعة بالروح الإسلامى.. يلتمس فيها الشاعر النصر من الله الذى وعد بنصر المؤمنين وتفريج كربة المضطهدين.. أن السجين لا يملك أكثر من الخلوص إلى الله. ومناشدة الفرج والخلاص من قيود الغادرين.

وفى أغنية العودة.. يسوق هذا الحوار بين أبناء فلسطين.. ويحمل الدول العربية مسئولية ضياع فلسطين.. فالفلسطينى فى نظر الشاعر ــ وهذا بالطبع قبل تحويل القضية من أروقة المنظمات إلى ساحة القتال ــ لا يسمع إلا عواء.. وبكاء وارتعاش العالم العربى وفحيح الأفعوان اليهودى الذى تسانده الرياح الباردة.. وأخته تحول غضبها إلى العرب فهم الطامعون فى الأرض.

أديب: أماه ضج بى المكان
وصاح فى وجهى الزمان
وقبرت فى أمسى ــ وكنت الطفل ــ آفاق الزمان
ونظرت فى حولى ولات أرى ضياء
إلاعواء.. إلا بكاء
إلا ارتعاشات المساء
إلا فحيح الأفعوان.. وهمهمات فم الشتاء

ونظرت فى أفقى الكبير.

هند: ماخاننا ــ ولداه ــ إلا خطونا عند الزحام

«الإنقسـام»

الطامعون بأرضنا ــ منا ــ وقد حم الحمام

ولداه نحن لذاتنا نحيا وفى التراث المكيده

ولداه فى اطماعهم نكبت فلسطين الشهيدة

كانوا بجانبها .. وفى كيانها من طعنهم صور عديدة

وعلى هامش نكسة ٦٧ يقول تحت عنوان «صفارة الإنذار» وهى عنوان الديوان :

لابد يا دخيل من نشور

من صيحة فى عمقها الدنيا تدور

لا بد من حساب

لا بد من عقاب

لا بد من جزاء

لابد أن يهب الجاثمون على التراب

لا بد من زلزال

يقوض الأغلال

يحطم الأنذال

يرسل على التاريخ رايات النضال.

وبالفعل.. فلقد صدق ما توقعه الشاعر.. وأثبت الجيش المصرى كل هذه الوعود المتأججة وحقق تطلعات الشعراء الثائرين.. الذين أدمت قلوبهم هذه النكسة.. وأحرقت أجسامهم نار الهزيمة.. فلم يكن أحد يتصور أن العرب يرتدون على أعقابهم بهذه النكسة.. ولقد زال هول الهزيمة.. بهول العبور الخالد.

والبواردى بهذا الديوان يعايش الأحداث بروح الثائر.. ويفسر النكسة على أنها مرحلة سيعبرها العالم العربى إلى ساحة النصر.. فيبرهن للمغرورين.. أن العالم العربى وإن تعفر بالتراب.. فإن له نهضة تتصدع لها الجبال.. وتهتز منها الفرائص.

على رباك وفى واديك ياوطنى وفى صحاريك أحلامى وأيامى
ماكنت دونك انسانا ولا نهلت روحى وبل غليلى الجائع الظامى
أفديك أفديك عنوانا وملحمة أفديك أرضا تسامى عودها النامى

أن قصائد البواردى تضعه فى مصاف الشعراء الوطنيين.. فهو يطيل المناشدة لرفع الظلم عن الشعوب المستعبدة التى لا يقيم المستعمر لمصلحتها أى وزن.. أنه يحث العرب على المطالبة بحقوقهم ويناشدهم الجهاد فى سبيل الحصول على هذه الحقوق.. من قصائده الوطنيه قصيدته عن الفتى العربى اليوم.

أنا فارس ماتهيبت يوما صدام الحقود إذا ما أتى
ولا هنت يوماً أمام الدخيل متى عاس فى موطنى وعتى
ولا لعبت بحياتى الشكوك فساءلت كالجائر أين متى

ويقول :

أنا فارس ألعن المعتدين وأبنى لمن سالمونى السلام
وأنثر من سنبلاتى الحبوب لكى يشبع الحب منى الحمام
واعطى لغيرى.. لكل الحياة لمن فى الحياة الرضى والوئام

فى هذه القصيدة يسرد الصفات التى يجب أن يتسم فيها الفتى العربى.. لكى يواجه حياة اليوم بقدرة.. وايجابية.. ولكى يستطع أن يقف فى وجه أى قوة تحاول أن تصرفه من مسيرته وعن أهدافه.

أنا أن وجدت صديقا صدقت وأن خاننى سحقته يداى

وأن رغب العون مني وهبت وأجزلت في منحتي وعطاي
ولكنني ماوهنت حياتي ولا هنت في عزتي وإباي

.. يقول هذا حين يثور.. ويزمجر.. وحين تلتهب في أعماقه نار التمرد.. إنها سمات يريدها العربي.. لكن استمع إليه وهو يسرد قضيته على بساط الاعتراف..

وكنت أنسانا.. ولكنه مسخ. ذليل. مدنف حائر
تضج في نفسي خطايا الأنا يفيضها في مهجتي الشاعر
كأنما الدنيا لاجلي أنا كانت.. ومافرد لها آخر

ومع كل ذلك.. ومع كل أحواله النفسية يبدو إيجابياً.. ومتفاعلا مع المصلحة العليا للأمة وللوطن.

وللشاعر النجدي.. صالح أحمد العثيمين قصيدة يصور فيها أطماع الغرب ونواياهم وأهدافهم.. وخداعهم في شرقنا العربي.. ويكشف فيها الوعود الكاذبة التي يرفعها المستعمر في الواجهة ليعبر من خلالها إلى أغراضه وأطماعه ونواياه.

الغرب يدعو
نحو تحرير الشعوب
والحب والأخلاص في ظل الوئام
وتعايش ودي.. و«تقرير المصير»
لكن هراء
قوله أبدا هراء
هي خدعة
تقضي بتحطيم الضمائر والشعور
فالغاصبون
يتشدقون
على حساب الشعب والوطن الجريح

ويعلنون
الحق ويل الحق فى يدهم ذبيح
أمن العدالة فتكهم بالابرياء
أمن العدالة أن تضرج بالدماء
وتساق كالأغنام أو كبش الفداء
زمرا إلى كهف المذلة والسجون
رهن السلاسل والمجازر والتشرد والقبور
أهى العدالة والسلام
نصب المقاصل والقيود
والفتك بالأفراد والمستضعفين
وابادة الشعب الوحيد

ففى هذه القصيدة يتخذ جانب المجادلة والموضوعية.. فيقارن بين أقوال المستعمر.. وأفعاله ويخرج بحقائق تطمس هذه المزاعم الكاذبة. لايمكن أن يتحقق العدل إلى جانب المشانق والسجون.. والسياط.. وكبت الحريات وتكبيل الأحرار.. ودفعهم إلى كهوف المذلة.. والهوان.. «هذه المعاملة» لاتتفق مع أبسط قوانين العدالة والحرية.

ويقول عن ثورة الجزائر ماتشم فيه رائحة الحقد والضغينة على المستعمر.. وتمجيد البطل العربى فوق أى أرض وتحت أى سماء

وقال عن عمان.. وعدن.. وفلسطين.. ويعد الأرض العربية وطناً له.. فتحت عنوان.. موطنى يدافع عن الوطن العربى بروح ثائرة:

موطنى بالبأس بالنار احتدم راعشا ثوريه نيران الرجم
ليت كف الشياطين به وأدت آماله سود النقم
سلبت خيراته شرذمة صبت النار عليه والحمم
رازحاً فالنيرُقد طوقه بسياج من خيال وحلم

خيم الذل على أكنافه فهوى بين دياجير العدم

.. وكل قصائده تجمع بين تكذيب المزاعم.. وهذا لون هجائى سياسى.. وهو أكثر إمعاناً من البواردى فى هذا اللون.. وبين الإستثارة التى تمس بلهيبها شغاف القلوب.. وتذكر العربى بقدرته وامكاناته النفسية والأخلاقية التى تعد فوق أى قوة مادية.. قصائد من القوة والتأثير بحيث تشم فيها رائحة البارود.. وتسمع من خلال صداها دوى المدافع. وأزير الرصاص أنها تفجير صاخب يوقظ النيام.. ويفزع الخصوم ويثير الحمية.

ويقول عن الوثبة الخالدة.. وهى قصيدة نظمها الشاعر بمناسبة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر :

مصر العزيزة كافحت لكيانها شادت لها عزا يطول ويسمق
ذادت عن الوطن العزيز وناضلت وبنت سروحا أسهما لا يخفق
كتبت على زهر النجوم كفاحها وتقدمت للموت وهى تصفق
وقفت بوجه القاذفات منيعة كالطود لا يخشى ولا هو يغرق

والقصيدة طويلة.. تتلاحم فيها الأفكار.. وتتابع الأحداث.. وتتقاطر الأمجاد.. يعرض فيها لجهاد الشعب المصرى.. وصموده.. ويشير إلى كل النكسات التى منى به الاستعمار الغادر حين لطخ سمعته بالعار إلى أن يقول:

ياشعب مصر قد إنتهى ليل الأسى والصبح أقبل بالنجاح يطوق
فالى الأمام فنحن شعب واحد مصر.. يؤازرها الرياض وجلق

وتحركة الذكرى العاشرة لقيام عصابة إسرائيل فيعزف لحناً صاخباً.. يرغد فيه ويزبد.. وإذا كنا على أبواب الذكرى السادسة والعشرين.. وفى بحر الأعوام السابقة تغير مفهوم ماعندنا.. وعند إسرائيل.. فإن الذكريات التالية ستزيد فى التغيير من صالح العرب.. والشعب الفلسطينى السليب.

أقيموا وامرحوا فالبعث دوى وقد هبت لرؤيته الأنام
على أشلائكم سنقيم مجداً تخر له الجبابره العظام

ونوقدهـــا ونشعلهـــا ضروساً فلا طمـــع يدوم ولا خصام
ولا أمـل يهدهدكـــم حنـــون ولا وطـن يظـل ولا ذمـــام

ويقول عند مولد طفل فلسطينى لاجىء :

فمذ صافح الكون غَضُّ الإهاب وعانق هذا الوجود العنيد
رأى اخوة أثخنوا بالجراح وذاقو من الظلم عف اليهود
فلم يبقى من أرضهم غير رؤيا يهيم كطيف وحيد شريد
يلفعهم بالشتاء الصقيع وفى الصيف لفح الهجير المبيد
بلا موطن.. وبلا مسكن.. أقاموا فما تم غير النحيب
وحقد سيقذف نيرانه يطهر ذاك الصعيد الحبيب

لقد أطال الحديث عن الأرض السليبة.. فذكر الفدائى وهو طفل رضيع.. وذكر خيامهم حين تزمجر الرياح.. وكم استوحى قصائده من الليالى الشائبة التى تصفر فيها الرياح ويختلط أزيزها بأنات اللاجئين الذين يسكنون الخيام.. ويقطنون الأكواخ.. وتثور فيها ذكريات المرابع الناعمة.. فى الوطن السليب.. فى هذا الجو المشحون حسب تعبير الشاعر.. ولدت القصيدة التى يقول فيها :

يرميـه بالـذل المغيـــر فتستفيـــق به الجـــراح
لا يعرف الفجر الضحوك وليس ينعم بالصباح
شبح الكرامة فيـه موؤود علـى متـن السلاح
ويح الكرامـة من طغـام دنسوا حتـى الريـاح
أتراهمـو حسبوه فى تلك المواطـن مستباح

وكما أطال الحديث عن فلسطين.. فقد تحدث كثيراً عن الجزائر.. وعن مصر.. وعن سوريا وعن كل حركات التحرير فى الوطن العربى الكبير[1] وتتناول الشاعرة جليلة رضا.. الجانب القومى فى شعر العثيمين وتطيل الحديث فيه.

---

(١) راجع: شعاع الأمل.. وشعراء نجد المعاصرون.. وتاريخ الشعر الحديث.

تقول الشاعرة: هذه الروح العربية الأصيلة هى التى جعلته يحس بكل أنة فى أى قطر عربى فيتألم لصاحبها وكل محنة تنزل بقطر عربى تنطبع فى وجدانه ويزخر بها شعره نصرة ومواساة تلك الأصالة التي تستجيب لكل ماهو عربى:.. وتقول:«ومثل هذا الاتجاه أصبح عاملا مشتركاً بين شعرائنا الصاعدين فانبلاج نور القومية العربية خلق فيهم المعانى الكبيرة ودفعهم بقوة إلى معارك أمتهم يزودون عن حياضها.. بأوزانهم حتى استيقظ ذلك المارد الجبار».

يأتى بعد ذلك الشاعر.. عبد الله صالح العثيمين.. ونجده كأى شاعر عربى يحب وطنه.. وأمته. ويشارك فى أفراحها.. وأتراحها.. ويناضل معها.. بماله.. ولسانه.

فعن ثورة لبنان عام ١٩٥٨م يقـول :

مثلمـا ينطلـق الإعصار مجتاحـا مهيبـاً
مثلمـا يقتحـم الضرغـام فتكـا عضوبـا
مثلمـا ينفجـر البركـان مهتاجـا رهيبـاً
قذفت ثورة شعب الأرز نارا ولهيبـاً
يصطلـى من بات للـدولار عبـداً وربيبـاً
يا جبـال الأرز قد دوت نداءات الجـراح
وتعـالت كهزيز الرعـد صيحـات الكفـاح

من هذه القصيدة.. ومن قصيدة أخرى بعيد الوحدة تلمس عند الشاعر لوناً من الوطنيات ذات الاتجاه الوحدوى الحريص على وحدة العرب المتكاملة.. فهو يقول فى عيد الوحدة واشعاع القومية العربية.

نفحـات النيـل هزت بردى فمضى يلقى على النيل الخزامى
والتقى الأخوان من بعد النوى ودموع البشر تنهل انسجاما
فغـدى الشعبـان فى قطريهمـا دولة تأبى مدى العمر انقساما

دولة تدعو إلى القومية تنصر الحق وتأبى أن تضاما[1]

أن الشاعر يمجد الوحدة.. ويدعو إلى جمع الكلمة.. ويجد فى مثل هذه المناسبات مورداً دفَّاقاً لتجاربه الشعرية.. وهو إلى جانب ذلك يمجد النضال العربى من أجل الحرية والاستقلال ومن أجل الوقوف بوجه المستعمر الذى أراد للشعوب العربية أن تتحول مستهلكة لمنتجاته.. وأوكاراً لمؤامراته.. ومرتعاً لدعارته.

ونأتى بعد ذلك إلى الشاعر إبراهيم الدامغ الذى فاق جميع شعراء نجد.. بشبوب العاطفة وطول النفس فى القوميات..

يقول عن ثورة الجزائر :

ياميلاد النور.. والايمان يا أرض الجزائر
ياجبين العزة القصاء فى أرض البشائر
حدثنا عن منى ويجول عن ذاك المكابر
أى ارهاب عنيد أى ظلم أى غادر
يقتل الثأر الأبى الحر فى قلب الجزائر

وهى قصيدة طويلة.. وكلها تتسم بالثورة.. والتمرد.. وتتزاحم الكلمات فيها ملتهبة صاخبة.. وله قصيدة «موكب الحرية» مطلعها :

عرش البقاء عقيدة ونداء وفم الخلود عزيمة وأباء

وفيها يفتخر بالعرب وبمجد بطولاتهم.. ويستعرض مواقفهم.. فى الكفاح.. والنضال.. وقصيدة «عربى» التى يستهلها بهذه المقدمة :

«أنه صوت الملايين المتدفقة.. صوت الأحرار من بنى العرب.. صوت البقاء والخلود» فالعربى.. رفيع المقام.. نسيج إهابه من العز.. والقصيدة طويلة متلاحمة.. يقول فى آخرها :

---

(١) شعراء نجد المعاصرون.

سوف نحيا اعزه سوف نحيا ولمن تاه أن يعيد الملاما
ذلك المفخر بأنيام الأفاعى ابدا سوف يستبيح الظلاما
ذلك الفجر فجرنا وبنوه سوف تروى من الظماء والأواما

ومن أروع قصائد الدامغ قصيده.. سنعود :

سنعود يا أماه فى فجر الصباح المشرق
سنعود يا أماه فى نبع الهتاف الشيق
سنعود يا أماه فى ضوء السنا المتألق
سنعود فى اشراقة النصر المهيب الريق
ويزيح اذناب القرود ظلامهم عن مفرقى

وبعد هذه المترادفات من الوعود النابعة من أعماق قلب جريح.. عمقت جراحه المؤامرات والمساومات وهدت كيانه نكصات التخاذل.. وهدهدت ثورته الوعود الكاذبة الفاجرة عاد الشاعر بصوت مرعد.. وإرادة صخرية صلدة.. ونظرة حادة ملتهبة.. يفتش فى حصيلته الخلقية.. والمادية.

أنى لأفخر بالجلال.. جلال شعبى المحدق
يجتاح أقزام الطغاة ببعثه المتدفق
ويدوس اعناق الغزاة بزحفه المتخفق

ثم يفضى إلى القول :

يامنبع الأشراق ياقدسى الأبى المعرق
هدهد جروحك وانتظر لابد يوما نلتقى
لابد أن نشفى جراحات العداء المخفق

وللشاعر عثمان بن سيار.. مناشدة موضوعية.. لبنى قومه يناشدهم النهوض.. ويحذرهم من الإنشغال بالمجد الزائل.. وهو اتجاه كما أسلفت يتسم بالهدوء.. والتعقل.. والموضوعية.

آن أن نـنـفض عن أجفاننا سنـــة الشك وسحب الوهــم
آن أن نفصح عن آلامنـــا أى جدوى للانيـــن المبهـــم
جرحنـــا الراعـــف لا تلأمـــه عزة فى امسنـــا المـــنصرم
والكفـاح الحـــق لن تقهـــره قوة فى الأرض مهمـا تظلـم
فانطلـــق يحـــدوك عزم صارم نهضة الأوطـــان أسى مغنـــم
فكأنـــى بك قد احللتهـــا فى الغد الباسم عليـا القمـم
وتهـادى العـــرب فى افيائهـــا تنقـذ الدنيـــا بروح المسلـم

فى هذه القصيدة تحديد لاتجاه «السيار».. المتمايز كثيراً عن اتجاه الشباب القومى.. فاتجاهه دائماً يتخذ شكلاً موضوعياً.. فيذكر العرب بأن التعلل بالماضى لايفيد.. والانتصارات التى حققها العالم الإسلامى فى ماضى عهده لايمكن أن تجدى هذه الأجيال إن لم ينهضوا ويكافحوا ثم أن الحق مهماكانت القوى المتحدية له لا يمكن أن ينهزم.. وإن منى فى معركة فإنه حتما سيعلو لأن دولة الباطل ساعة.. ودولة الحق إلى قيام الساعة.

وهكذا نجد أسلوب المعالجة عند السيار.. فى قومياته.. يتسم بالتعقل.. ويطرح الشواهد.. والافتراضات.. وربط الأحداث ببعضها.. ربطاً ينتج منه الخروج بحقيقة لا يختلف فيها اثنان.. أما أسلوب المعالجة القومية عند الشعراء الشباب فهولا يتأمل أحداث ماضيه وحاضره.. أنه ينزع من قوته.. وإرادته وإصراره.. وعناده.. فأسلوبه يشبه إلى حد كبير.. أسلوب النثر فى معالجة القضايا السياسية.. والتى يحددها الأستاذ أحمد الشايب بقوله: «وأما النثر فالأصل فيه ماقدمنا من أنه فن تقريرى يتناول المسائل موضحاً معتمداً على آراء صريحة تامة العناصر بعيداً عن التهويلَ الى درجة ملحوظة عنصراً لحقيقة يناظر يلتزم المساواة غالبا إلا أن يكون خطابه فإنه يأخذ بقدر من الشعر ويعتمد إلى المبالغة بقصد التأثير»[1].

---

(١) تاريخ الشعر السياسى ص ١٨.

وللشاعر عبد الرحمن العبيد قصائد وطنية يشع منها حبه لوطنه ففى قصيدته «حتى مطلع الفجر» يقول :

وطنى أنت مُلهمى أنت حبى هام شعرى على ذراك وقلبى
اعصر الروح فى حماك نداء أى خطب تؤرق أى خطب

وهو كثير الحنين إلى وطنه.. يمجده.. ويجتر ذكرياته.. مثله فى ذلك مثل الأعراب الذين يسوقون الأظعان ثم يعرجون بنظراتهم للوداع الأخير إنه الحنين الذى يمليه الإلتصاق بتربة الوطن :

طف بالرحاب وحيى الحان الصبا حى العرار يرف غضا مورقا
حى الروابى الساجيات تراقصت اعشابها فحكت خصابا أزرق

وينفلت من تربته واقليميته كأى شاعر نجدى.. ليرتمى فى أتون المشاكل العربية والإسلامية التى تعد جزءا من كيانه.. وتهزه ذكرى «باندونج» فيقول:

باندوج يأأمل التحرر مرحباً قد زدت تقرير المصير يقينا

وفيها يقول :

الآسيويون الذين تضامنوا ورنوا إلى «افريقيا» يشدونا
جمعتهم الثورات من أجل المنى ومواكب النجوى ومايرجونا
يتطلعون لفجر يوم مشرق يضفى عليه الورد والنسرينا

ويلتفت إلى هذا المؤتمر.. ليذكر جانباً من إيجابياته التى حدت به إلى أن يتغنى به.

ستظل الهاما يشع وحافزا سيضىء دربا لا يزال مهينا
حتى نعانق من تباشير الرؤى فجراً يشع على الوجود مبينا

ويمجد ذكراه قائلا :

ذكراك ياحلم الشعوب نشيدة عذراء تلهبها الشعوب فتونا
ذكراك من أجل التحرر يالها ذكرى تعبقها ربى وحزونا

وللشاعر السنانى. رائعة حول مشروع أيزنهاور.. يناشد فيها الشرق والغرب

على السواء بالكفاف عن العرب.. وترك حريتهم.. وأرضهم.. وخيراتهم.

كف عنا أيها الغرب اللعين أننا العرب على رغم السنين
كم فتحنا من بلاد أغلقت في وجوه الفتح رغم الفاتحين
ما لأمريكا بدت من جحرها بعد صمت تنكأ الجرح الدفين
نسجت من خبثها احبولة أنها للشرق والسلم تصون

ثم يلتفت إلى الاتحاد السوفيتي ليكيل له بنفس الصاع.

أمم السوفيات في منطقتها ذات أطماع وبالشر تدين
نحن لا نصغي إلى تهريجها نحن أدرى بأمريكا من تكون

ثم يتحدث عن الشرق.. وأهداف الطامعين فيه :

ليس بالشرق فراغ شاغر انما بالشرق هام الطامعون
نحن لا نرضى لقوم تبعا شر عيش الخلق عيش التابعين

بعد هذا يبدأ بتحذير الشرق والغرب :

اتجاهلتم ورانا: أننا فوق أمريكا.. وفوق الكرملين
حطمت صخرتنا كم طامع فذرته وبقينا خالدين

وأخيراً اتجه إلى رئيس الدولة يناقشه عن هذه المشروعات.. وخلفياته :

يارئيس الدولة الكبرى التي أرسلت دولارها في العالمين
نحن لسنا سمكا في شبك كم تقولوا أننا صيد سمين

ويختم تهديده بقوله :

أننا الذرة فأرهب زرّها واقتنص مشروعك الغالي الثمين

وتتسم.. وطنيات.. وقوميات السناني.. بالحوار الموضوعي الجاد مع أي قوة تريد أن تنفذ إلى العالم العربي بعامل القوة.. أو الخداع والتمويه.. ففي قصيدة المشروع السابقة وقصيدة إلى الإستعمار يتجلى هذا الاتجاه.. ويقول عنه ابن ادريس «شاعر جيد إلا أنه مقل.. وتعوزه الأجواء الملونة مع ذلك فإن القارىء

سيجد فى مختاراتنا لهذا الشاعر كثيراً من النفثات الدافئة.. واللفتات التصويرية الحلوة»[1].

وفى قصيده موجهة للاستعمار يقول :

رويدك إنا جنود العلم   ومهلك نحن حماة الحرم

ويمعن الشاعرفى التحذير :

خذوا حذركم أيها الغاصبون وشدو الرحال لاوكاركم
فما بيتنا مسرح للدخيل. ولامطمع لعبيد النهم

ويتجه إلى الوحدة العربية وأثرها فى صد الأطماع :

فنحن الذين حلفنا اليمين بالانغام وفى العرق دم
ونحن بنو العرب الفاتحين سننهض حتما بعبء القسم
نفوس ولكنها وحدة وعقد ولكنه منتظم
ونحن هنا فى جبال الشئام ونحن هناك بسفح الهرم
ومن كان فوق ضفاف المحيط ليصافح منا الربا والحرم
يباعدنا وطن قسموه ويجمع منا الهوى والألم

وفى قصيدة الوطن يقول :

جبل الفؤاد على محبة موطن   وهفا لذكرى الصيف فى واديه
الموت أصبح عنده وإن النوى   يوم النوى إذ روحه تكويه

وفى الاعتداء الغادر على مصر.. انطلقت صيحات الشعوب.. ودوت نداءات العروبة وصدح الشعراء فى ركاب الزحف المقدس لصد هذا الهجوم

---

(١) شعراء نجد المعاصرون: ٢٦٩هـ وراجع تاريخ الشعر العربى الحديث لأحمد قبش والشاعر من مواليد ١٣٥٨هـ ومن رجال التعليم.. بمدينة عنيزة.

الغادر الذى أراد كسر الكرامة العربية وخضد شوكتها.. فى هذا الجو المشحون المتوتر عزف الشاعر لحنه الآخر:

بنى مصر ما هذى القناة تخصكم ... ولكنها دون العروبة باب
اقامتكم دنيا العروبه حارساً ... عليه فمن رام الدخيل يصاب

إلى أن قال :

ئعِز على رغم القرود مواطن ... خنازير حامت حولها وكلاب
مواطن اغفى فى ثراها جدودنا ... جحيم على من دائها وعذاب
نقدسها من أن يدنس طهرها ... ولو غص منا بالدماء تراب

ومن رائع هذه القصيدة تساؤله :

الا مالهذا الغرب يركب رأسه ... كأن لم يكن فى المشرقين حساب
ويجمع ماشاءت له صبواته ... كأرعن لم يفقد نهاة صواب
فشن على أم العروبة غارة ... لها الطيش نصل والغباء قراب
لقد جربوا فى بورسعيد كفاحنا ... فهل للغزاة الفاتحين إياب

★ ★ ★

ويشارك السنانى فى هذه المسيرة.. الشاعر عبد الله بن ادريس.. فهو واحد من عشرات الشعراء الذين هزهم الاعتداء الثلاثى هزاً عنيفاً.. كاد أن يذهب بالرشد.. ويضيع الصواب يقول الأدريس حول هذا الاعتداء الذى حول مجرى التاريخ.. والأحداث.

حقد اقضى قلوبهم وشعار ... فتآمروا فتجلت الأسرار

ويقول :

فسلوا القناة تجبكمواعماقها ... أن الغزاه بقعرها قد صاروا
وسلوا مدينة بورسعيد فمعتدها ... ركع الطغاة لِهامِهِمْ وانهاروا

ثم وجه تحيته لأبناء مصر الأشاوس :

أبطال مصر تحية وهاجة تشدو بها الأقطار والأمصار
أنتم رفعتم بالبطولة وكركم وزأرتموا فى المعتدين فخاروا
فلتبق ياشعب العروبة ظافرا يحى كيانك جيشك المغوار

ونمضى مع وطنيات الشاعر عبد الله بن ادريس فيحدثنا الشاعر على لسان مجاهد جزائرى.

عكازتى بندقى فى ساحة الرهب ومعولى مدفعى فى موطن الغضب
ومسكنى زرييه فى رأس شاهقة لكن ساكنها ليث من العرب

ويقول عن الجزائر.. على أسلوب الشعر المرسل :

لا لن نحيد عن الكفاح
ولن نحار.. ولن نهون
أو يستبد بنا السكون
رغم المقاصل والسجون
حتى تمرغ طاغيا
طاغ وقاح
في بؤرة الخزى الفضيع
ونذيقه اليأس المريع

بهذا القدر من التجارب الشعرية.. نكتفى.. لقد طرق جميع الشعراء هذا الموضوع وأجادوا فيه إجادة فائقة.. ذلك أن تجاربهم صادقة.. واحساسهم متكامل.

الفصل السادس

الاتجاه الإسلامي

طبعي والأمة العربية عامة.. والعالم الإسلامي خاصة تعمل وتنهل من هذا المعين الذى لا ينضب والذى قالت اللغة العربية مفتخرة متطاولة به على لسان شاعرها حافظ إبراهيم، ١٩٣٢م :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وماضقت عن آى به وعنات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق اسماء لمخترعات

طبعي مع ذلك أن تشع الروح الإسلامية من خلال كل تجربة.. فالأمة الاسلامية تعايش ديانتها لا فى الصوامع والاديرة ــ تفرغ لها ساعة من نهار تلوذ بها عن الناس.. وتنعزل عن الحياة ثم تنبذ هذه الهمهمات.. وتغلق على تلك الطقوس صوامعها.. وتدخل الحياة بشرعة الغاب ــ أن الأمة تعايش ديانتها.. فى البيت بين الزوج وزوجته.. وبينهم وبين أولادهم بين المجموعة ومن يجاورها.. ثم بينهم وبين مايأكلون.. ويذرون.. وفى الشارع كحق للجميع.. وفيه كسوق للبيع والشراء.. وفى السلم.. والحرب.. وعلى موائد المفاوضات.. وفى ساحات القضاء.. وقاعات المؤتمرات عند الإجتماع.. وفى الخلوة أن الدين الإسلامى مع المرء من صرخة الوضع.. حتى أنه النزع وهى معية لا تحد من الحرية ولا تقيد الإنطلاق.. ولا تفوت الفرص.. ولا تعطل الإبداع.. معية تحرك وتدفع فى كل اتجاهات.. معينة بناءة.. خلاقة. فى المادة.. وفى الروح.. فى الفن وفى الحياة.

لكل هذا نجد الشاعر يستلهم تجاربه من هذا العطاء الثر الذى حول وجه العالم.. وغير مسيرة التاريخ..

لقد سعى الشاعر فى ركاب الإسلام ينهل.. ويسهم.. واكب الشعر الدعوة.. وسعى فى ركابها ينافح.. ويكافح.. وينازل.. ويناضل.. يلهب الحماس.. ويقدح الزناد.. ويؤجج المشاعر.. وينفذ إلى صدور الأعداء سهاماً حادة تضرب منهم مصدر الأضغان.

وماحسان بن ثابت.. وعبد الله بن رواحة.. وكعب.. وبجير إلا أمثلة حية تجسد بوضوح.. وإشراق دور الشعر فى المعركة الإسلامية.. والذين فرغوا[١] لاستقصاء شعر الدعوة طال عليهم الطريق.. وأخذهم الإعياء.. وما وقفوا بعد على غرض من الأغراض التى وقف فيه الشعر طويلا.

والشعر العربى داخل الإطار الإسلامى.. سلك مناهج عدة.. أملتها ظروف الحياة وملابساتها..ومن أبرز هذه المناهج :

أولا : السير تحت ألوية الجهاد لوصف المعارك.. وتخليد البطولات.. واستنهاض الهمم والتذكير بما أعد الله للمقاتلين.. وتخليد مآثر الشهداء.

ثانياً : الرد على شعراء الأعداء.. ونقض استنقاصهم من المسلمين.. وعد سيئاتهم والتشنيع عليهم.. والطعن فى أنسابهم.. وقيمهم.. والنعى على قتلاهم وأنهم حصب جهنم ووصف حياتهم بالجبن والخور.. والإنهزامية.

ثالثاً : الدفاع عن العقيدة بذكر محاسنها.. وتوضيح أهدافها.. وتبسيط تعاليمها والمقارنة بينها وبين الأديان الأخرى.

رابعاً : التأمل فى ملكوت السماء والأرض.. والتبصر بهذه المخلوقات.. وفى الأنفس للوصول إلى هدف واحد.. هو تقوية الإيمان.. وطرد الشكوك والأوهام

---

(١) قامت كلية اللغة العربية بالرياض باستقصاء الشعر الإسلامى فى مختلف العصور الإسلامية وقد تم طبع مجموعة من الكتب تعد النواة الأولى فى هذا السبيل.

خامساً : تقص المفاهيم القائمة على مبادىء فلسفية مادية.. أو روحية
منحرفة.. وتقرير المنهج السليم.. على ضوء الماديات..
والروحانيـــات.. المرتبطـــة بروح إسلاميـــة سليمـــه.

لقد أثبت الشعر دوره الإيجابى فى مجال الدعوة الإسلامية.. منذ أن كانت.. وحتى الآن وأن للشعر فى مجال الدعوة أهمية كبرى تلى أهمية السلاح.. وليس أدل على ذلك من احتفاء الرسول ﷺ بالشعر.. والشعراء.. لقد قال لحسان بن ثابت: «أهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل».. وقوله: «أجب عنى اللهم أيده بروح القدس ثم إرساله حسان إلى أبى بكر لعلمه بالأنساب القرشية».. وحرص على أن يسل الرسول منهم كما تسل الشعره من العجين بهذا استطاع الشعر أن يشكل جبهة قوية دفاعية ودعائية لقد أحدث الإسلام بهذا حركة فكرية.. وأدبية قوية.. كانت من أقوى الروافد الأدبية فى الأدب العربى.

لقد انبرى الشعراء.. من كلا الجانبين.. فى ملاحات حادة.. زادت مع الأيام كماً وكيفاً وتقلبت الدعوة فى أعطاف الفكر.. حتى أخذت الحياة الأدبية مختلف الأشكال والألوان.. وحتى أصبحت هذه الحياة موضوعية.. تمسك من كل شيء بطرف..

لقد كان الشعر فى موكب الرسالة.. تمليه ظروف.. ومواقف الحياة.. فكان الرسول حين سمع قصائد المشركين كالزبعرى.. وغيره.. يهيب بشعراء المسلمين أن يقفوا فى وجوههم وصمد الشعراء المسلمون فى وجه هذا التيار.. ولم يفت فى عضدهم قول الله تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون» لأنهم يعرفون من المقصود بذلك.

وبعد استقرار الدعوة.. وانتشارها.. نشأ الخلاف.. كان من مظاهره بأن خرج فريق من أنصار علي بن أبى طالب.. سموا بالخوارج.. يقابله فى الطرف الثانى.. الشيعة.. ولكل من هؤلاء وأولئك شعر كثير يشع بروح إسلامية.. ثم

الفاطميون.. الذين يرون أن مبادئهم أصلح المبادىء السياسية.. ومن قصائدهم:

ولما رأيت الدين رثت حباله ... وأصبح ممحو الضيا والمعالم
غضبت لدين الله غضبة ثائر ... غيور عليها مانع للمحارم
أنا بن رسول الله غير مدافع ... تنقلت فى الأفوار من عهد آدم

وقصيدة أخرى رائعة.. مطلعها :

سئمت من البين الذى ليس يصدق ... فلست بغير الحق والصدق أنطق

الى أن يقول :

هم العروة الوثقى هم نهج الهدى ... هم الغاية القصوى التى ليس تلحق
ولولاهم لم يخلق الله خلقه ... ولم يك فى الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التى تثمر الهدى ... وباليمن والتقوى تظل وتسبق(1)

ثم بدأ الاتجاه الفلسفى.. والتصوف فى العصر العباسى.. كما تجلى شعر الزهد على يد أبى العتاهية.

ثم جاء العصر التركى وفيه تجلت قصائد المدائح النبوية.. وافتن الشعراء فى هذا.. وكان أسبقهم البوصيرى.. وله البردة.. والهمزية..

وقد حاكى شعراء كثيرون البوصيرى.. منهم شوقى.. وغيره.. وفى الشعر النجدى عند سعد البواردى.

هكذا كانت خطوات الشعر مع الدعوة.. يتخذ لكل زمان لبوس.. لكن فى كل ذلك يشع روحاً إسلامية عالية.

يقول الأستاذ د/ سعد الدين الجيزاوى فى أعقاب حديثه عن مراحل الشعر:

«.. ولقد رأينا كيف كانت الوجهة الأولى إبان الصراع بين الشرك.. والإسلام.. هى مناصرة الدعوة الإسلامية.. وتأييد المقاتلين المسلمين.. وإذاعة

---

(1) راجع: العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث من ١٩١٩ إلى ثورة ١٩٥٢.. وراجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور/ محمد محمد حسين.

فضائل الرسول الكريم. والدعوة الإسلامية الرشيدة. ثم رأينا كيف كانت وجهة الشعر الدينى بعد ذلك تتأثر تبعاً للظروف.

فشعر الخوارج كانت وجهته الدعوة إلى مناصرة عقائدهم الخاصة والدفاع عنها لأنها سبيل الجنة.. والشيعة كانت وجهة شعرائهم تأييد حصر وراثة الخلافة فيهم وتصوير عقائدهم التى يؤيدون بها وجهة نظرهم فيما يدعون.. وقد ظهر ذلك فى شعراء الدولة الفاطمية كأوضح مايكون.

وفى العصر العباسى كانت الوجهة تسجيل مظاهر التفلسف والتصوف والدفاع عما ينافى العقائد الإسلامية الخالصة.. وفى العصر التركى كان الشعر الدينى صدى للعقائد التى شاعت فى القبطانية.. وأصحاب الوقت والاتجاه إلى قبور الأولياء والصالحين لقضاء الحاجات والتوسل».

ويستطرد بالحديث.. إلى العصر الحديث فيقول: «أما فى العصر الحديث فقد ظلت روح العصر التركى طيلة الفترة الأولى منه. وبدأ الإنتقال إلى إحياء أمجاد الإسلام فى الفترة الثانية».. هذا وقد اعتبر العصر الحديث ثلاث فترات.. هذا بالنسبة إلى أصداء الدين فى الشعر المصرى.. وجعل الفترة الأولى من ١٧٩٨ الى ١٨٨٢ «الثورة العرابية والاحتلال» والثانية من ١٨٨٢ الى ١٩١٩ والثالثة من ١٩١٩ حتى اليوم ويعتبر الفترة الثالثة ممثلة لإتجاه الشعر إلى إبراز مزايا الإسلام فى قوته وصفاته والدعوة إلى اتباع تعاليمه التى تعتبر أقوم تعاليم ثم الدفاع عن مزايا الإسلام ودحض مغريات خصوم المعاصرين ثم الدعوة إلى القوة واليقظة والوحدة والاستمساك بمكارم الأخلاق ثم مقاومة الانحلال والإلحاد والفرقة.

وكل خصائص الشعر الإسلامى المصرى تكاد تنطبق على إتجاه الشعر النجدى.. فهو لا يخرج عن المحيط الذى دار فيه الشعر المصرى المشبع بالروح الإسلامية.

وإذا قلنا أن الشعر النجدى عامة متأثر بالروح الإسلامية.. فمعنى هذا أن تأثر الشعر.. واتجاهه الإسلامى يتضح فيما يلى : —

أولا : الشعراء النجديون.. لا تجد فيما تجد من شعرهم مجونا.. ولاخلاعة.. ولاهجاء.. ولاإسفافاً أخلاقياً.. ولا جنوحاً يخالف الأخلاق الإسلامية. فعن المجون.. لاتجد قصيدة واحدة يصرح فيها الشاعر بشرب خمر.. أو لهو عن الخلاعة.. لا تجد قصيدة غزلية خالعة كما لاتجد الغزل بالمذكر.

وعن الهجاء.. لا تجد أحداً من الشعراء هجا إنساناً بعينه كما أن الشاعر يعف عن أن ينسب إليه قصيدة فيها مثل هذا اللون.

وعن الاسفاف.. لا تجد شاعرا يمجد الصفات المنحطه.. أو يتجلى فى شعره عن شيء من ذلك.. كل هذا يثبت أثر الروح الإسلامى فى الإتجاه الذى سلكه الشعراء

ثانيا : فى القصائد الإسلامية وغيرها.. لا تجد قصيدة واحدة يشك فيها الشاعر بشيء قرره القرآن أو أتى به الرسول.. من أمر البعث.. والحساب.. والجنة والنار والأخيار التى تتعلق بسلف الأمة وما للعقل مجال فى الدخول فيه.. فكل الشعراء النجديين لا أستثنى من ذلك أحداً لا يتعرضون لشيء من ذلك تعرضاً مبْعثه الشك أو الريب أو التردد.. وما يتعرضون له من ذلك لا يعدو الإثبات.. والتأييد.. وإسقاط شكوك واحتمالات المارقين.

ثالثا : فى قصائد المدح.. ابن عثيمين وابن بليهد.. ومن بعدهم.. وعند صالح الناصر.. والعرفح.. والعبد الكريم.. والصفيق ثم الخميس وغيرهم لانجد جانب المبالغة.. أو الاحالة التى تخالف الدين.. فلم نعد نسمع أشباه.. مبالغات المتنبى.. أو أبى تمام وأبى نواس وغيرهم

ممن لا تجد الروح الإسلامية ممتزجة فى كل تجاربهم الشعرية.
فشعراء نجد يستشعرون الإسلام فى أى مجال من مجالات النظم.
كذلك فى قصائد الرثاء.. لا تسمع أكثر من تصوير فداحة المصاب والدعاء له بالمغفرة.

هذه المفاهيم تنطبق على كل الإتجاهات.. سواء منها الفنية.. أو الموضوعية.. ويمكن أن نعتبرها من السمات العامة للشعر النجدى.

ومانريد أن نعرض له هنا.. يخرج عن إطار هذه السمات.. إلى القصائد التى نظمت بدافع إسلامى.. على أننا سنلمح إلى شىء مما هو مرتبط بهذا الموضوع.

فى الشعر الحديث وفى لبنان بالذات نجد أن الشعر العربى اتخذ اتجاهاً جديداً لا نجده فى الشعر النجدى.. ذلك هو تفسير الطبيعة الالهٰية.. كما أن هناك تصوف مادى.. وتصوف روحى.. وكذلك بحث فلسفى عن النفس البشرية.. وحالها بعد مبارحة الجسد.. وقد يؤدى ذلك ببعض الشعراء إلى درجة الجحود.. أو عدم المبالاة بما وراء الحياة. كل هذه الأشياء سواء منها ما يرتبط بناحية فلسفية.. أو ذاتية.. لانجده فى الشعر النجدى.. والقصائد النجدية التى تعرضت لمثال هذه القضايا.. لا تعدو أن تكون للتذكر.. وكبح جماح النفس.. أو لطرد وساوسها وأوهامها.

والذى يقرأ الشعر الإسلامى النجدى يدرك أنه بعيد كل البعد عن التأملات الفلسفية إلا فى بعض قصائد لاتحمل الدارس على اعتبارها ظاهرة تجدر العناية بها..

ومما يلاحظه القارىء أيضاً عدم وجود النقائض والملاحات الداخلية لخلو المملكة من الأقليات.. فالأقليات.. سواء منها ما كان سياسياً.. كالأحزاب.. أو عرقياً.. أو دينياً ليس لها أثر فى المملكة.. ولهذه الأقليات فى البلدان الأخرى دور كبير فى تلوين الاتجاه الدينى.. ولعلنا ندرك كيف أن الدين

الإسلامى اتخذ طرائق قددا.. حين قامت الأحزاب الإسلامية.. كالخوارج والشيعة.. ثم انقسام هذه الأحزاب إلى أقسام أخرى متناحرة متدابرة.. تتطاحن.. فكرياً وعسكرياً.. وفى الوقت الحاضر نجد مثلاً على ذلك لبنان.. ففيه تبدو ظاهرة الأقليات بشكل غريب.. مابين دينية وعرقية.. تضم دروزاً وأكراداً..وعرباً.. وأرمن.. مسلمين.. سنة وشيعة.. ومسيحيين موارنة.. وكاثوليك.. وأرثوذكس.. وملل.. ونحل لاتعد حتى ليقال بأن الحكومة اللبنانية تعترف رسمياً بحوالى أربعين نحله.. ومذهب.. وتصرح لها بممارسة شعائرها الدينية.

مثل هذه الأقلية تجعل الدارس يقف مبهوراً أمام المحصول الفكرى.. على أى أساس يدرسه وبأى عقيدة يحكمه.. أما فى نجد.. فإن شيئاً من ذلك لم يكن.

لقد اتخذ الإتجاه الإسلامى فى الشعر النجدى طابعين :

الأول : أبان قيام الملك عبد العزيز باستعادة الحكم من آل رشيد.. والهاشمين.. وآل عائض وهذا دور التكوين.

الثانى : بعد استتباب الأمر واخذ الحكومة بأسباب الحضارة والإنفتاح على العالم.. ودخول المعارف والعلوم.. عبر كل الوسائل. وهذا دور التطور.

ويمثل الطابع الأول..تياران.. تيارٌ فكرى.. وتيار سياسى.. أحدهما ينافح عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.. ويعدد محاسنها.. ويشيد بمحامدها ويتصدى لأعدائها من علماء.. وشعراء.. وساسة.

وأما الثانى.. فقد اتجه إلى الجانب السياسى يمجده.. ويباهى به فى ظل هذه العقيدة.. وعلى ضوء مبادئها.. ووقف على قمة التيار الفكرى الشاعر.. والكاتب الإسلامى سليمان بن سحمان.. فكانت

له كتابات علمية.. صدع فيها حصون المشككين.. وله قصائد فند فيها أخطاء المنحرفين.. وسلك فى ذلك مسالك عدة.. من مدح ينفذ منه الى الغرض الدينى.. وهو تمجيد الإسلام.. ومساندة الدعاة.. وتارة أخرى يأخذ جانب الرثاء.. أو الهجاء.. أو أى غرض يتمكن به من الوصول إلى غرضه الرئيسى.. وسنعرض لجانب من قصائده.. توضح اتجاهه الإسلامى. ويتزعم التيار السياسى الشاعران النجديان. محمد بن عثيمين، ومحمد بن بليهد.. أما بن عثيمين فقد نفذ إلى غرضه بالمدح الذى جعله خالصاً لزعماء العرب.. كحكام.. قطر.. والبحرين.. والسعودية.. وبمراثيه. وأما ابن بلهيد فقد حقق هدفه بمدائحه للملك عبد العزيز وأنجاله. إلا أن روح الإسلام لم يكن تجليها بالقدر الذى نجده عند ابن سحمان وابن عثيمين لأنه إلى السياسة أميل.. وبها ألصق.

ونستطيع أن نوفق بين ابن عثيمين.. وابن سحمان.. ولانوازن الأثنين أو أحدهما مع ابن بليهد.. لأن ابن بليهد لاينزع من قاعدة إسلامية خالصة وإنما ينزع من قاعدة سياسية تواكب وتوآزر الإسلام.. ولهذا نجد أن الأثر الإسلامى يبدو ضمناً ولم يعالج ابن بليهد قضايا إسلاميه بحته.. بل وقف عند القضايا السياسية ذات الطابع الإسلامى.. فكان اتجاهه الإسلامى ضمن اتجاهه السياسى.

وبالمقارنة بين الشاعرين الآخرين.. نجد أن ابن عثيمين قل أن يأخذ قضايا عقائدية.. فيفند الآراء.. ويعالج الإنحراف.. وكل ما يمكن أن نقف عليه فى اتجاهه الإسلامى إعطاؤه رأياً عاماً.. أو شجب طائفة ذات أثر سياسى إلى جانب الأثر الدينى مع الوعظ والإرشاد فى ثنايا مدائحه وتركيزه على المعانى الإسلامية.

بينما نجد ابن سحمان يمعن فى تعمقه.. ويسلك فى شعره مسلكاً علمياً عقائدياً.. ومن هنا يمكن أن نجمع بين ابن سحمان.. وابن مشرف الشاعر الأحسائى.. فكلاهما يجمع بين الشعر.. والعلم..

مع أن كلاً من ابن عثيمين.. وابن سحمان.. وابن بليهد اشتركوا فى الدفاع عن العقيدة الإسلامية وأشادوا بالولاة الذين ناصروا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. لقد جاءت قصائد ابن سحمان كلها فى تمجيد العقيدة.. لكن الدكتور بكرى أمين.. ينقد هذا العطاء لاعتماده على الترديد.. «ولا مندوحة لنا عن الإعتراف بأن هذا الشعر رغم كثرته كماً.. فإنه قليل العطاء وثمانية آلاف بيت فى ديوان ابن إسحاق يمكن أن تكتشف معانيها فى قليل من الصفحات.. وهذه المعانى المحدودة المكررة حملت الشاعر على ترديد بعض ألفاظ بذاتها[1].. لقد اتخذ الدكتور جانب النقد الإستدلالى.. والحكمى.. وهو القائم على الدراسة التى لاتعتمد على الجودة النسبية.. بمعنى أنه يقدم المادة بصرف النظر عن عوامل تكوينها ومحيط تواجدها أو بمعنى أوضح بدون اعتبار لأى من خصائص العرض والطلب.. وهذا المذهب النقدى الذى تسلح به الدارس مع مافيه من دقة.. وماله من معايير ثابتة.. إلا أنه لا يفسح المجال أمام العطاءات المتأثرة بالأوضاع أو الملابسات.. وأود هنا أن ألفت نظر الناقد إلى إن ابن اسحاق وقف يرصد الأحداث حول الدعوة.. فكل هجوم عليها.. يتصدى له بالسلاح الذى يناسبه.. على المثل القائل: حارب عدوك بالسلاح الذى يخافه.. لا بالسلاح الذى تخافه أنت.. وقد يتصدى الشاعر.. لشاعرين نقدا الدعوة فى أوقات مختلفة وحول موضوع واحد.. فتأتى قصائد الشاعر متشابهة.. وهذا ما أخذه عليه الكاتب.. وهو دليل على عدم فهمه لطبيعة الشاعر وظروفه. مع أن الدراسة التى قدمها عن الحركة الأدبية تدل على أن الكاتب لم يتمثل الحركة

---

(١) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية ص ٨٠.

تمثلاً واضحاً.. وهذا المأخذ المهم.. ألمح إليه الدكتور محمد مصطفى هدارة.. فى حديث إذاعى له عن هذا الكتاب.

هذا بالنسبة للطابع الأول الذى أشرنا اليه.. وسنعرض لقصائد الشعراء تحته.. أما الطابع الثانى.. فلم يفرغ له أحد.. فى الوقت الذى نجد من انقطع لهذا الإتجاه فى الطابع الأول كابن سحمان.. وقد تجلى الإتجاه الإسلامى فى كثير من القصائد جاء لمناسبة أو لعارض آخر فرضته الحياة القائمة على أننا لا نستطيع أن نجد لأحد من هؤلاء الشعراء اتجاهاً معيناً لأن اتجاهه الإسلامى ليس مدفوعاً بنزعة فلسفية.. ولا بعامل سياسى.. بل هو خطرات تعرض للشاعر.. فيبدأ تجربته الإسلامية.

وإذا كان الطابع الأول.. تكامل تحت ظروف اقتصادية.. وسياسية.. واجتماعية وثقافية متميزة يمكن استخلاصها من واقع نجد قبل استتباب الأمر للملك عبد العزيز.. وهى التخلف فى كل هذه الأشياء.. فإن الطابع الثانى.. تكامل إتجاهه الإسلامى.. بعامل ظروف مغايرة لظروف الطابع الأول.. هذه الظروف يمكن أن نسميها..روافد.. موضوعيه : —

أولا : التطور الفكرى.. والثقافى.. لقد بدأ ذلك واضحاً بعد توحيد المملكة باسم المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ.. وهو العام الذى وضع فيه الملك عبد العزيز حداً لكل الزعازع.. واستطاع الشعب بعده أن يبدأ حياة جادة منتجة.

لقد فتحت المدارس.. والمعاهد.. والكليات.. والجامعات.. وكل هذه المعاقل العلمية مطبوعة بطابع إسلامى سلفى.. وكان للمعاهد وكليات الشريعة واللغة أثر كبير.. فهى تسير وفق أسلوب الأزهر.. فى مناهجها.. ومراحلها وعدد كبير من شعراء نجد درسوا فيها وكان لمناهجها الإسلاميه أثر كبير فى شعرهم.

لقد خطت البلاد خطوة كبرى فى التعليم بعد عام ١٣٧٣هـ.. فأسست المعاهد والكليات.. وقبلا دار التوحيد.. وكلية الشريعه بمكة.. ثم جامعة الرياض والجامعة الإسلامية بالمدينة.

وبالاضافة إلى التعليم المنهجي.. نجد أن الكتب الدينية التى تقوم دار الإفتا بطبعها وتوزيعها بالمجان على الراغبين.. تركت أثراً كبيراً فى هذا الاتجاه.. ويكفى دليلاً على ذلك طبع فتاوى شيخ الإسلام ورسائل علماء نجد.. وغيرها مما له أثر كبيرفى صبغ الثقافة بصبغة دينية.

كذلك انتشار المكتبات العلمية التى تتسم بطابع إسلامى.. كالمكتبة السعودية ومكتبات الكليات.. ودار الكتب الوطنية.. وغيرها.

يضاف إلى ذلك صدور صحف.. ومجلات ذات طابع إسلامى صرف.. كمجلة «راية الإسلام».. المحتجة «ومجلة الحج» ومجلة «التضامن الإسلامى» وجريدة «الدعوة» والمجلات الدورية.. التى تصدرها المؤسسات العلمية الدينية.

ثانيا : التطور الاجتماعى.. لقد كان للثروة الطبيعية التى حبا الله بها المملكة أثر كبير فى التطور الاجتماعى.. هذا التطور من كل وجوهه حرك الشعراء وألهمهم بعض الفكر الجديدة التى لم يكن لأحد من الشعراء القدامى أن يعرض لها لبعدها عن محيط تفكيرهم كتعلم المرأة.. وغلاء المهور.. ومحاربة الترف.. والاسراف والحث على مساندة الجمعيات.. الخيرية.. والدعوة إلى الوحدة الإسلامية ونبذ التفرقة.

تلك أهم الروافد التى هبت فى محيط الفكر عند الشعراء النجديين ووجهتهم توجيهاً إسلامياً خالصاً من كل الشوائب.. على

أن هناك عوامل ذاتية تنبع من نفس الشاعر.. وهذه يمكن أن نلمح لها عند الحديث عن الشعراء.. وهناك عوامل أخرى خارجية عبرت إلى الشعر النجدى بمختلف الوسائل.. وهذه جاءت فى حديثنا عن روافد الأدب النجدى.. على أن مايخص الإتجاه الإسلامى يدخل ضمنها.. وأهم العوامل على الإطلاق.. الدعوات الاصلاحية ـــ والمجلات الإسلامية التى تصدرها المنظمات الإسلامية فى البلاد العربية وغيرها.

بعد هذا الالمام البسيط بأوجه.. وخصائص.. وعوامل هذا الاتجاه.. نأخذ جانباً من قصائد الشعراء الممثلة لمظاهر الاتجاه بكل أبعاده وسماته :

يتزعم هذا الاتجاه فى مستهل هذا القرن.. الشاعر العالم سليمان بن سحمان.. وابن سحمان كما هو معروف يعد من العلماء.. ومن الشعراء.

وعلمه فرض عليه أن يقوم بواجبه للدفاع عن الدعوة الإصلاحية.. لا سيما أنه قد درس على علماء الدعوة من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وكان عصر ابن سحمان.. عصر التوتر بين الدعوة وجملة علماء وقفوا فى وجهها.. وقد عرضنا لهذا الموضوع فى الحديث عن خصوم الدعوة.. كان موقف الشاعر.. موقفاً دفاعياً.. ودعائياً فهو يتصدى للعلماء بالرسائل.. والقادة.. والزعماء بالقصائد.. ويقف من المسترشدين موقف المعلم الذى يستخدم الشعر تارة.. والنثر العلمى تارة.

ولقد تأثر شعره باتجاهه العلمى تأثراً واضحاً.. وكان مجمل الأغراض داخل هذا الإتجاه.. التى عرض لها الشاعر لاتخرج فى جملتها عما يلى:

أولا : الدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وقد فرغ الدكتورأمين فى دراسته لإحصاء القصائد التى ورد فيها ذكر الدعوة..

والداعي.. فبلغت مائة قصيدة.. وهذه القصائد لا تعني أنها مفردة لهذه الدعوة.. بل يأتي فيها ذكر الدعوة والداعي عرضاً.. وإن كان الشاعر يعد من أنصارها الذين مدحوها بغرر الشعر.. ودافعوا عنها بأقوى القصيد.. وقصائد الشيخ كما أشرت تتسم بطول النفس.. وهذا يفرض على الشاعر أن يلم بأكثر من موضوع إسلامي داخل الغرض الرئيسي.. فإذا كان الشاعر يريد بالقصيدة الرد على الشاعر الزهاوي مثلا في موضوع الإسراء والمعراج.. فإنه لا يقتصر على هذا الموضوع.. بل يمتد إلى الداعي فيثني عليه.. ولا يجد حرجاً من تناول بعض الخصوم.. وماخرجوا به عن الدعوة ويلم سريعاً بالصلاة والزكاة.. ولاينسى المنضوين تحت لواء الدعوة وعدهم من الفئة الصالحة الباقية على الحق.

ثانيا : الرد على بعض الشعراء الذين بحثوا في شعرهم قضايا إسلامية.. فوقعوا في خطأ عقائدي فنجد مثلا أن للشاعر العراقي.. الزهاوي(١) رأى في الإسراء والمعراج تتلخص في أن الرسول ﷺ وسلم عرج بروحه.. ولم يعرج بجسمه.. وقد رد ابن سحمان على ذلك بقوله:

ومعراج الرسول إليه حق بذات المصطفى نحو العوالي

فالشاعر يرى أن الرسول أسرى بروحه وجسمه معاً.. وأنه لا يجوز القول بخلاف ذلك والقصيدة طويلة ومنها هذا البيت :

وانكر معراج الرسول حقيقة بذات رسول الله سحقا لمارق

فكل من يرى خلاف ذلك يعتبر مارقاً من الدين.

ثالثاً : وجد من يغالي في جسم الرسول.. انطلاقاً من مشكلة الإسراء..

---

(١) من مواليد: ١٨٦٣ عراقي.. شاعر مشهور.. وله فلسفة إسلامية خاصة.. تتجلى في مطولته «ثورة في الجحيم» راجع الكتب التالية: حقيقة الزهاوي، الشاعر القلق الزهاوي، فيلسوف بغداد، الزهاوي سلسلة الأعلام. وديوانه للدكتور نجم.

ومن وفاته.. ولهذا تجد الإضطراب قائماً حول ذلك فى أمر جسده الكريم.. وللشاعر رأى فى ذلك يرد فيه على الخارجين ويؤيد الموافقين لسلف الأمة.

رابعاً : هناك من يرى شد الرحال لزيارة الرسول.. أو زيارة قبره.. ويدخل ذلك فى باب الدين والشاعر لايرى شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. مكة.. والمدينة.. وبيت المقدس. وما سوى ذلك فهو مخالف للسنة. وقد عرض لهذه المشكلة فى بعض قصائده. وأيد مايتفق مع مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

خامساً : لايرى الشاعر التوسل بالرسول.. ودعائه.

سادساً : يعتبر الشاعر الإحتفال بالمولد النبوى من البدع التى لا يجب إحياؤها.

سابعاً : محاربة القوانين الوضعية.. وخاصة الدستور الذى خرج أول ماخرج فى الدولة العثمانية فمن ذلك قوله :

قد استبدلوا الدستور عن دين ربهم ولم يرتضوا إلا سياسات من أضل

وقوله وقد اختلف فى نسبه لابن سحمان:

ويحكم بالدستور بين ظهوركم وحكم النبى المصطفى ليس يذكر

ثامناً : الاطناب فى مذاهب علماء الكلام.. ورد شبههم.. وإقامة الحجة عليه وإقرار رأى أهل السنة.. والجماعة.

تاسعاً : ذم المقيمين بدار الكفر.. وهو يرى الدولة التى تحكم القانون وتعطل الشريعة من هذه الفئة[1].

فمن دفاع الشاعرعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وعن الداعى نفسه.. ونفى الشبة التى أقامها الخصوم من علماء وشعراء.. حتى أن من

(١) راجع فى ذلك ديوان الشاعر.. وكتبه.. ورسائله.

الخصوم من كفر الشيخ.. وكفر أنصاره لأنه يخالف مبادىء الشريعة الإسلامية قوله :

ماكفر الشيخ إلا من طغى ودعا غير الالٰه وبالأشراك قد دانا
والشيخ كفرهم والله كفرهم والله يصليهم فى الحشر نيرانا
والشيخ جهلهم والله جهلهم والمسلمون ومن قد حاز عرفانا

فهو يرى الخصوم ممن دعى غير الله.. ومن أخذ غير توحيد الله منهجاً وطريقاً.. وهذا بالطبع لا يصدق على كل خصوم الدعوة.. لأن هناك خصوم اختلفوا مع الشيخ فى فروع الشريعة مما لم يرد فيه نص صريح.. وهو ماكان موضع الإجتهاد.. إلا أن أغلب الخصوم دفعهم للخصومة عامل غير الدين.. ومعارفه. تلك هى العوامل السياسية التى لا ترى المحاجة العلمية.. بقدر ماترى إصدار الأحكام.. لإرضاء الحكام.. ولهذا نجد أن الأحكام تصدر بدون دليل شرعى.. فخصوم الدعوة يغلب عليهم الطابع السياسى.. وفيهم من كان على خلاف مع الداعى فى قضايا اجتهادية.. وذلك أمر معروف.. ومألوف.. ومقبول.. والذين يقرؤن كتب الفقه يجدون الشيء الكثير من ذلك.. وباب الاجتهاد مفتوح ولكل قادر عليه أن يصول ويجول ولا حرج إذا كانت شروط الإجتهاد متوفرة فيه.

ومن قوله فى الدعوة والداعية : ـــ

وقد قام يدعو الناس فى جاهلية إلى السيد المعبود بالجد والجهد
وقد كان أهل الأرض إلا أقلهم على الكفر بالمعبود والجعل للند

وقـال :

ينـادون أربـاب القبـور سفاهـة ويدعون من لا يملك النفع للعبد

ويقول فى الرد على من وصم الدعوة بالوهابية لأبعادها عن السلفية :

نعم نحن وهابية حنفية حنيفية نسقى لمن غاضنا المرا
وكم من آخى جهل رمانا بجهله فعاد حسيرا خاسئا نائلا شرا

وللشاعر قصائد.. كثيرة.. تدور حول الدعوة وقد سقنا طرفاً من شعره عند الحديث عن الاتجاه الكلاسيكى.. والشاعر بحق يعد من علماء الدعوة الذين نافحوا عنها وتصدوا لكل أباطيل.. وخصوم هذه الدعوة.

وللشاعر قصائد أخرى تتسم بطابع إسلامى.. ولاتتعرض للدعوة تعرضاً مباشراً. قصائد فى مدح الملك عبد العزيز.. ويتضح اتجاهه الإسلامى.. فى القصيدة التى نظمها لتسلية الملك عبد العزيز فى بعض غزواته التى لم يحالفه فيها الحظ.. ويذكره فيها بأن هذا قضاء وقدر ليس لأحد فيه رأى.. وليس له فيه قدره.

يقول فيها :

أمور القضا ليست بحكم العوالم ولكن إلى رب حكيم وعالم
قضاها إلٰه العرش جل جلاله وقدرها من قبل خلق العوالم

والقصيدة طويلة.. يذكر فيها أن الأمر مرتبط بأمر الله.. وأن على الإنسان أن يتقبل قضاء الله وقدره بنفس راضية.. متى كان مطمئناً من حسن قصده.. وسلامة منهجه ويختتم القصيدة بقوله :

فلو أن لو تجدى وتنفع قائلا لأصبح مفتونا بها كل لائم
يلوم على ماقدر الله وانقضى فتبا له ماذا جنا من مآثم
وما كان هذا الأمر بدعا فقد جرى لأفضل خلق الله صفوة هاشم
لأن كان قد اضنى بنا واقضنا بشؤم الذنوب المعضلات العظائم
من القرح مانرجوه فضل ربنا واحسانه محوا لتلك الجرائم
فقد مسهم من ذلك القرح فادح فكانوا طعاماً للنسور الحواتم
بأيدى رجال من ذوى الصدق فى اللقا حماة كماة كالأسود الضراغم(١)

(١) ديوان الشاعر: عقود الجواهر المنضدة الحسان ط ١٣٣٧هـ.

ففى هذه القصيدة التى يواسى فيها.. ويسلى.. يتخذ منهجا إسلاميا.. ولا غرو فالشاعر من العلماء الذين طغت السمة العلمية على إنتاجهم.. فأصبح اسمه بين العلماء أكثر وضوحاً منه بين الشعراء.. ولولا بعض قصائد تلمس فيها لوناً من الفن البعيد عن النظم العلمى لما جاز لنا أن نعده من الشعراء.. بل من النظاميين الذين يصوغون أفكارهم فى كلام موزون مقفى.. أمثال ابن مالك فى ألفيته وأمثال بعض العلماء الذين نظموا المنون ومصطلحات العلوم فى شعر موزون.. تسهيلا للحفظ.. وتحبيباً للقارىء.

والشاعر يجمع بين خصائص هذه الفئة.. وبعض خصائص الشعراء الموهوبين.. لكن القصائد الإسلامية تكاد تسيطر على كثير من شعره.. لولا بعض قصائد فى المدح.. والرثاء والإخوانيات وبعض قصائد الغزل.. وتقليد القصيدة العربيه القديمة فى منهجها.

والاتجاه الإسلامى فى قصائد محمد بن عثيمين تخالف اتجاه ابن سحمان.. ذلك أن ابن عثيمين شاعر مداح.. وهو يلتمس فى مدائحه ما يوافق مبادىء الممدوحين.. الذين لا يريدون بالإسلام بديلاً. على أن هذا لا يعنى أن ابن عثيمين ليس صادقاً فى اتجاهه الإسلامى.. بل إننا نجده يوجه النصح للمدوح ليتمسك بالمبادىء الإسلامية.. وينبذ كل ما سوى ذلك.. فى خطابه للملك عبد العزيز.. قوله :

اجعل مشيرك فى أمر تحاوله   مهذب الرأى ذا علم وذا أدب
وقدم الشرع ثم السيف انهما   قوام ذا الخلق فى بدء وفى عقب

وهذا الإتجاه فى المدائح يدل على أن ابن عثيمين يتمتع بروح إسلامية عالية.. وأنه لا يدع هذا المبدأ فى كل قصائده إذ فيها تتجلى المعانى الإسلامية.

وابن عثيمين لديه ثقافة إسلامية.. فى كتاب الله وسنة رسوله.. لهذا نجد أثر هذا فى قصائده فهو كثير الإقتباس.. من القرآن.. ومن حديث الرسول..

وأيضاً نجد بعض آراءه تقوم على مبادىء وأسس إسلامية.

فمن اقتباسه من كتاب الله قوله :

أليس أتى فى محكم الذكر أمرنا بطاعتــه حقــا ولا نتفــرق
فقـال اطيعـوا الله ثم رسولـه كذلك ولى الأمر نصر محقق

اقتبس هذا من قوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»(١) وقوله فى الآية نفسها «فان تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول».. لقد نزع فى مدائحه.. منزعاً إسلامياً.. فأرضى عقيدته وأرضى ممدوحه.. وهو حق لا مراء فيه.

وكذلك قوله :

إذا خط ذو العرش الشقاء على أمرى فلن تغنه الآيات تتلى ولا النذر

اقتبس هذا المفهوم من قوله تعالى «وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون»(٢) ومن قوله تعالى : «حكمة بالغة فما تغنى النذر»(٣)

فالشاعر أبدا يتسم فى كل قصائده بسمة إسلامية.. شكلتها.. تربيته.. وبيئته ولون ثقافته ومعارفه.. واتجاه الحكام الذين يفد عليهم ويمدحهم.. يقول فى مدح الملك عبد العزيز :

فجئت بالسيف والقرآن معتزما تمضى بسيــفك ماأمضاه قرآن
حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت للدين فى الأرض أعلام وأركان

وإذا كان الشاعر يقتبس من القرآن فى كثير من قصائده التى يتخذ فيها منهج الحكمة والإرشاد والتوجيه فإنه يتخذ من الحديث الشريف مشرباً صافياً.. ومعيناً لا ينضب فمن ذلك قوله :

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآيه ١٠١ من سورة يونس.

(٣) الآية ٥ من سورة القمر.

إذا صلحت فى داخل الجسم مضغه فإن صلاح الجسم فيها معلق

وهذا البيت ينزع من قول الرسول: «أن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.. ألا وهى القلب».

على أن نزعته الإسلامية ربطته أيضاً بنزعةً تقليدية.. وهو ختم القصائد بالحمد والصلاة على رسول الله.. وقد سقنا بعض الشواهد فى ترجمة الشاعر.. ودراسته.

هذا ومن خصائص الشاعر وسماته.. يتضح لنا اتجاهه الإسلامى..فالشاعر لم يهج أحداً.. وهذا دليل على تأثره بالروح الإسلامية.. قال شارح الديوان وجامعه أن الشاعر سئل عن احجامه عن الهجاء فقال:ـــ الحمد لله.. أنى لم أهج أحداً قط مهما بلغ فى من الإساءة وهل تظن أنى تركت الهجاء عجزاً.. كلا.. إن الشعر آلة وأداة يصرفها الشاعر كيف يشاء فى فنون الشعر وأغراضه.. وهل من العسير على من يستطيع أن يقول: عافاك الله أن يقول: أخزاك الله فى الوقت نفسه.

كذلك من السمات الإسلامية عنده بعده عن المبالغة فى المدح التى تخالف الشريعة الإسلامية.. وإن كان فى مدائحه بعض المبالغات..

يقول ابن حسين «فكان شعره إلى حفز الهمم واستنهاض العزائم أقرب منه إلى المديح»[1].

وساق على ذلك مثلا قوله :

عسى أن نراها سيره عمريه يدين لها غرب البلاد ومشرقا

وأردف قائلا : ـــ لقد كان فى وسعه أن يتملق وينافق فيقول: ألسنا نراها سيرة عمرية .. وأنا لا أسير مع الحسين إلى هذا الحد.. فهناك مبالغات تفوق

---

(١) الأدب الحديث فى نجد صفحة ٤٥.

مالو قال ألسنا نراها.. ولامجال لذكر شيء من مبالغاته فى المدح.. فديوانه يزخر بالكثير من ذلك ومهما يكن من شيء فإن العثيمين فى كل قصائده.. ولا يخرج على أى مبدأ من مبادئه.. وهذا يكفى لجعل الشاعر من الشعراء الإسلاميين الذين خدموا العقيدة ومجدوا الإسلام.

من الشعراء الذين اتجهوا فى شعرهم اتجاهاً إسلامياً.. بعض علماء الدعوة ممن كان لهم بصر فى الشعر.. وهؤلاء اتسمت قصائدهم بالقدر الذى اتسمت به قصائد ابن سحمان.. مع الفارق الشديد.

من هؤلاء.. الشاعر عبد العزيز بن طوق.. يقول ابن حسين.. والشاعر عبد العزيز بن طوق يستثيره مافعل الأتراك وأعوانهم بالبلاد وأهلها فيبعث بشكوى من تلك الحال ــ بعد الله ــ إلى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن.. وكان ابن طوق قد انتقل من الرياض واستقر بالأحساء.. والشى الذى أود الإشارة إليه أن الشاعر لم يقصد بشكواه الأتراك.. وإنما قصد.. الشيعة.. والشيعة مذهب قديم سابق للأتراك..

وقد أشار الشاعر إلى أثر الحكومة فى الإصلاح الدينى فى تلك الجهات وذلك فى قوله : ــ

ويبدو بها التعطيل والكفر والزنا   ويعلوا من التأذين صوت المزامر
فقد سامنا الأعداء فى كل خطة   واصلوا بنى الإسلام سوم المقامر
أناخ لدينا للضلالة شيقة   أباحو حمى التوحيد من كل فاجر
وقابلهم بالسهل والرحب عصبة   على أمة التوحيد أخبث ثائر

إلى أن قال :

مجالس كفر لا يعاد مريضها   يراح إليها فى المسا والبواكر
ويرمون أهل الحق بالزيغ ويحهم   أما رهبوا سيفا لسطوة قاهر
وأما رباع العلم فهى دوارس   تحن إلى أربابها والمذاكر
مصاب يكاد المستجن بطيبة   ينادى بأعلى صوته هل من مثابر

هذا التحول بعد أن وصف العهد الماضى أبان قوة الدعوة.. وتكالب الأنصار من أجل حمايتها وتثبيت دعائمها بقوله :

مدارس وحى شرفت بأكابر على ملة بيضاء تبدو لسائر
سقى عهدكم عهد الشريعة والتقى وتعظيم دين الله أزكى الشعائر

كذلك نجد فى شعر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.. المعروف بالأزهرى. إتجاهاً إسلامياً تعليمياً.. كما أن كتاباته التى تتسم بالبلاغة والعمق يسلك فيها مسلك الشيخ الشاعر سليمان بن سحمان فكلا الشاعرين أخلصا للدعوة.. وعملا من أجل نشر مبادئها السلفية.. وقد قدمنا بعض قصائد الأزهرى فى الحديث عن الاتجاه الكلاسيكى.. ولا داعى لإعادتها.. وخصائص الشاعر ابن سحمان تكاد تنطبق على الشاعر عبد اللطيف.. إلا أن لون الثقافة يوجد بعض الفروق البسيطة فى أسلوب المعالجة.. فالشيخ عبد اللطيف درس فى مصر.. وشاهد ألواناً من مظاهر الحياة.. ومذاهب مختلفة فى الفقه والشريعة.. وحرية الجدال.. والتأليف.. هذه الظروف العلمية والاجتماعية تركت بعض الأثر فى القصائد الدينية عند الشيخ عبد اللطيف بينما تجد الشيخ الشاعر ابن سحمان عاش داخل أسلوب علمى متميز.. وفى مجتمع هو إلى الجهل أقرب.. لأن نجداً فى عهد أولاد الأمير فيصل بن تركى لم تكن متقدمة علمياً واجتماعياً.. وهذا التخلف زاد فى حدته.. وتدهوره الخلاف الذى قام بين أولاد الأمير مما أدى إلى انقراض حكمهم وزوال سلطانهم حتى استعادة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

أما الشاعر محمد بن بليهد.. فإنه شاعر السياسة الذى أخلص لها.. وأيد مبادئها واتجاهاتها.. وحيث أن الإسلام.. من الأسس المتينة التى أقام عليها الملك عبد العزيز ملكه.. فإن الشاعر دار فى هذا الفلك لكنه لم يصل إلى

مستوى الشاعر محمد بن عثيمين فى هذا المجال.. وفى بعض قصائد البليهد ترى ومضات إسلامية تدل على تمسكه الشديد بعقيدته.. وإلتزامه بالمبادىء العامة لسياسة الدولة التى يتغنى بأمجادها.

وفى هذا العصر بدأت خصائص الجاهلية الأولى.. بل تجلت جاهلية القرن العشرين القائمة على الجدل.. والعلم..ولعل الشاعر النجدى عبد الرحمن عبد الله العبد الكريم.. سمع بمن ينكر البعث والحساب.. فانبرى لهذه الفئة.. لكن قصيدة الشاعر جاءت فى موقف وطنى دينى.. فكان هدف الشاعر أن يذكر أن القتال لا يعنى النهاية بل هناك حياة أخرى يجد فيها الشهداء الجنة.. والخلود.. فى النعيم المقيم..فيقول فى ذلك :

لابد للمرء من يوم يقال له ... هذى صحيفة حفاظ كما كتبو

أن كان خيراً فباليمنى يناولها ... أو باليسار فذاك الشر والعطب

للمؤمنين جنان الخلد مزلفة ... والمستريب عليه النار تلتهب

وهذه القصيدة تقرر حقائق إسلامية.. وهو لا يدفع بها كيد منكر.. ولايبطل فيها تعليل فيلسوف.. لقد ربط هذه المفاهيم بظروف هو أحوج مايكون إليها.. وهو موقف الحرب مع المعتدين الذين ينشدون اغتصاب الحق.. وكسر الشوكة.

ونجد له قصيدة أخرى تدور حول البعث والنشور.. يقول فيها :

يقولون الحياة حياة دنيا ... وبعد الموت لا أخرى سواها

وعباد الحصى ياقوم اطغى ... وأعظم من بنى الدينا سفاها

فكيف نجيز مازعموا وفينا ... كتاب الله ينطق لا يضاهى

وفى اتجاهه نلمس سمات الواعظين الذين يعرضون الواقعة ثم يقررون ماتفرضه مقتضيات الأحوال دون عمق.. أو شمول.. أو إلمام بجوانب الواقعة.. ولعل تلك الخصائص التى بدت عند الشاعر وعند غيره من المعاصرين املتها ظروف البلاد.. ووأقعها الحضارى.. والثقافى.

على أن الاتجاه الإسلامى عند الشعراء الشباب يتخذ جانباً آخرا.. فالشاعر مع احترامه لمبادىء الدين الأساسية.. لا تراه يلم بالأفكار الإسلامية إلماماً يشبه إلمام القدامى من الشيوخ.. لكن هناك قصائد أفردها الشعراء لقضية إسلامية.. أو لفكرة إسلامية هذه الفكرة متأثرة إلى حد كبير بواقع العصر.. فالشاعر إما أن يكون متأملاً فى ملكوت السماء.. أو مشاركاً فى ذكرى إسلامية لا عهد لأهل نجد بها.. أو ربما يعارضونها من أساسها.. كذكرى المولد النبوى أو ذكرى الهجرة التى منعها ابن سحمان وشارك فيها الشبل.. ويتميز هذا الاتجاه عن شعراء الشباب بسبحات الفكر فى هذا الكون العظيم الزاخر بكل مايثبت ويقرر وحدانية الخالق.. وعظمته ودقة صنعه.. إلا أن هذا لا يبدو بكثرة.. بحيث أننا مضطرون لتعليل ذلك.. فالمملكة عامة ونجد خاصة لا توجد فيها فئات إسلامية.. أو عقائد متباينة وليست فيها صراعات فكرية إسلامية بحيث تشد الشباب إليها.. وتلهب حماسهم.. وتفجر مواهبهم.. الكل يدورون فى فلك إسلامى.

ومن الشعراء البواردى.. الذى نجد لديه اتجاهات إسلامية تأملية.. ومن أحسن قصائده.. قصيدة ينظمها على نهج.. «ولد الهدى» يقول الشاعر:

الكون يوم ولدت
جاء ربيعه
والطين
كنت فخاره.. والماء
الفقر
ذقت لحكمة قدسية
حياك فى مدلولها الفقراء
واليتم
والعمل الشريف.. وسعيه

مانال من حسب النبى رعاء
آمنت أنك للخليقه منقذ
الأرض حقل
أنت فيه سماء

★ ★ ★

آمنت أنك
بالهداية جئتنا
فيك النفوس زكت
وزال الداء

لقد كانت ـــ البردة ـــ مصدراً استلهمها الشعراء والمجددون والمحافظون.. ثم جاء من ترسم خط الناهجين فكانت الحوافر لاتقع على الحوافر إلا لمماً.. وقصيدة البواردى يسترسل فيها الشاعر.. فى سرد تاريخى منسق يصور أبعاد الإسلام من خلال منجزات الرسول.. إن مدح الرسول يتخذه الشعراء متنفساً للافضاء بما لديهم من أفكار..

وكثيراً مانجد أن فى الاتجاه الدينى شيئاً يوحى بمغالبة الشكوك.. أو طرد اليأس والشعراء اليوم غيرهم بالأمس.. فحياة الشك والحيرة.. تأخذ عليهم كل طريق.. وتوصد كل منفذ.. وكلما كان الإيمان ضعيفاً كانت هوج الرياح أقدر على الزعزعة.. هذا على الرغم من أن الشعراء النجديين لم تعصف فى رحابهم مثل هذه الأعاصير بالقدر الذى عصفت فيه بمحيطات الآخرين.

ويقول الشاعر سعد البواردى :

أنا مسلم
أنا مسـلم
أنا بالعقيدة مسلم
قلبى أطل على الحياة

كما تطل الأنجم
وجوانحـى
فى افق احلامى العراض
تهـوم
دعــنى
فما أنا بالمشكك
لا
ولا متبرم
أن كان يعظم مطلبى
هـو لا
فأنى أعظـم

وللشاعر تأملات .. ففى ديوانه «لقطات ملونة».. نجد قصيدة.. أعطاها لون التأمل.

يقول فيهـا :

يولد الفقر مثلنا
مثلنا.. يولد الغنى
لاتقل جمع قبضتى
ماهو الجمع جمعنا
قسمه
لم تقم بنا
قسمه
حددت لنا
رزقنـا
دون سعينا

سعينا
دون رزقنا
خامل
حظه بنا
عامل
هدُّهُ الونى
أهو الجمع جمعنا
أنت من أنت
أو أنا

هذا الاتجاه يربط كل المعطيات بالقسمة والنصيب.. لكنه يمضى الى أبعد مما تعطيه هذه القسمة فالإنسان وإن كان لا يملك إلا ما قسم له.. لكن الدين لا يجعل من الإنسان إتكالياً يقف بانتظار رزقه.. وقول الرسول ﷺ عن الطير«تغدوا خماصا وتعود بطانا» ليعطى أدق التأكيدات للسعى ـــ الغدو والرواح الحركة لطلب الرزق وتحصيل القسمة.. ولو قال: تنتبه خماصاً وتنام بطانا لتسرب من خلال ذلك شيء من الشك.. الذى كاد أن يتجسد فى قصيدة البواردى.. والذى يعنينا ذلك الجانب الفلسفى فى معالجة بعض التجارب النفسية المتعلقة بإرادة الله.

هناك ظاهرة إسلامية لاتوجد لدينا..وهى الإحتفال بالمولد الشريف فعلماء نجد يرون أن مثل هذه الحفلات ليس لها سند من الدين.. فهى بدعة.. الإنصراف عنهاخير من إحيائها.. ويعللون ذلك بأن أحداً من الخلفاء لم يحتفل بمولد الرسول ولا بهجرته.. ولهذا نجد أن هذا الرافد الذى أمد شعراء العروبة والإسلام.. ولا يصب فى محيط الشعر النجدى.. ومع البحث لم أجد فى هذه المناسبة إلا قصيدة واحدة للشاعر النجدى محمد سليمان الشبل.. نشرتها مجلة «المنهل» عام ١٣٦٧هـ وليس للذكرى كما قلت أى صدى.. لافى

المستوى الرسمي.. ولا الإجتماعي.. والقصائد التي تقال في هذه المناسبة مما لم يصل إليه علمي.. ماهي إلا صدى للحفلات التي تقام في البلاد الإسلامية.. وقصيدة الشبل يقول فيها :

ابة ياموليد الرسول تجلت فيك ذكرى بطولة الإسلام
قد أطلب على بنية فهاجت أنفس قد سمت لنيل المرام
ذكرتهم بمجدهم فأشرأبوا نحو آت من العلا بسام

وللشاعر حمد الحجي بعد تطواف من الشك.. الضجر.. إنابة إلى الله لأن أعاصير الشك لا تسكنها إلا شحنات الإيمان التي تتدفق لتخمد الفتنة.. وتوارى أشباح الخوف والمسلم دائماً عند احتدام الشك يلقيه إيمانه في رحاب الله الفسيح.. وفي الحديث أو في معناه.. أن الشيطان لايزال بالإنسان.. حتى يقول له: من خلق الله فإذا قال ذلك فليقل آمنت بالله.. فإن هذا هو الإيمان:

يقول الحجي :

رَب آمنت بالحقيقه فاجنبني متاهات أوبتي للعذاب
رَب إني أدركت حقك فلتشرق بنفسي نورا يضيء جنابي
ها أنا قد مللت تجوال عقلي في سحيق الاجوا ولج الضباب
أنا يارب إن اداري جراحي من صنوف الآلام والألقاب
فاهدني للصواب أني منيب ذو تسام إلى الهدى والصواب

وفي قصيدة أخرى يشع إيمانه في دياجير الحيرة.. والألم.. فيرتمي في محراب الدعاء والابتهال.

رَب تاهت سفينتي في ثنا يا اليم فارتعت من رؤى الأكراب
يا إلهي اليك أشكو انقباضي واعتزالي وخلوتي وانتحابي
تقرع الحادثات بابي ولم أبصر سروراً يوما يمر ببابي

وللأستاذ الشاعر عبد الكريم الجهيمان من قصيدة «سَكْرَةُ.. وَفِكْرَة» إتجاه إسلامي ينزع من مفاهيم تكونت من مبادى الدين الحنيف :

يقول فيـــها :

يابصيـــرا بنـــــفسه وخبيـــــرا بالليالـى وماحـوت من عجـاب
خذ من الدهرما أتاك به الدهر ولا تأس فالدنـــا للخــــراب
وإذا ماصفا الزمـــان فحـــاذر بعد صفو الزمان من كأس صاب
وإذا استحكمت صروف الليالى فانفـراج الأمـور عنـد الصعـاب
هذه سنـــة الحيـــاة قديمـــا وحديثـــا بنص آى الكتـــاب
فاستفـق من غرورهـا وهواهـــا واقتف الرشد من ذوى الألباب

تلك كلمة سريعة لم نطل فيها النظر.. ولم نمحص فيها المعطيات لأسباب عدة يكفى منها أن جميع الشعراء النجديين المعاصرين منهم.. والمتقدمين يلوذون بدوحة الإسلام.. ولايخرجون منها فالطابع العام إسلامى.. والبيئة.. والمجتمع تفرض هذا الإتجاه.. فالبيئة تحتضن أقدس المقدسات. والمجتمع يعايش حكومه تقيم حكمها على الشريعة الإسلامية وتحكم الشعب بالدستور السماوى.. لهذا نجد أن لكل شاعر نزعة إسلامية..فيهم المقل.. وفيهم المكثر.. على أن هذا لا يمنع من وجود بعض الاتجاهات الأخرى التى تخلو من الروح الإسلامية لكنها لا تعارض الدين ولا تخرج عليه بحال .

المراجع

المراجع

	اسم المراجع (أ)	المؤلف
١	الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر	د/ محمد محمد حسين
٢	اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى	د/ محمد مصطفى هداره
٣	اتجاهات الأدب الانجليزى	جميل سعيد
٤	أثر العرب فى الحضارة الأوربية	عباس محمود العقاد
٥	أحاديث	د/ محمد سعيد عوضى
٦	الأدب فى الخليج العربى	عبد الرحمن العبيد
٧	الأدب الحديث فى نجد	د/ محمد بن حسين
٨	الأدب المقارن مسائله ومباحثه	د/ محمد شعيب
٩	الأدب وفنونه	د/ عز الدين اسماعيل
١٠	الأدب العربى الحديث ومدارسه	د/محمد عبدالمنعم خفاجى
١١	الأدب فى خدمة الحياة والعقيدة	د/ عبد الله العويشق
١٢	الأسلوب	أحمد الشايب
١٣	أضواء على الأدب الشعبى	عبد الله الزامل
١٤	الأدب الشعبى فى جزيرة العرب	عبد الله بن خميس
١٥	أغنية العودة، ديوان	سعد البواردى
١٦	ألوان	د/ طه حسين
١٧	الأمثال فى النثر العربى القديم	د/ عبد المجيد عابدين
١٨	أميل	ترجمة عادل زعيتر

(ت)

١٩	تاريخ الشعر السياسى	د/ أحمد الشايب
٢٠	تاريخ نجـد	محمد غنـام
٢١	تاريخ المملكة العربية السعودية	د/ منير العجلانى
٢٢	تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان
٢٣	تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها	صلاح الدين المختار
٢٤	تاريخ الأدب العربى	أحمد حسن الزيات
٢٥	تاريخ الشعر الحديث	أحمد قبش
٢٦	تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى	د/ طه حسين
٢٧	التفسير النفسى للأدب	د/ عز الدين اسماعيل
٢٨	التيارات الأدبية فى قلب جزيرة العرب	د/ عبد الله عبد الجبار

(جـ)

٢٩	جدد وقدماء	مارون عبـود
٣٠	جغرافية شبه جزيرة العرب	د/ محمود أبو العلاء
٣١	جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث	عبد العزيز الدسوقى

(حـ)

٣٢	الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية	د/ بكرى الشيخ أمين

(د)

٣٣	دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه	د/ محمد عبدالمنعم خفاجى
٣٤	الدرر السنية فى الأجوبة النجدية	عبد الرحمن بن قاسم
٣٥	دفاع عن البلاغـة	أحمد حسن الزيات

(ر)

٣٦	الرمزية فى الأدب العربى	د/ درويش الجندى
٣٧	الرومانتيكيـة	د/ محمد غنيمى هلال

(ز)

٣٨	زعماء الاصــلاح	أحمد أمين

(ش)

٣٩	شعراء نجد المعاصرون	عبد الله بن ادريس
٤٠	شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى	عباس محمود العقاد
٤١	الشعر الحجازى المعاصر	عبد الله عبد الجبار
٤٢	شاعرات من البادية	عبد الله بن رداس
٤٣	شعراء رمزيون وشعراء معاصرون	د/ سعد صائب
٤٤	شعاع الأمـل	صالح أحمد العثيمين

(ط)

٤٥	طبقات الشعراء	عبد الله بن المعتز

(ع)

٤٦	عقود الجواهر المنضدة الحسان	سليمان بن سحمان
٤٧	عقد الدر فيما وقع فى نجد من الحوادث	أحمد بن عيسى
٤٨	على مشارف الطريق	محمد فهد العيسى
٤٩	عنوان المجد فى تاريخ نجد	بن بشـير
٥٠	العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث	د/ سعد الدين الجيزاوى

(ف)

٥١	فصول فى الأدب والنقد	د/ محمد عبد المنعم خفاجى
٥٢	الفن ومذاهبه فى الشعر العربى	د/ شـوقى ضيف
٥٣	الفنون الأدبية	أنيس المقدس
٥٤	فن الشعر	د/ احسان عباس
٥٥	فى الأدب والنقد	د/ محمد مندور

(ق)

٥٦ قدامه بن جعفر والنقد الأدبى — د/ بدوى طبانه
٥٧ قصة الأدب المهجرى — د/ محمد عبدالمنعم خفاجى
٥٨ قضايا الفكر فى الأدب المعاصر — وديع فلسطين
٥٩ قلق — ناصر أبو أحيمد

(م)

٦٠ محمد بن عبد الوهاب — أحمد عبد المغفور عطار
٦١ من أدبنا المعاصر — د/ طه حسين

(ن)

٦٢ نظرية الأنواع الأدبية — د/ حسن عون
٦٣ نقد النثر — قدامة بن جعفر
٦٤ النقد الأدبى — د/ شوقى ضيف
٦٥ النهضة الأدبية فى نجد — حسن الشنقيطى

(و)

٦٦ وحى الحرمان — عبد الله الفيصل

(ى)

٦٧ يتيمة الدهر — للثعالبى

مراجع البحث:ــ

١ الرمزية فى الأدب العربى — د/ درويش الجندى
٢ شعراء رمزيون وشعراء معاصرون — سعد صائب
٣ الشعر العربى المعاصر — د/ عز الدين اسماعيل
٤ الرمزية والأدب العربى الحديث — أنطون غطاس كرم
٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — مصطفى عبداللطيف السحرتى

٦	الفنون الأدبية	أنيس القدسى
٧	قضيه الشعر الجديد	محمد النويهى
٨	الأدب المقارن	محمد شعيب
٩	الرمزية	ترجمة زهير السعداوى

الـدوريــات

١ ـــ قافلة الزيت
٢ ـــ مجلة المنهل
٣ ـــ مجلة وجريدة الجزيرة
٤ ـــ جريدة ومجلة اليمامة
٥ ـــ جريدة عكاظ
٦ ـــ جريدة البلاد
٧ ـــ جريدة الندوة
٨ ـــ جريدة القصيم.

فهرس الكتاب

الباب الثالث :

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

الباب الرابع :

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

الباب الخامس :

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

المراجـع :

كتب للمؤلف

١ ـــ «بريدة» حاضرة القصيم طبع الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

٢ ـــ لمحات عن القصيم. بالاشتراك. طبع إمارة القصيم.

٣ ـــ حاتم الطائي بين أصالة الشعر وأسطورة الكرم. طبع الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

٤ ـــ الشعر والإسلام بتكليف من رابطة العالم الإسلامي.

٥ ـــ اتجاهات الشعر المعاصر في نجد. طبع نادي القصيم الأدبي ببريدة.

٦ ـــ الناسخ والمنسوخ لابن الجزي. تحقيق ودراسة. تحت الطبع.

٧ ـــ المنسوبات. دراسة وجمع. تحت الطبع.

٨ ـــ دراسة نقدية للمبالغة في الشعر العباسي. تحت الطبع.

٩ ـــ عامية نجد، وصلتها بالفصحى. تحت الإعداد.

رجاء واعتذار

مع حرصنا الاكيد على تلافي الاخطاء لم يكن بد من وجود هفوات مطبعيه أملنا أن يبادر القارىء لتلافيها في نسخته .

الصواب والخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٥	الخطى	الخطا	٨٠	١١	والغواص	والغوص
١٠	٨	عدى	عدا	٩٠	الثالث	التمس	التماس
١٠	١٠	الولاه	لولاه		قبل الأخير		
١٦	٨	أقسام	أقساما	٩٢	الأخير	عند	عن
١٧	٤	عى	على	١٠٧	١٦	والشعرية	والشعورية
١٨	٩	الاستغلال	الاستقلال	١١١	١	بالتفعية	بالتفعيلة
٢٧	٧	دعى	دعا	١١٢	٤	تظافر	تضافر
٣٠	٣	يتنقض	ينقض	١١٣	٤	ذو	ذر
٣١	٦	«لحر»	«الحر»	١١٤	٦	الروارس	الدوارس
٣٥	١٦	غلان	غدن	١١٥	٥	وطنوا	وطئوا
٣٥	٢٢	مشوة ه	مشوهة	١١٦	١٧	تضامن	تطامن
٣٧	١٠	يشعروله	يشعرونه	١١٩	٢	الابداعى	الاتباعى
٤٠	٢	عراها	عرارها	١٣٦	٢١	المهين	الهين
٤٠	٥	علق	عاق	١٣٨	١١	للمواضيع	للموضوعات
٤٠	٧	شهاداه	تهاداه	١٤٠	٩	حج	عج
٤٠	٢٠	لفحات	نفحات	١٤٧	٩	ماهيت	هبت
٤١	١٠	فزارك	مزارك	١٤٩	١٧	نفائلت	تفاءلت
٥١	٩	بتان	بنان	١٥٠	١٤	وفخر	وفغر
٥٨	٣	الدعوى	الدعوة	١٥٨	١٦	رأيته	رئته
٦٣	١٦	صلة	صلبة	١٧٢	١٩	ذئيب	ذؤيب
٦٧	٧	مفاحى	مناح	١٨٠	١٦	التشائم	التشاؤم
٧٦	١٢	الشبة	الشبهة	١٩٥	١١	شاكه	شاكيه
٧٩	٥	بالتجول	بالتحول	١٩٥	١٩	وحيك	وحبك

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠١	٢	ضمأ	ظمأ
٢٠٥	٨	الشواع	الشوارع
٢٠٦	٣	نابع	نابعا
٢٢٦	١٨	بآمله	بآماله
٢٢٩	٢	نحى	نحا
٢٣٣	٣	ماأكون	أكون
٢٤٢	٤	يثراء	بثراء
٢٦٢	١٤	الحنون	الحتوف
٢٧٢	١٦	اليرناسية	البرناسية
٢٧٣	٧	الرمزين	الرمزيين
٢٧٣	١٥	حفية	خفية
٢٧٤	٢	وفقا	دفقاً
٢٨٣	٣	نبته	نبتة
٢٨٤	١٠	النعمه	النغمة
٢٨٥	١٠	أحداتها	أحداقها
٢٨٦	٩	ادمنته	أدمته
٢٩٤	١٩	يعبدوك	يعبدون
٢٩٧	١٢	عروضية	عروضى
٢٩٧	١٥	البابل	البلبل
٢٩٨	٨	عوبل	عويل
٣٠٣	٢١	الظرية	النظرية
٣٠٩	١٠	تجاوزا	تجاوزوا
٣٢٧	٢١	ستحث	استحث
٣٣٤	١١	وحكمة	وَحَكَمَهُ
٣٣٨	٣	ظل	كل
٣٤٠	١٦	ضح	ضجَّ
٣٤٢	١٣	عاس	عاث
٣٤٥	١١	أسهما	أسَّها
٣٤٦	٥	عف	عنف
٣٤٦	١٨	طغام	طغاة
٣٤٩	٢	المفخر	المغفر
٣٤٩	٢	بأنيام	بأنياب
٣٥٣	١٢	الشئام	الشآم
٣٥٩	الأول	تقص	نقض
٣٧١	الأخير	الشبة	الشبهة
٣٧٣	الأول	حنفية	حنيفية
٣٧٦	١٩	عمريه	عمرية
٣٧٧	١٧	شيقة	شقية
٣٨٤	٥	أطلب	أطللت
٣٨٤	٥	بنية	بنيه

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض المعذر ٤٨٢٤٩٨٣/٤٨٢٤٨٦٥